

HA121200
V.2

AU
Library

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



A.U.B. Library

8
11

Est. 7/1/1921

زَهْرُ الْأَرْكَامِ

وَمَهْرُ الْبَابِ

لِأَبِي إِسْحَاقَ الْحَضْرِيِّ الْقَيَّرَوَانِيِّ

مَنْصُورٌ وَضُبُوطٌ وَسُرُورٌ

بِقَلَمِ

الذَّكْوَرِزِيِّ مُنَازِلُ

الطَّبَعِ الثَّانِي ١٩٤٩

الجزء الثاني

يُطْلَبُ مِنَ الْمَكْتَبَةِ التَّجَارِيَةِ الْكُبْرَى بِأَوَّلِ شَبَّارِعِ مَجْدِيَّةٍ بِمِصْرَ

أَصَاحِبُهَا مِصْطَفَى مُحَمَّدٍ

حَقُوقُ الطَّبَعِ مَحْفُوظَةٌ

28928

الطَّبَعَةُ الرَّحْمَانِيَّةُ بِمِصْرَ

لِأَصْحَابِهَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سُرَيْفٍ

892.709

Ha41212mA

.v.2

Oct 1921



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صفات الطعام

الفاظ لأهل العصر في صفات الطعام ومقدماته وموائده وآلاته

أفرش طعامك اسم الله ، وألحفه حمد الله ، لا يطيب حضور الخوان ، إلا مع
الاخوان ، البخل بالطعام ، من أخلاق الطعام ، الكريم لا يُحْظَر ، تقديم ما يحضر
قد قامت خطباء القدور ، قدور أبكار ، بخواتم النار ، قد طار عرفها ، وطاب
عرفها ، دهاء تهر كالفنيق ^(١) ، وتفوح كالمسك الفتيق . مائدة كدارة البدر ،
تباعد بين أنفاس الجلاس ، مائدة مثل عروس ، مائدة لطيفة ، محفوفة بكل
طريقة ، مائدة تشتمل على بدائع الماء كولات ، وغرائب الطيبات ، مائدة كأنما
عملها صناع صنعاء ، تجمع بين أنواع الربيع ، وثمار الخريف

وقال الجراز : جاءنا فلان بمائدة كأنها زمن البرامكة على العفاة ! وذم آخر
رجلا فقال : لا يحضر مائدته إلا أكرم الخلق ، وألا مهم ، يريد الملائكة والذباب
وقال ابن الحجاج لرجل دعاه وأخر الطعام

قدجن أصحابك من جوعهم * فقرأ عليهم سورة المائدة

ولبعض أهل العصر يذم رجلا

خوان لا يلم به ضيوف * وعرض مثل منديل الخوان

رغفان كالبدور المنطق بالنجوم ، حمل ذهبي الدثار ، فضى الشعار ، أطيب
ما يكون الحمل ، اذا حلت الشمس الحمل ، جدى كأنما ندف على جبينه القز ،

زيرباجة ، هي اللائدة ديباجة ، تشفى السقام ، ولونها لون السقيم ، سكباجة تفتق الشهوة ، وأسفيدباجة تغزو القرم ، وطباهجة يتفكه بها ، وخبيص يختم بخير ، طباهجة من شرط الملوک ، كاعراف الديوک ، وقلية كالعود المطرى ، مغمومة تفرج غم الجائع ، هريسة نفيسة ، كانها خيوط قز مشتبكة ، كأن المرئى عليها عصارة المسك ، على سبيكة الفضة ، ارزة ملبونة ، فى السكر مدفونة ، سواء رشراش ، وفالودج رجراج ، طباهجة تغذى ، وفالودجة تعزى ، واسفيدباجة تصفع قفا الجوع ، لافراش للنبيد ، كالحمل الحنيد ، دجاجة سميطه ، لها من الفضة جسم ، ومن الذهب قشرة ، دجاجة دينارية ثمننا ولونا^(١)

وهذا محمول من قول على بن العباس الرونى يصف طعاماً أكله عند أبى بكر الباقرانى وسميطة صفراء دينارية * ثمننا ولونا زفها لك حزور^(٢)
 عظمت فكادت أن تكون أوزة * وغلت فكاد إهابها يتفطر
 طفقت تجود بذوبها جودابة * فأتى لباب اللوز فيها السكر
 ظلنا نقشر جلدها عن لحمها * فكأن تبراً عن لجين يقشر
 وتقدمتها قبل ذاك ثرائد * مثل الرياض بمثل ذاك تصدر
 ومرققات كلهن مزخرف * بالبليض منها ملبس ومدثر
 وأتت قطائف بعد ذاك لطائف * ترضى اللها بها ويرضى الحنجر
 ضحك الوجوه من الطبرزد فوقها * دمع العيان من الدهان يعصر

(١) تلك أسماء الاطعمة التى كان يعرفها العرب لعهد الدولة العباسية ، وأكثرها أسماء فارسية تغيب عنا مسمياتها الآن . لان للاطعمة اليوم أسماء جديدة أكثرها تركية وفرنسوية (٢) الحزور : السريع الى اكرام الضيف

المقامة البغدادية

قال البديع حدثني عيسى بن هشام قال : اشتريت الأزاز ، وأنا ببغداد ^(١) وليس معي عقد ، على نقد ^(٢) فخرجت أنتمز محالة ، حتى أكلني السكرخ ^(٣) فإذا أنا بسوادى يحدو بالجهد حماره ، ويطرف بالعقد إزاره ^(٤) فقلت ظفرنا والله بصيد وحيالك الله أبا زيد ! من أين أقيمت ، وأين نزلت ، ومتى وافيت ، فهلم إلى البيت . فقال السوادى : لست بأبى زيد ، وإنما أنا أبو عبيد ! فقلت نعم لعن الله الشيطان ، وأبعد النسيان ، أنساني طول العهد بك ، كيف أبوك ، أشاب كهدي أم شاب بعدي ^(٥) قال قد نبت المرعى على دمنته ، وأرجو أن يصير الله إلى جنته ^(٦) فقلت انا لله ولا قوة إلا بالله ، ومددت يد البدار ، إلى الصدر ^(٧) أريد تمر يقه ، وأحاول تخريقه ^(٨) فقبض السوادى على خصرى بجمعه ^(٩) وقال : نشدتك بالله لا مزقته ، فقلت فهلم إلى البيت نصب غداء ، أو إلى السوق نشترى شواء ، والسوق أقرب ، وطعامه أطيب ، فاستفزته حمة القرم ^(١٠) وعطفته عطفة النهم ، وطمع ، ولم يعلم انه وقع ، ثم أتيت شواء يتقاطر شواؤه عرقاً ، ويتسائل

(١) الأزاز : من أجود أنواع التمر ، وبغداد : هي بغداد (٢) ليس معي عقد على نقد : أى ليس معي نقود يمقد عليها السكيس والثوب (٣) المحال : جمع محل ، والسكرخ فى الجانب الغربى من بغداد (٤) السوادى : الرجل من قرى العراق ، نسبة إلى السواد ، وسمى العراق سواداً لاكتساء أرضه بالخضرة — يطرف بالعقد إزاره : أى يرد أحد طرفيه إلى الآخر (٥) كهدي : أى كهدي به حين عرفته (٦) الدمنة : آثار الديار ، ولا ينبت الربيع على الدمنة إلا حين يبعد عهد ما بالخراب ، يريد ان أباه مات منذ زمن طويل (٧) البدار : المسارعة ، والصدر : قيص صغير يلى البدن (٨) يريد انه هم يمزق ثوبه من الحزن ، (٩) جمع السكف ، بضم الجيم ، قبضته (١٠) الحمة : إبرة العقرب يلسع بها من يلمسه ، والقرم شدة الشهوة إلى اللحم

جُوذَابُهُ مَرَقًا^(١) فقلت أبرز لأبي زيد من هذا الشواء ، ثم زن له من تلك الحلواء ،
واختر من تلك الاطباق ، ونضد عليها أوراق الرقاق ، وشيئًا من ماء السماق^(٢)
ليأكله أبو زيد هنيئًا . فأنهى الشواء بساطوره ، على زبدة تنوره^(٣) فجعلها
كالكحل سحقا ، وكالطحين دقا ، ثم جلس وجلس ، ولا نبس ولا نبست ،
حتى استوفيناه ، وقلت لصاحب الحلواء : زن لأبي زيد من اللوزينج رطلين^(٤)
فانه أجرى في الخلق ، وأسرى في المروق ، وليكن ليلى العمر ، يومى النشر^(٥)
رقيق القشر ، كثيف الحشو ، لؤلؤى الدهن ، كوكبي اللون ، يذوب كالصمغ ، قبل
المضغ ، ليأكله أبو زيد هنيئًا ، فوزنه . ثم قعد وقعدت ، وجرد وجردت^(٦)
واستوفيناه ، ثم قلت يا أبا زيد ما أخرجنا الى ماء يشعشع بالثلج ، ليقمع هذه الصارة^(٧)
ويفتأ هذه اللقم الحارة ،^(٨) اجلس أبا زيد حتى آتيك بسقاء ، يحيينا بشرية من
من ماء ، ثم خرجت ، وجلست بحيث أراه ولا يراني ، أنظر ما يصنع به . فلما
أبطأت عليه قام السوادى الى حماره ، فاعتلق الشواء بازاره . وقال أين ثمن ما
أكلت ؟ قال ما أكلته إلا ضيفا ! قال الشواء هاك وآك ، متى دعوناك ، زن
يا أخا القحبة عشرين ، وإلا أكلت ثلاثا وتسعين ! فجعل السوادى يبكي ويمسح
دموعه بأردانه ، ويحل عقده بأسنانه ، ويقول كم قلت لذلك القريد ، أنا أبو عبيد
وهو يقول أنت أبو زيد ! فأنشدت :

اعمل لرزقك كل آلة لا تقعدن بذل حاله
وانهض بكل عزيمة فالمرء يعجز لا المحالة

(١) الجوذاب خبز يوضع في التنور ومعه طائر أو لحم (٢) السماق حب أحمر صغير
شديد الحموضة ، شجره يشبه الرمان (٣) الساطور : آلة يقطع بها الجزار اللحم
(٤) اللوز ينج : نوع من الحلواء يصنع من نوع من الخبز ويسقى بدهن اللوز ،
ويحشى بالجوز (٥) ليلى العمر : صنع من ليلته ، ويوى النشر : نشر في يومه
(٦) جرد وجردت : يريدان كلامهما جرد ثيابه استعدادا للمائدة (٧) الصارة :
العطش (٨) يفتأ : يسكن

وصف القطائف

ومن مليح ما قيل في القطائف قول بن يحيى بن أبي منصور المنجم
قطائف قد حشيت باللوز والسكر الماذي حشو الموز^(١)
يسبح في آذى دهن الجوز سررت لما وقعت في حوزى
سرور عباس بقرب فوز^(٢)

ومن ألفاظ أهل العصر في الحلواء: فالودج بلباب البز، ولعاب النحل، كأن
اللوز فيه كواكب در، في سماء عقيق. ولم يقل أحد في صفة اللوزينج أحسن
من قول بن الرومي

لا يخطئني منك لوزينج * اذا بدا أعجب أو عجباً
لو شاء أن يذهب في صخرة * لسهل الطيب له مذهباً
لم تغلق الشهوة أبوابها * إلا أبت زلفاه أن يُحجباً
يدور بالنفحة في جامه * دوراً ترى الدهن له لولباً
عاون فيه منظرٌ مخبراً * مستحسنٌ ساعدٌ مستعذباً
مستكشف الحشو ولكنه * أرقٌ جلدًا من نسيم الصبا
كأنما قدَّت جلايبه * من نقطة القطر اذا حُبباً
يخال من رقة خرشائه * شارك في الأجنحة الجندبا^(٣)
لو أنه صوّر من خبزه * نغر لكان الواضح الأشنباً^(٤)
من كل بيضاء يود الفتى * أن يجعل الكف لها مركبا
مدهونة زرقاء مدقوقة * صهباء تحكى الأزرق الأشهباً

(١) الماذي: العسل — الآذى: الموج (٢) فوز: هي معشوقة العباس بن الاحنف

(٣) الخرشاء: الجلد الرقيقة (٤) الاشنب: من الشنب وهو رقة وبرد

وعذوبة في الاسنان

قَرَّةٌ عَيْنٍ وَفَمٌ حُسْنَتْ * وَطِيَّبَتْ حَتَّى صَبَا مِنْ صَبَا
 رِيْفٌ لَهُ اللَّوْزُ فَمَا مَرَّةٌ * مَرَّتْ عَلَى الذَّائِقِ إِلَّا أَبَا (١)
 وَانْتَقَدَ السَّكْرَ نَقَادُهُ * وَشَاوَرُوا فِي نَقْدِهِ الْمَذْهَبَا
 فَلَا إِذَا الْعَيْنُ رَأَتْهُ نَبَتْ * وَلَا إِذَا الضَّرْسُ عَلَاهُ نَبَا
 لَا تَنْكُرُوا الْإِدْلَالَ مِنْ وَامِقٍ * وَجْهٌ تَلَقَّى بِكُمْ الْمَطْلَبَا
 هَذِهِ الْاَبْيَاتُ يَقُولُهَا فِي قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ يَمْدَحُ فِيهَا أَبَا الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدِ
 ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَشْرِ الْمُرْتَدِيِّ وَيَهْنِيهِ بِابْنِ وَلَدِهِ وَأَوْلَاهَا

شَمْسٌ وَبَدْرٌ وَلَدَا كَوَكِبَا * أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ نَقْدَ أَنْجِيَا
 قَالَ أَبُو عَثْمَانَ سَعِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّاجِمُ دَخَلْتُ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ وَهُوَ يَعْمَلُ هَذِهِ
 الْقَصِيدَةَ فَقُلْتُ لَوْ تَفَاعَلْتَ فِيهَا لِأَبِي الْعَبَّاسِ بِسَبْعَةِ مِنَ الْوَلَدِ لَأَنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ
 مَعْكُوسًا سَابِعَ لَجَاءِ الْمَعْنَى ظَرِيفًا فَقَالَ

وَقَدْ تَفَاعَلْتُ لَهُ زَاجِرًا * كُنْيَتُهُ لَا زَاجِرًا نَعْلَبًا
 إِنِّي تَأَمَّلْتُ لَهُ كُنْيَةً * إِذَا بَدَأَ مَقْلُوبُهَا أَعْجَبَا
 يَصُوغُهَا الْعَكْسُ أَبَا سَابِعٍ * لَا كَذِبَ اللَّهُ وَلَا خِيَبَا
 بَلْ ذَاكَ قَالَ ضَامِنٌ سَبْعَةً * مِثْلَ الصَّقُورِ اسْتَشْرَفَتْ مَرْقَبَا
 يَأْتُونَ مِنْ صُلْبِ قِيٍّ مَاجِدٍ * وَذَلِكَ قَالَ لَمْ يَعُدْ مَعْطَبَا
 وَقَدْ أَتَى مِنْهُمْ لَهُ وَاحِدٌ * فَلَنْتَظُرَهُمْ سِتَّةَ غُيَّبَا
 فِي مَدَّةٍ تَغْمُرُهَا نَعْمَةٌ * يَجْعَلُهَا اللَّهُ لَهُ تَرْتَبَا
 حَتَّى نَرَاهُ جَالِسًا بَيْنَهُمْ * أَجَلٌ مِنْ رَضْوَى وَمِنْ كَبْكَبَا
 كَالْبَدْرِ وَافِي الْأَرْضِ مِنْ نَوْرِهِ * بَيْنَ نَجُومٍ سَبْعَةٍ فَاجْتَبَا
 وَلَيْشْكُرِ النَّاجِمُ عَنْ هَذِهِ * فَانْهَاهَا مِنْ بَعْضِ مَا بَوَّبَا
 سَدَى وَأَلْحَمْتُ أَخٌ لَمْ أَزَلْ * أَشْكُرُ مَا أَسْدَى وَمَا سَبَّبَا

نهم ابن الرومي

وكان ابن الرومي منهوما في الماس كل ، وهي التي قتلتها ، وكان معجبا بالسمك
فوعده أبو العباس المرندي أن يبعث إليه كل يوم بوظيفة لا تنقطع ، فبعث إليه
يوم سبت ثم قطعه ، فقال

ماحيثاننا جفّتنا وأنى * أخلف الزائرون منتظرينهم
جاء في السبت زورهم فأتينا * من حفاظٍ عليه ما يكفيهم^(١)
وجعلناه يوم عيد عظيم * فكأننا اليهود أو نحكيهم
وأراهم مصممين على الهج — رفلم يسخطون من يرضيهم
قد سبتنا وما أتننا وكانوا * يوم لا يسبتون لا تأتيهم
فانصل ذلك بالناجم فكتب إلى ابن الرومي

أبا حسن أنت من لا ترا * ل نحمد في الفضل رجحانه
فكم تحسن الظن بالمرندي * وقد قلل الله إحسانه
ألم تدر أن القتي كالسراب * اذا وعد الوعد إخوانه
فبحر السراب يفوت القلوب * فقل في طلابك حيثانه

وخرج ابن الرومي إلى بعض المتنزهات وقصدوا كرمًا رازقيا فشرّبوا
هناك عامة يومهم ، وكانوا يتهمونهم في شعره ، فقالوا ان كان ما تنشدنا لك فقل في هذا
شيئا ، فقال لا تريعوا حتى أقول فيه وأنشدهم لوقته

ورازقي مخطف الخصور * كأنه مخازن البلور
قد ضمنت مسكا إلى الشطور * وفي الأعلى ماء وورد جورى
بلا فريد وبلا شذور * له مذاق العسل المشور

وَبَرْدُ مَسِّ الْخَصْرِ الْمَقْرُورِ * وَنَكْهَةُ الْمَسْكِ مَعَ الْكَافُورِ
 وَرَقَةُ الْمَاءِ عَلَى الصَّدُورِ * بَاكَرَتُهُ وَالطَّيْرُ فِي الْوُكُورِ
 بِفَنِيَةٍ مِنْ وَلَدِ الْمَنْصُورِ * أَمْلَأْ لَعَيْنَ مَنْ الْبُدُورِ
 حَتَّى أَتَيْنَا خِيَمَةَ النَّاطُورِ * قَبْلَ ارْتِفَاعِ الشَّمْسِ لِلذُّورِ
 فَانْحَطَّ كَالطَّائِرِ مِنَ الصَّقُورِ * بِطَاعَةِ الرَّاعِبِ لَا الْمَقُورِ
 وَالْحَرَّ عَبْدَ الْحَلَبِ الْمَشْطُورِ * حَتَّى أَتَانَا بِضُرْعٍ حُورِ
 مَمْلُوءَةٍ مِنْ عَسَلٍ مُحْصُورِ * وَالظِّلُّ مِثْلُ الْوَلْوَلِ الْمُنْثُورِ
 ثُمَّ جَلَسْنَا جِلْسَةَ الْحَبُورِ * بَيْنَ حَفَافٍ جَدُولٍ مَسْجُورِ
 أَيْضُ مِثْلُ الْمُهْرَقِ الْمُنْشُورِ * أَوْ مِثْلُ مَتْنِ الْمَنْصُلِ الْمَشْهُورِ
 يَنْسَابُ مِثْلَ الْحَيَةِ الْمَذْعُورِ * بَيْنَ سِمَاطِي شَجَرٍ مَسْطُورِ
 نَاهِيكَ لِلْعُقُودِ مِنْ ظُهُورِ * فَنِيلَتِ الْأُوطَارُ فِي سُرُورِ
 وَكُلُّ مَا يَقْضَى مِنَ الْأُمُورِ * تَعَلَّاهُ مِنْ يَوْمِنَا الْمَنْظُورِ
 وَمُتَعَّةٌ مِنْ مُتَمَعِ الْغُرُورِ

صفات الفواكه والثمار

(ألفاظ تناسب هذا النحو لأهل العصر في صفات الفواكه والثمار)
 كَرْمٌ نُسَلِفُهُ الْمَاءُ الْقَرَّاحُ ، وَيَقْضِينَا أَمْهَاتُ الرَّاحِ ، عُنُقُودٌ كَالثَرِيَا ، وَعَنْبٌ
 كَمَخَازِنِ الْبُلُورِ ، وَضُرُوبُ النُّورِ ، وَأَوْعِيَةُ السَّرُورِ . أَمْهَاتُ الرَّحِيقِ ، فِي مَخَازِنِ
 الْعَقِيقِ ، نَحْلٌ نُسَلِفُهُ الْمَاءُ ، وَيَقْضِينَا الْعَسَلُ ، رَطْبٌ كَأَنَّهَا شَهَادَةُ بِالْعَقِيقِ مَقْنَعَةٌ ،
 وَبِالْعَقِيَانِ مَقْنَعَةٌ ، رِمَانٌ كَأَنَّهُ صُرَّرَ الْيَاقُوتُ الْأَحْمَرُ ، سَفَرَجُلٌ يَجْمَعُ طَيِّبًا ، وَمَنْظَرًا
 حَسَنًا عَجِيبًا ، كَأَنَّهُ زَيْبَرُ الْخَزْ الْأَغْبَرِ ، عَلَى الدِّيْبَاجِ الْأَصْفَرِ ، تَفَاحٌ نَفَّاحٌ ،
 يَجْمَعُ وَصْفَ الْعَاشِقِ الْوَجِلِ ، وَالْمَعْشُوقِ الْخَجَلِ ، لَهُ نَسِيمُ الْعَبِيرِ ، وَطَعْمُ السَّكَّرِ ،
 رَسُولُ الْحُبِّ ، وَشَبِيهِ الْحَبِيبِ ، تِينٌ كَأَنَّهُ سَفَرٌ مَضْمُومَةٌ عَلَى عَسَلٍ ، مَشْمَشٌ
 كَأَنَّهُ الشَّهَدُ فِي بِيَادِقِ الذَّهَبِ

وصف الليل

قال بعض الرواة أنشدت أعرابيا قول جرير بن عطية بن الخطفي
أُبَدِّلَ الليل لا تسرى كواكبُهُ * أم طال حتى حسبت النجم حيرانا
فقال هذا حسن في معناه ، وأعوذ بالله من مثله ، ولكني أنشدك في ضده
من قولي وأنشدني

وليلٍ لم يقصره رقادُ * وقصر طوله وصل الحبيب
نعيم الحب أورق فيه حتى * تناولنا جناهُ من قريب
بمجلس لذة لم نقو فيه * على شكوى ولا عدّ الذنوب
بخلنا أن نقتطعه بلفظٍ * فترجت العيون عن القلوب
فقلت له زدني فما رأيت أظرف منك شعرا ، فقال أما هذا الباب فحسبك ،
ولكن أنشدك من غيره

وكنيت إذا علقتُ جبال قومٍ * صحبتهم وشيمتي الوفاء
فأحسن حين يُحسن محسنهم * وأجنب الإساءة أن أساءوا
أشاء سوى مشيتهم فآتي * مشيتهم وأترك ما أشاء

خلف الأحمر

قال الأصمعي قرأت على أبي محذر خلف بن حيان الأحمر شعر جرير فلما
بلغت إلى قوله

ويوم كلبهم القطاة محببٍ * إلى صباه غالب لي باطله
رُزِقنا به الصيد العزيز ولم نكن * كمن نبه محرومةً وجائله
فيالك يوم خير قبل شره * تغيب واشيه وأقصر عاذله

فقال خلف : ويحه فما ينفعه خير يؤول إلى شر ؟ فقلت له كذا قرأته على

أبي عمرو بن العلاء . فقال لي وكذا قال جرير : وما كان أبو عمرو ليقرئك إلا
 ماسمعا ، قلت فكيف كان يجب أن يكون ، قال الأجود أن يقول خيره دون
 شره ، فاروه كذلك فقد كانت الرواة قديما تصلح أشعار الأوائل ، فقلت والله
 لا أرويه بعدها إلا كذا

قصر الليل

ومن أجود ما قيل في قصر الليل قول إبراهيم بن العباس
 وليلة من الليالي العز * قابلت فيها بدرها بيدري
 لم تك غير شفق وفجر * حتى تقضت وهي بكر الدهر
 وقال محمد بن أحمد الأصبهاني فيما يتعلق بهذا المعنى وإن كان في ذكر النهار
 كيف يرعى لمقلتي هدو * ورقادى لطرف عيني عدو
 بأبي من نعمت منه بيوم * لم يزل للسرور فيه نمو
 يوم هو قد التقى طرفاه * فكان العشى فيه عدو
 إذ لشخص الرقيب فيه تناء * ولبدر السماء منى دنو
 وقال ابن المعتز

يارب ليل سحر كاه * مفتضح البدر عليل النسيم
 تلتقط الأنفاس يرد الندى * فيه قهديه لحرّ الهموم
 لا أعرف إلا صباح لما بدا * في ضوءه إلا يسكر النديم
 لبست فيه بالتناذ الهوى * ولذة الراح ثياب النعيم

وصف منبج

أخذ قوله (سحر كاه) من قول عبد الملك بن صالح بن علي وقد قال له
 الرشيد لما دخل منبج : أهذا منزلك ؟ قال هولاك ، ولى بك يا أمير المؤمنين ، قال
 كيف بناؤه ؟ قال دون منازل أهلى ، وفوق منازل الناس . قال وكيف ذلك وقدرك

فوق أقدارهم ؟ قال ذلك خُلق أمير المؤمنين أناسى به ، وأفقو أثره ، وأخذوا
حدوه ، قال فكيف طيب منبج ؟ قال : عذبة الماء ، طيبة الهواء ، قليلة الادواء ،
قال فكيف ليها ؟ قال سحر كله ؟ وأخذ هذا الطائى فقال :

أيامنا مصقولةً أطرافها * بك والليالى كلها أسحارُ

ولأهل العصر : قال أبو على محمد بن الحسين بن المظفر الحاتمي

يارب ليل سرور خلته قصرًا * كعارض البرق في أفق الدجا بَرَقَا

قد كاد يعثر أولاه بأخره * وكاد يسبق منه فجره الشفقا

كأنما طرفاه طرف اتفق الجفنا ن منه على الإطباق واقترقا

(ألفاظ في هذا المعنى لاهل العصر) ليلة من حسنات الدهر ، هواؤها

صحيح ، ونسيمها عليل ، ليلة كبرد الشباب ، وبرد الشراب ، ليلة من ليالى

الشباب ، فضية الأديم ، مسكية النسيم ، ليلة هى لمعة العمر ، وغرة الدهر ، ليلة

مسكية الأديم ، كافورية النجوم ، ليلة رقد الدهر عنها ، وطلعت سعودها ، وغابت

عندالها ، ليلة كالمسك منظرها ومخبرها ، ليلة هى باكورة العمر ، وبكر الدهر ،

ليلة ظلماتها أنوار ، وطوال أوقاتها قصار

سعيد بن هريم

كان سبب اتصال سعيد بن هريم لذي الرياستين الفضل ، وسعى ذا الرياستين

لانه جمع بين رياسة القلم ورياسة التدبير للمأمون ، أنه دخل عليه يوماً فقال

« الأجل آفة الأمل ، والمعروف ذخر الأبد ، والبر غنيمة الحازم ، والتفريط

مصيبية أخى القدرة ، وإنالم نصن وجوهنا عن سؤالك ، فصن وجهك عن ردنا ،

وضعنا من إحسانك بحيث وضعنا أنفسنا من تأميلك » فأمر أن يكتب كلامه

وسماه سعيد الناطق ووصله المأمون فخص به ، فلحقته فى بعض الاوقات جفوة

من الفضل فكتب اليه : « يا حافظ من يضع نفسه عنده ، ويأذا كر من نسى

نصيبه منه ، ليس كتابى إذا كتبت استبطاء ، وما إمساكى اذا أمسكت استغناء

فكُتبت مذكراً لاستقصراً فَعَلَك « فوصله وأحسن إليه ، وقد روى بعض هذا الكلام المنسوب الى سعيد بن هريم لأبي حفص السكرماني مع ذي الرياستين ويقول أبو محمد عبد الله بن أيوب التميمي

لعمرُك ما الأشراف في كل بلدة * وان عظموا للفضل الاصنائعُ
تري عظماء الناس للفضل خُشَعاً * اذا ما بدا والفضل لله خاشعُ
تواضع لما زاده الله رفعةً * وكل جليل عنده متواضع
وقال ابراهيم بن العباس

لفضل بن سهل يدُ * تقاصر عنها المثلُ
فباطنها للندی * وظاهرها للقبَلُ
وبسطها للغنى * وسطوتها للأجل

أخذه ابن الرومي فقال لابراهيم بن المدبر

أصبحتُ بين ضراعة وتجمل * والمرء بينهما يموت هزلاً
فامدد الى يداً تعود بطنها * بذل النوال وظهرها التقييلاً
وقال يمدح عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وزاد في هذا المعنى تشبيهاً ظريفاً
مُقبِلٌ ظهر الكف وهاب بطنها * لهاراحةٌ فيها الحطيم وزمزمُ
فظاهرها للناس ركن مقبِلٌ * وباطنها عين من العرف عَيْلٌ^(١)

ذو الرياستين ✓

وكان ذو الرياستين يقبل صواب القائلين بما في قوته من صفاء الغريزة ، وجودة النخيرة^(٢) فهو كما قال أبو الطيب

ملكٌ مُشدّ التقريض لَدَيْهِ * يضع الثوب في يدَي بَزَّازِ

وكانت مخايل فضله ، ودلائل عقله ، ظهرت ليحيى بن خالد وهو على دين

(١) عيلم : كثيرة الماء ، والعيلم أيضاً البحر (٢) النخيرة : الطبيعة

المجوسية ، فقال له أسلم أجد السبيل الى اصطناعك ، قال فأسلم على يد المأمون ولم يزل في جنبته ، الى أن رقى الى رتبته . وذكره يحيى عند الرشيد فأجمل الثناء فأمر باحضاره فلما رآه أحم فَنظر الرشيد الى يحيى كالمستفهم ، فقال يا أمير المؤمنين إن من أدل دليل على فراهة المملوك أن تملك هيبة مولاه لسانه وقلبه ، فقال الرشيد : لئن كنت سكت لبي تقول هذا فقد أحسنت ، ولئن كان هذا شيئاً اعتراك عند الحصر لقد أجدت ، وزاد في كرامه وتقريبه ، وجعل لا يسأله بعد ذلك عن شيء الا أجابه بأفصح لسان ، وأجود بيان

قال سهل بن هارون ومما حفظ من كلام ذي الرياستين مما رأينا تخليده في الكتب ليؤتم به ، وينتفع بمقول حكمته ، قوله : من ترك حقاً فقد غبن خطأ ، ومن قضى حقاً فقد أحرز غناً ، ومن أتى فضلاً فقد أوجب شكراً ، ومن أحسن توكلًا لم يعدم من الله صنعاً ، ومن ترك لله شيئاً لم يجد لما ترك فقدأ ، ومن التمس بمعصية الله حمداً عاد ذلك على ملتسمه ذماً ، ومن طلب بخلاف الحق له دركاً ما أدرك من ذلك له موبقاً ، وذلك أوجب الفلاح للمحسنين ، وجعل سوء العاقبة للمسيئين المتصرين .

قبح السعاية

ووقع في رقعة ساعٍ : نحن نرى قبول السعاية شراً منها ، لأن السعاية دلالة ، والقبول إجازة ، وليس من دل على شيء وأخبر به كمن قبله وأجازه ، فاتقوا الساعى فانه لو كان في سعايته صادقا لكان في صدقه آمناً ، إذ لم يحفظ الحرمة ، ويستر العورة ، والشئ يقرن مع جنسه

كتب محمد بن علي الى محمد بن يحيى بن خالد ، وكان والياً على أرمينية للرشيد ، : إن قوما صاروا الى سبيل النصيحة فدكروا ضياعاً بأرمينية قد عفت ودرست يرجع منها الى السلطان مال عظيم ، وإنى وقفت عن المطالبة حتى أعرف

رأيتك . فكتب اليه قرأت هذه الرقعة المذمومة وفهمتها ، وسوق السعاية بحمد الله
في أيامنا كاسدة ، وأسنة السعاة في أيامنا كليلة خاسئة ، فاذا قرأت كتابي هذا
فاحمل الناس على قانونك ، وخذهم بما في ديوانك ، فإننا لم نولك الناحية ، لتتبع
الرسوم العافية ، ولا لإحياء الاعلام الدائرة ، وجنبي وتجنب بيت جرير يخاطب الفرزدق
وكننت اذا حلت بدار قوم * رحلت بخزية وتركت عارا
وأجر أمورك على ما يكسب الدعاء لنا لا علينا ، واعلم انها مدّة تنتهي ،
وأيلم تنقضى ، فلما ذكر جميل ، وإما خزي طويل

حزم المهدي

وقال رجل المهدي : عندي نصيحة يا أمير المؤمنين فقال لمن نصيحتك هذه ؟
لنا أم لعامة المسلمين أم لنفسك ؟ قال لك يا أمير المؤمنين ، قال ليس الساعي
بأعظم عورة ولا أقبح حالا ممن قبل سعايته ، ولا تخلو من أن تكون حاسد
نعمة ، فلا نشفي غيظك ، أو عدوا فلا نعاقب لك عدوك ! ثم أقبل على الناس
فقال : لا ينصح لنا ناصح الا بما فيه لله رضى ، وللمسلمين صلاح ، فانما لنا الا بدران
وليس لنا القلوب ، ومن استتر عنا لم نكشفه ، ومن بادانا طلبنا توبته ، ومن
أخطأ أقلنا عثرته . فاني أرى التأديب بالصفح أبلغ منه بالعقوبة ، والسلامة مع العفو
أكثر منها مع المعالجة ، والقلوب لا تبقى لوال لا ينعطف اذا استعطف ، ولا يعفو
إذا قدر ، ولا يغفر اذا ظفر ، ولا يرحم اذا استرحم
ووقع ذو الرياستين الى تميم بن خزيمه : الأمور بتمامها ، والاعمال بخواتمها ،
والصنائع باستدامتها ، والى الغاية يجرى الجواد ، فهناك كشفت الخبرة قناع الشك ،
فحمد السابق ، وذم الساقط — وذو الرياستين هو القائل

أنضيت أحرف لا مالمالفت بها * فحولى رحلها عنا الى نعم
أوصيرها اليها منك منعمة * إن كنت حاولت فيها خفة الكلم
قسم علينا فعارضنا قيا سكم * يا أحسن الناس من قرن الى قدم

بكاء ذى الرياستين

ولما قتل ذو الرياستين دخل المأمون على أمه فقال لا تجزعي فاني ابنك بعد
ابنك . فقالت أفلا أبكي على ابن أ كسبني ابناً مثلك ؟

وصف فرس

ووصف ابن الفريّة فرساً أهدها الحجاج الى عبد الملك بن مروان فقال :
حسن القد ، أسيل الخلد ، يسبق الطرف ، ويستغرق الوصف . وأهدى عبد الله
ابن طاهر الى المأمون فرساً وكتب اليه : قد بعثت الى أمير المؤمنين بفرس يلحق
الأرانب في الصّعداء ، ويجاوز الظباء في الاستواء ، ويسبق في الحدور جرى
الماء ، فهو كما قال تأبط شراً

ويسبق وفد الريح من حيث تلتجى * بمنخرق من شدّه المتدارك
وقال رجل لبعض النخاسين : اشتر لي فرساً جيد القميص ، حسن الفصوص
وثيق القصب ، نقيّ العصب ، يشير بأذنيه ، ويندس برجليه ^(١) ، كأنه موج
في لجة ، أو سيل في حدور . جمع محمد بن الحسين هذين السكلامين وزاد
فقال يصف فرساً : هو حسن القميص ، جيد الفصوص ، وثيق القصب ، نقي
العصب ، يبصر بأذنيه ، ويتبوع بيديه ^(٢) ، ويداخل برجليه ، كأنه موج في لجة
أو سيل في حدور ، يناهب المشي قبل أن يبعث ، ويلحق الأرانب في الصعداء
ويجاوز جوازي الظباء في الاستواء ، ويسبق في الحدور جرى الماء ، إن عطف
جار ، وإن أرسل طار ، وإن كلف السير أمعن وسار ، وإن حبس صفن ^(٣) ، وإن
استوقف فطن ، وإن رعى أبن ^(٤) فهو كما قال تأبط شراً وذكر البيت

(١) يندس : يضرب (٢) التبوع : ابعاد خطو الفرس في جريه (٣) صفن الفرس
قام على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة (٤) أبن : قوى

شمس بن مالك

وأول هذه الايات

وانى لمهدٍ من ثنائى فقاصدُ * به لابن عم الصدق شمس بن مالك
أهزَّ به فى ندوة الحى عطفهُ * كما هز عطفى بالهجان الأوارك^(١)
قليل التشكى للم يصبیه * كثير الهوى شتى النوى والمسالك
يظل بمومةٍ ويمسى بغيرها * جحيشاً ويعرورى ظهور المهالك^(٢)
ويسبق وفد الريح من حيث تنتحى * بمنخرق من شدة المتدارك
اذا خاط عينيه كرى النوم لم يزل * له كالى من قلب شيخان فانك^(٣)
اذا طلعت أولى العدو فنفرةً * الى سلةٍ من صارم العزم فانك
ويجعل عينيه ربيثة قلبه * الى ضربة من حد أخلق صائك^(٤)
اذا هزه فى عظم قرن تهلت * نواجذ أفواه المنايا الضواحك
يرى الوحشة الأنس الأنيس ويهتدى * بحيث اهتدت أم النجوم الشوابك^(٥)

✓ خيل مصر

وأهدى عمرو بن العاص الى معاوية ثلاثين فرساً من سوابق خيل مصر
فعرضت عليه وعنده عقبة بن سنان بن يزيد الحارثى فقال له معاوية : كيف ترى
هدايانا يا أبا سعيد، فان أخاك عمرًا قد أطنب فى وصفها ؟ فقال أراها يا أمير المؤمنين

(١) الندوة : المجتمع — والهجان : الابل الكريمة ، والاوراك : راعية الأراك
(٢) المومة : المفازة ينعدم فيها الماء ، — جحيش : منفرد — يعرورى : يركب
على العرى . يريد أنه يركب ظهور المهالك بلاسرج وهو تعبير بدوى (٣) السكالىء :
الحافظ — والشيخان : الحازم ، يريد ان قلبه يقظوان نامت عينه (٤) الربيثة : الرقيب
والصائك : القاطع (٥) أم النجوم الشوابك : هى الشمس

على ما وصف، وانها الخيلة بكل خير، انها لسامية العيون، لاحقة البطون، مصغية الاذان، قباء الاسنان^(١) ضخام الركبات، مشرفات الحجببات، رحاب المناخر صلاب الخوافر، وقعها تحليل، ورفعها تعليل^(٢) فهذه ان طلبت سبقت، وان طلبت لحقت. قال له معاوية اصرفها الى رحلك فان بنا عنها غنى، وبفتيانك اليها حاجة — وقال النابغة الجعدي

وإنّا أناسٌ لنعوّد خيلنا * اذا ما التقينا أن تحيد وتنفر
وننكر يوم الروع ألوان خيلنا * من الطعن حتى نحسب الجون أشقرا^(٣)
فليس بمعروف لنا أن نردّها * صحاحاً ولا مستنكر أن تعقرا
وقال بعض العرب :

ولقد شهدت الخيل يوم طرادها * بسليم أوظفة القوائم هيكل
فدعوا: نزال! فكنت أول نازل * وعلام أركبه اذا لم أنزل

صفات الخيل

ووصف اعرابي فرسا فقال: لما أرسلت الخيل جاؤا بشيطان في أشطان، فأرسلوه، فلع مع البرق، واستهل استهلال الودق، فكان أقربهم اليه، الذي يقع عينه من بعد عليه — وذكر اعرابي رجلا فقال: عنده فرس طويل العذار، أمين العثار، فكنت اذا رأيته عليه ظننته بازيا على مربأ، عليه رمح طويل يقصر به الآجال. وقال بعض المحدثين في هذا التطابق

لقيناهم بأرماح طوال * تبشرهم بأعمار قصار

ووصف اعرابي خيلا لبني يربوع فقال: خرجت علينا خيل من مستطير نقع، كأن هوائها أعلام، وآذانها أقلام، وفرسانها أسود آجام
ولما أنشد العماني الرشيد يصف فرسا

(١) قباء: لها صير (٢) التحليل والتعليل من حركات الخيل (٣) الجون الاسود

كأنَّ أذنيه إذا تشوفا * قادمةً أو قلماً محرفاً
ولحن فهم ذلك أ كثر من حضر ، فقال الرشيد اجعل مكان كأن نخال
فمحبوا السرعة بديهة
ولطائين في هذا النوع أشعار كثيرة من اختيارها ، كثرة اشتهاها
وسأشد بعض ذلك . قال أبو تمام

ما مقرب يختال في أشطانه * ملان من صلف به وتلهوق^(١)
بحوافر حفر وصلت أصلت * وأشاعر شعر وخلق أخلق
ذو أولق تحت العجاج وانما * من صحة إفراط ذاك الأولق^(٢)
صافي الأديم كأنما ألبسته * من سندس برداً ومن استبرق
إمليسة إمليدة لو علقت * في صهوتيه العين لم تتعلق
مسود شطر مثل ما سود الدجى * مبيض شطر كابيضا المهرق^(٣)
وقال أبو عبادة :

وأغر في الزمن البهيم محجل * قد رحت منه على أغر محجل^(٤)
وإلى الضلوع يشد عقد حزامه * يوم اللقاء على معمم مخول
يهوى كما هوت العقاب إذا رأت * صيداً وينتصب انتصاب الاجدل^(٥)
متوحش بدقيقتين كأنما * تريان من ورق عليه موصل^(٦)
كالرايح النشوان أكثر مشيه * عرض على السنن البعيد الأطول
ويظن ريعان الشباب يروعه * من نشوة أو جنة أو أفكل^(٧)
هزج الصهيل كأن في نبراته * نغمات معبد في الثقل الأول

(١) المقرب والمقربة ، على صيغة المفعول ، الفرس التي تدنى وتقرب لئلا يطرقها
فحل لثيم (٢) الأولق : الجنون (٣) المهرق : الصحيفة (٤) البهيم : المظلم .
الغرة والتحجيل بياض في الجبهة والقوائم ، والاجر المحجل هو الفرس وهو كذلك
الرجل الكريم (٥) الأجبدل : الصقر (٦) الدقيقتان : صفة للساقين
(٧) الافكل : الرعدة

تتوهم الجوزاء في أرساغه * والبدر غرة وجهه المتهلل
صافي الأديم كأنما عُنيَتْ له * بصفاء نقيته مداوك صيقل^(١)
وكانما كُسيَ الحدودَ نواعما * مهما تلاحظها بلحظ ينجل
وكانما نفضت عليه صبغها * صهباء للبردان أو قطر بل
ملك العيون فان بدا أعطينه * نظر الحب الى الحبيب المقبل
وقال اسحاق بن خلف النهرواني لأبي دلف وكان له فرس أدهم يسميه غرايا

كم كم تجرعه المنون ويسلم * لو يستطيع شكي اليك له الفم
من كل منبت شعرة من جلده * خط ينمقه الحسام الخندم^(٢)
ماتدرك الأرواح أدنى جريه * حتى يفوت الريح وهو مقدم
رجعته أطراف الأسننة أشقراً * واللون أدهم حين ضرجه الدم
وكانما عقد النجوم بطرفه * وكأنه بعري المجرة ملجم

وقال أبو الطيب

جفتني كأني لست أنطق قومها * وأطعنهم والشهب في صور الدهم

وقال أبو الفتح كشاجم

قد راح تحت الصبح ليل مظلم * اذ لاح في السرج المحلى الأدهم
ديباج ألوان الجياد ولم يكن * ليخص بالديباج الا الأكرم
ضحك اللجين على سواد أديمه * وكذا الظلام تنير فيه الأنجم
فكانه بينات نعث ملبب * وكانما هو بالثريا ملجم

قلت هذا من قول ابن المعتز

ألا فاسقياني والظلام مقوض * ونجم الدجا تحت المغارب يركض
كأن الثريا في أواخر ليلها * تفتح نور أو لجام مفضض

(١) مداوك الصيقل : أدوات كالحاون ونحوه (٢) الخندم القاطع

وقال أبو الفتح

من شكَّ في فضل الكمية فيمنه * فيه وبين يقينه المصار
في منظر مستحسن محمود * أخباره إذ تبلى الأخبار
ماء تدفق طاعة وسلاسة * فاذا استدرَّ الخضر فيه فنار
واذا عطف به على ناورده * لتديره فكأنه بركار
وصف الخلق أدبه فكانما * أهدى الخلق جلده عطار^(١)
قصر قلادة نحره وعذاره * والرسغ وهي من العناق قصار
وكأنما هاديه جذع مشرف * وكأنما للضيع فيه وجار^(٢)
يرد الضحاح غير ثنى سنبك * ويرود طرفك خلفه فتجار^(٣)
لوم تكن للخيل نسبة خلقه * حاكته من أشكلها الأطيوار

وقال ابن المعتز

وخيل طواها القود حتى كأنها * أنابيب سمر من قنا الخط ذبل
صبينا عليها ظالمين سياطنا * فطارت بها أيد سراع وأرجل
قوله ظالمين من أبداع جشو جرى في بيت ، وكأن ابن المعتز أشار إلى قول
اعرابي مولد

وعود قليل الذنب عاودت ضربه * إذا هاج شوق من معاهدها ذكر^(٤)
فقلت له زلفاه ويحك سببت * لك الضرب فاصبر إن عادتك الصبر
وقال ابن المعتز

أراجعتي فداك بأعوجى * كقدح النبع في الريش اللوام^(٥)
بأدهم كالظلام أغر يجلو * بغرته دياجير الظلام
ترى أحجاله يصعدن فيه * صعود البرق في جو الغمام

(١) الخلق : نوع من الطيب (٢) هاديه : صدره (٣) الضحاح : بقايا
الماء (٤) العود : البعير (٥) الأعوجى : الفرس الكريم — واللوام : المحكم

وقال أيضاً

قد اغتدى والصبح كالشيب * في أفق مثل مدّك الطيب
بقارح مُسَوِّم يعبوب * ذى أذن كخصوة العسيب^(١)
أو آسَةٍ أوفت على قضيب * يسبق شأو النظر الرحيب
أسرع من ماءٍ إلى تصويب * ومن رجوع لحظة المريب^(٢)

وقال

ربّ ركب عرسوا ثم هبّوا * نحو أسراج وشدّ رحال
وعدونا بأعنة خيل * تأكل الأرض بأيدي عجال
زينتها غرر ضاحكات * كبذور في وجوه ليال

وقال على بن محمد الإيادي

مسح الظلام بعرفه يده * ومشى فقبل وجهه البدر

وقال الناشئ أبو العباس عبد الله بن محمد

أحوى عليه مسائح من ليطة * شهب تسيل على نواشر ساقه
فكأنه متلفع قبضية * أثناؤها مشدودة بنطاقه
فسواده كالليل في إظلامه * وبياضه كالصبح في إشراقه
صافى الاديم كريمة أنسابه * أخلاقه عين على أعراقه

كتب أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي الى الأمير أبي الفضل
عبد الله بن أحمد بن ميكال وقد زاره الأمير في داره

لا زال مجدك للسماء رسيلا * وعلوّ جدك بالخلود كفيلا^(٣)
يا غرة الزمن البهيم اذا غدا * أهل العلى لزمانهم تحجيلا
يا زائراً مدّت سحائب طوله * ظللاً على من الجمال ظليلا
وأنت بصوب جواهر من لفظه * حتى انتظمن لمفرق إكليلا

(١) القارح : الفرس القوي (٢) تصويب : انحدار (٣) رسيل : قرين

بأبي وغير أبي هلال نورُهُ * يستعجل التسبيح والتهليلة
نقشت حوافر طرفه في عَرْضِي * نقشاً محوت رسومه تقبيلة
ولو استطعت فرشت مسقط خطوه * بعيون عين لا ترى التكهيلة
ونثرت روحى بعدما ملكت يدي * وخررت بين يدي هواه قتيلا
وقال أبو القاسم بن هاني يصف خيل المعز

له المقربات الجرد ينعلها دماً * اذا فرغت هام الكفاة السنايك
يريق عليها اللؤلؤ الرطب ماءً * ويسبك فيها ذائب التبر سابك
صقيلات أجسام البروق كأنما * أمرت عليها بالشموس المداوك
وقال يصف فرساً لجعفر بن علي بن حمدون

تهلل مصقول النواحي كأنه * اذا جال ماء الحسن فيه غريق
من البهم ورد اللون شيب بكمته * كما شيب بالمسك الفتيق خلوق^(١)
فلو ميز منه كل لون بذاته * جرى سبج منه وذاب عقيق^(٢)
وقال في قصيدة يمدح بها أبا الفرج الشيباني

فتقت لكم ريح الجلال بعنبر * وأمدكم فلق الصباح المسفر
وجنيتكم ثمر الوقائع يانعا * بالنصر من ورق الحديد الاخضر
أبى العوالى السهرية والسيو * ف المشرفية والعديد الأكثر
من منكم الملك المطاع كأنه * تحت السوايق تبع في حمير
القائد الخيل العتاق شوازبا * خزرألى لحظ السنان الاخزر
شعث النواصى حرة آذانها * قب الاياطل داميات الانسر
تنبوسنا بكهن عن غفر الثرى * فيطان في خد العزيز الأصغر
في فتية صدأ الحديد عبيهم * وخلقهم علق النجيع الأحمر
لا يأكل الشرحان شلوع عبيهم * مما عليه من القنا المتكسر

وقال في قصيدة يمدح بها ابراهيم بن جعفر بن علي

نخرُ لطرف أعوجي أنت في * صهواته والحسنُ والتطهيمُ
يبدى لعزك نخوة فكأنه * ملك تدين له الملوك عظيم
هادٍ على الخيل العتاق كأنه * بين الدجنة والصبح صريم
سامي القنار بسمعيه عيافة * تحت الدجى ولطرفة تنجيم
أذن مؤللة وقلب أصم * وحشاً أقب وكل كل ملوم
فالطود من صهواته متزلزل * والجيش من أنفاسه مهزوم
خرق العيون فضل عنها لونه * وصفا فقلنا ما عليه أديم
فكأنما جمدت عليه مزنة * وانجاب عنه عارض مركوم
وكأنما نجرت عليه بوارق * وكأنما كسفت عليه نجوم
وكأنك ابن المنذر النعان فو * ق سراته وكأنه اليعحوم

وقال علي بن محمد الأيادي يصف فرس أبي عبد الله جعفر بن أبي القاسم القائم
وأقب من لحق الجياد كأنه * قصر تباعد ركنه من ركنه
لبست قوائمه عصائب فضة * وغدت بسمير صفا المسيل ود كنه
وكأنما انفجر الصباح بوجهه * حسناً أو احتبس الظلام بمقنه
قيد العيون اذا بصرن بشخصه * ورضى القلوب اذا اصطلين بضغنه
متسيطر بالراكبين كأنه * باز تروح به الجنوب لو كنه
يستوقف اللحظات في خطراته * بكمال خلقته ودقة حسنه
حلو الصهيل تحال في لهواته * حاد يصوغ بدائعاً من لحنه^(١)
متجبر ينبي بعمق نجاره * لإشراف كاهله ودقة أذنه^(٢)
ذو نخوة شمخت به عن نده * وشهامة طمحت به عن قرنه^(٣)

(١) اللهوات : مجازي الخلق (٢) عتق النجار : كرم العنصر (٣) القرن :

النظير

وكانه فلكٌ اذا حرَّ كتمهُ * جارٍ على سهل البلاد وحزَنهُ
قد راح يحمل جعفر بن محمدٍ * حمل النسيم لوابلٍ من مُزْنِهِ
وما أحسن ما قال أبو الطيب المتنبي
ويوم كلون العاشقين كتمتهُ * أراقب فيه الشمس أيَّان تغرب
وعيني إلى أذني أغرَّ كأنهُ * من الليل باقٍ بين عينيه كوكبُ
له فضلة عن جسمه في اهابهٍ * تجي على صدر رحيبٍ وتذهب (١)
شققت به الظلماء أذنى عنانهُ * فيطغى وأرخيه مراراً فيلمعبُ
وأصرع أيَّ الوحش قفيتهُ به * وأنزل عنه مثله حين أركب (٢)
وما الخليل الا كالصديق قليلةٌ * وان كثرت في عين من لا يُجربُ
اذالم تشاهد غير حسنِ شياتها * وأعضاءها فالحسن عنك غيب (٣)

المقامة الحمدانية

وينخرط في سلك هذا المعنى مقامة من مقامات الاسكندري في الكُدية مما
أنشأه بديع الزمان وأملاه في شهور سنة خمس وثمانين وثلثمائة (قال البديع)
حدثنا عيسى بن هشام قال : حضرنا مجلس سيف الدولة يوماً وقد عرض
عليه فرس متى ما ترقَّ العين فيه تسهَّل (٤) فلحظته الجماعة ، فقال سيف الدولة :
أيكم أحسن صفته ، جعلته صلته . فكلَّ جهدَ جهده ، وبذل ما عنده ، فقال أحد
خدمه : أصلح الله الأمير ، رأيت بالامس رجلاً يبطأ الفصاحة بنعليه (٥) ، وتقف
الأبصار عليه ، يسأل الناس ، ويشقى الناس ، ولو أمر الأمير باحضاره ، لفضلهم
بأحضاره (٦) ، فقال سيف الدولة عليَّ به في هيئته ، فصار الخدم في طلبه ، فجاءوا

(١) الالهاب : الجلد (٢) قفيتهُ : اتبعته (٣) الشيات : المحاسن الظاهرة
(٤) يريد أن اعلاه وادناه مستويان في الحسن ، وهذا التعبير مأخوذ من
امرى القيس (٥) كناية عن انقيادها له (٦) الحضار بكسر الحاء سرعة البديهة

لوقت به ، ولم يعلموه لأى حال دعى به ، ثم قُرَّب واستدنى ، وهو فى طمرين
قد أكل الدهر عليهما وشرب^(١) ، وحين حضر السِّمَاط ، ثم البساط ، ووقف .
فقال سيف الدولة بلغتنا عنك عارضة^(٢) فأعرضها فى هذا الفرس وصفه فقال
أصلح الله الأمير كيف به قبل ركوبه ووثوبه ، وكشف عيوبه ؟ فقال اركبه فركبه
وأجراه ثم قال : أصلح الله الأمير هو طويل الاذنين ، قليل الاثمين ، واسع
المراث^(٣) لين الثلاث ، غليظ الاكراع^(٤) غامض الاربع ، شديد النفس ،
لطيف الخمس ، ضيق القلّت^(٥) رقيق الست ، حديد السمع ، غليظ السبع ، رقيق
اللسان ، عريض الثمان ، شديد الضلع ، قصير التسع ، واسع النحر ، بعيد العشر ،
يأخذ بالسائح ، ويطلق بالرامح ، ويطلع بلائح ، ويضحك عن قارح ، يحز وجهه
السكديد ، بمداق الحديد ، يحضر كالبحر اذا ماج ، والسيل اذا هاج . فقال
سيف الدولة لك الفرس مباركا فيه ، فقال : لازلت تأخذ الأنفاس ، وتمنح
الأفراس . ثم انصرف وتبعته وقلت لك على ما يليق بهذا الفرس من خلعة ان
فسرت ما وصفت ، فقال سل عما أحببت ، فقلت مامعنى قولك بعيد العشر ؟
فقال بعيد النظر ، والخطو ، وأعلى الجنبيين ، وما بين الوقين ، والجاعرتين ، وما
بين الغرايين ، والمتخرين ، وما بين الرجلين ، وما بين النقرة والصفاق ، وبعيد
القامة فى السباق . فقلت لافض فوك فما معنى قولك قصير التسع ؟ قال هاك : قصير
الشعرة ، قصير الأطرة ، قصير العسيب ، قصير القضيبي ، قصير العضدين ،
قصير الرسغين ، قصير النسا ، قصير الظهر ، قصير الوظيف ، فقلت لله أنت فما
معنى قولك عريض الثمان ؟ قال عريض الجبهة ، عريض الصهوة ، عريض الكتف ،
عريض الجنب ، عريض الورك ، عريض العصب ، عريض البلدة ، عريض
صفحة العنق ، فقلت أحسنت فما معنى قولك غليظ السبع ؟ قال غليظ الذراع ،

(١) الطمران : ثوبان باليان (٢) العارضة قوة البيان (٣) المراث :
خوردان الفرس (٤) الأكرع : جمع كراع وهو مادون السكعب (٥) القلّت :
البقرة فى رأس الورك

غليظ الحزم ، غليظ العكوة ، غليظ الشَّوى ، غليظ الرُّسغ ، غليظ الفخذين ،
 غليظ الجبال ، فقلت لله درك فما معنى قولك رقيق الست ؟ فقال رقيق الجفن ،
 رقيق السالفة ، رقيق الجحفلة ، رقيق الأديم ، رقيق أعلى الأذنين ، رقيق الغرضين
 فقلت أجبت فما معنى قولك لطيف الخمس ؟ قال لطيف الزُّور ، لطيف النسر ،
 لطيف الجبة ، لطيف العجاية ، لطيف الركبة ، فقلت حياك الله فما معنى قولك
 غامض الاربع ؟ قال غامض أعلى الكتفين ، غامض المرفقين ، غامض الحجاجين ،
 غامض الشظا . قلت فما معنى قولك لين الثلاث ؟ قال لين المردعين ، لين الفرق ،
 لين العنان ، قلت فما معنى قولك قليل الاثنين ؟ قال قليل لحم الوجه ، قليل لحم
 المتنين ، قلت فمن أين نبات هذا العلم ؟ قال من الثغور الأموية ، وبلاد الاسكندرية
 فقلت له : أنت مع هذا الفضل ، تعرض وجهك لهذا البذل ! فأنشأ يقول

ساخف زمانك جداً * فالدهر جدٌ سخيف

دع الحمية نسيّاً * وعش بخيرٍ وريف

وقل لعبدك هذا * يجي لنا برغيف

سقط عنا تفسيره في لين الثلاث ، وأكثر هذا التفسير يحتاج الى تفسير ،
 ولم يرد بما أورد إفهام العوام ، والبلاغة لمحة دالة ، وبلاغة النثر ، أخت بلاغة
 الشعر ، وقد قال البحترى

والشعر لمح تنكفى إشارته * وليس بالهذر طوّلت خطبة

تفسيرات لغوية

وسأقول في شرحه بكلام وجيز زيادة في الافادة ، الوقبان تقرتان فوق
 العينين ، والجامعرتان من الفرس موضع الرقتين من الحمار ، وهما منتهى ضربه
 بذنبه اذا حركه ، والغرابان النائثان من أعلى الوركين ، وذ كر النقبة هنا ، وهو
 الذى يعرف بالمنقب ، وهو من السرة حيث ينقب البيطار ، والصفاق الخاصرة

وقد قيل جلد البطن كله صفاق ، والذي أرادته الخاصرة . وأراد ببعده القائمة في السباق امتداده اذا جرى مع الأرض ، والأطرة هنا طرف الأبر ، وهي طفطة غليظة ، والأبر عرق يستبطن الظهر ، فينصل بالقلب ، وقيل هو الأكل ، والعسيب عظم الذنب ، والرسغ من الفرس موضع القيد ، والنسا عرق مستبطن الفخذين ، وقصره محمود في جرى الفرس ، ولكنه لا يسمح بالمشي ، والوظيف لكل ذى أربع ما فوق الرسغ الى الساق ، والصهوة الظهر ، والبلدة ما بين عينيه ، والعكوة مغرز الذنب ، والشوى الاطراف ، والحبال حبلا العاتق والظهر ، والجحفة من ذوات الحافر هي الشفة من الانسان ، والغرضان من الفرس ما انحدر من قصبه الأنف من جانبيها ، والزور الصدر ، والنسر في الحافر لحة يابسة في أسفله يشبهها الشعراء بالنوى ، والجبية التي فيها الحوشب والحوشب حشو الحافر ، والعجاية عظم في قوائم الفرس والبعير مركب فيه فصوص من عظام كأمثال الكعاب تكون عند الرسغ ، والحجاجان العظام المطيفان بالعين ، والشظا عظم لاحق بالذراع ، والمتنان جانبا الظهر ، وسقط عنا تفسير الثلاث من نفس المقامة

أنجز حر ما وعد

قال الجاحظ قال أبو القاسم بن معن المسعودي لعيسى بن موسى : أيها الأمير ما انتفعت بك منذ عرفتك ، ولا الى خير وصلت منك منذ صحبتك ، فقال ولم ؟ ألم أكلم لك أمير المؤمنين في كذا وكذا ؟ قال بلى ! فهل استنجزت ما وعدت وعلودت ما ابتدأت ، فقال حالت دون ذلك أمور قاطعة ، وأحوال عاذرة ، قال أيها الأمير فما زدتنى على أن نهيت الهم من رقدته ، وأثرت الحزن من ربضته ، إن الوعد اذا لم يصحبه انجاز يحققه ، كان كلفظ لا معنى له ، وجسم لا روح فيه وكلم منصور بن زياد يحيى بن خالد في حاجة لرجل فقال عيده قضاءها . قال فقلت أصلحك الله ، وما يدعوك الى العدة مع وجود القدرة ؟ فقال هذا قول

من لا يعرف موضع الصنائع من القلوب ، ان الحاجة اذا لم يتقدمها موعد ينتظر به
نجيحها ، لم تتجاذب الأنفس سرورها ، إن الوعد تطعمم والانجاز طعام ، وليس
من فاجأه طعام كمن وجد رائحته ، وتمطّق به ، ونطعمه ثم طعمه ، فدع الحاجة تحتم
بالوعد ، ليكون بها عند المصطنع حسن موقع ، ولطف محل

ووعده المهدي عيسى بن دأب جارية ثم وهبها له فأنشده عبد الله بن مصعب
الزبيري معرضاً بقول مضرّس الاسدي

فلاتياسن من صالح أن تناله * وان كان قدماً بين أيدي تبادرّه

فضحك المهدي وقال : ادفعوا الى عبد الله فلانة ، لجارية أخرى ، فقال عبد الله

ابن مصعب

أنجز خير الناس قبل وعده * أراح من مظلٍ وطول كده
فقال ابن دأب ما قلت شيئاً ، هلاً قلت

حلاوة الفضل بوعده يُنجز * لا خير في العرف كنهب ينهز

فقال المهدي

الوعد أحسن ما يكو * ن إذا تقدّمه ضمان

وقد قال أبو قابوس النصراني يمدح يحيى بن خالد

رأيت يحيى أتم الله نعمته * عليه يأني الذي لم يأت أحد
ينسى الذي كان من معروفه أبداً * الى الرجال ولا ينسى الذي يعد

وقال أبو الطيب المتنبي

قوم بلوغ الغلام عند هم * طعن نخور الحكمة لا الحلم
كانما يولد الندى معهم * لا صغر عاذر ولا هرم

إذا تولوا عداوة كشفوا * وان تولوا صنيعة كتموا
تظن من فقدك اعتدادهم * أنهم أنعموا وما علموا

ودخل أبو عليّ البصير على الفضل بن يحيى فأنشده

وَصِفَ الصَّدِّ لِمَنْ أَهْوَى فَصَدَّ * وبدا يمزح بالهجر فجَدَّ
 ماله يعدل عني وجهه * وهو لا يعدله عندى أحد
 لا تريدوا غرة الفضل ومن * يطلب الغرة في خيس الأسد^(١)
 ملكٌ ندفع ما نخشى به * وبه نصلح منا ما فسد
 ينجز الناس إذا ما وعدوا * وإذا ما أنجز الفضل وعد
 وقال ابن الرومي في هذا المعنى

له مواعد بالخيرات بادره * لكنها تسبق الميعاد بالصفد^(٢)
 يعطيك في اليوم حق اليوم مبتدئاً * ولا يضيّع بعد اليوم حق غد

المعرفة بقدر النعمة

خطب سليمان بن عبد الملك فقال: أيها الناس من لم يعلم أبواب مدخله في الكرامة
 وجهل طريقته أتى وقعت به على النعمة، كان بعرض رجوع إلى دار هوان،
 وانقلاب بفادح خسران. فقام إليه أبو وائلة السدوسي وهو حاجبه فقال:
 يا أمير المؤمنين كنا كما قال الله تعالى هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم
 شيئاً مذكورا، ثم صرنا كما قال زهير

يد الملك الجليل تناولتهم * باحسان فليس لها مزيل
 لأن الخير أجمع في يديه * وربى بالجزاء له كفيل

فقال سليمان هذه والله المعرفة بقدر النعمة، والعلم بما يجب للنعم (ورى)
 يونس بن الخثار في دار المأمون ومرتبته في أعلى مراتب بني العباس قلعا على
 الأرض، فقال الحاجب ارتفع يا أبا المعلّى إلى مرتبتك، قال قدر فني الله إليها بأمر
 المؤمنين وليس لي عمل يفي بها، فلم لأكرمها عن القعود عنها إلى أن يتميأ إلى الشكر
 عليها؟ فبلغ الكلام المأمون فقال: هذا والله غاية الشكر، وبمثلته تدر النعم

(١) خيس الأسد: عرينه (٢) الصفد: العطاء

وقال رجل للمعلّى بن أيوب وقد رفعه المعتصم الى مرتبة أهل بيته ، ما يزيذك التقريب
الا تباعدا ، فقال يا هذا انى أصون تقريبه اياى بتباعدى منه ، لئلا تفسد حرمتى
عنده بقلة الشكر على نعمته (ولما) استعان المنصور بالхарث بن حسان قال له يا حارث
انى قد مكنتك من حسن رأي فيك ، فاحفظه بترك إغفال ما يجب عليك ، قال يا أمير
المؤمنين من أغفل سبب حلول النعمة ، ولها عن الحال التى أصارته اليها ، استصحب
اليأس من نيل مثلها ، وانقطع رجاءه من الزيادة فيها ، فقال أبو جعفر من كانت
عنده هذه المعرفة دامت النعمة له ، وبقي الاحسان اليه (ولما) قال المأمون لعبد الله
ابن طاهر عند قدومه من مصر : ما سرنى الله منذ وليت الخلافة بشيء عظيم موقعه
عندى ، بعد جميل عافية الله ، هو أكثر من سرورى بقدومك ، فقال عبد الله
ائذن لى يا أمير المؤمنين فى تفريق أموالى من طارف وتالد ، قال ولم ؟ قال شكراً
على هذه الكلمة ، والأقصر بى الحياء عن النظر الى أمير المؤمنين ، فقال
المأمون لمن حضر من أهل بيته وقواده : ما شئ من الخلافة يفي لعبد الله ببعض
شكره . وقال أبو نواس

قد قلت للعباس معتذراً * عن ضعف شكره ومعترفاً
أنت امرؤٌ جالئنّى نعماً * أو هت قوئى شكرى فقد ضعفاً
فاليك منى اليوم تقدمةً * تلقاك بالتصريح مكتشفاً
لاتسدينّ الى عارفةً * حتى أقوم بشكر ما سلفاً

عارضه الناشئ واعرّض معناه فقال

إن أنت لم تحدث الى يداً * حتى أقوم بشكر ما سلفاً
لم أحظ منك بنائل أبداً * ورجعت بالحرمان منصرفاً

وقال ابن الرومى

عاقنا أن نعود أنك أولي * متأموراً يضيق عنها الجزاء
غمرتنا منك الايدى اللواتى * ما معاشارها لدينا كفاء

فتهاناً عنك الحياء طويلاً * ثم قد ردّنا إليك الحياء
ولما حقّ إن قربت التناؤى * ولما حقّ أن برزت الجفاه
غير أنا أنضاء شكر أريحت * وقديماً أريحت الأنضاء (١)

العجز عن الشكر

(ألقاظ لأهل العصر في العجز عن الشكر لتسكّات الانعام والبر) عندي من
بره ماملك الاعتذار بأزمته ، وقبض السنة أمراء الكلام وأتمته ، عندي له مبار
أعجزني شكرها ، كما أعوزني حصرها ، شكره شأو بعيد لا تبلغه أشواطي ،
ولا أتلافى التفریط في حقه بافراطی ، إحسانه يبيد العرب عجماً ، والفصحاء بكما ،
قد زحمتي من مكارمه ما يحصر عنه المبین ، ويصحبه العی وبئس القرین . وقال اعرابی
رهنت يدي بالعجز عن شكر بره * وما فوق شكری للشكور مزيد
ولو كان شيئاً يستطيع استبطه * ولكنّ مالا يستطيع شديد
وقال بجي بن أكنم : كنت عند المأمون فأتى برجل ترعد فرائضه ، فلما
مثل بين يديه قال المأمون : كفرت نعمتي ، ولم تشكر معروفی ، فقال يا أمير المؤمنين
وأيّن يقع شكری في جنب ما أنعم الله بك علیّ ، فنظر الىّ المأمون وقال متمثلاً
ولو كان يستغنى عن الشكر ماجد * لرفعة قدر أو علو مكان
لما أمر الله العباد بشكره * فقال اشكروا لي أيها الثقلان
ثم التفت الى الرجل فقال : هلا قلت كما قال أصرم بن حميد
ملككت حمدي حتى اني رجل * كلّي بكل ثناء فيك مشتغل
خولت شكری لما خولت من نعم * فحُرْ شكری لما خولتني خول (٢)
وقال أبو الفتح البستي
لئن عجزت عن شكر برك قوتي * وأقوى الوری عن شكر برك عاجز

(١) الأنضاء : المهازيل (٢) خول : خادم

فان ثنائى واعتقادى وطاقى * لأفلاك ما أو ليتنيها مرا كز
وقال أبو القاسم الزعفرانى

لى لسان كأته لى معادى * ليس يبنى عن كنه مافى فؤادى
حكم الله لى عليه فلو أا * صف قلبى عرفت قدر ودادى

وقال اسماعيل بن القاسم أبو العتاهية يمدح عمر بن العلاء
إنى أمنت من الزمان وريبه * لما علقت من الأمير حبالا
لو يستطيع الناس من إجلاله * لحدوا له حرّ الوجوه نعالا
ما كان هذا الجود حتى كنت يا * عمرّ ولو يوماً نزول لزالا
إن المطايا تشتكى لأنها * قطعت اليك سبابها ورمالا
فاذا وردن بنا وردن مخفّة * واذا صدرن بنا صدرن ثقالا

وهى قصيدة سهلة الطبع ، سلسلة النظام ، قريبة المتناول . وروى ان عمر بن
العلاء وصله عليها بسبعين ألف درهم فحسده الشعراء ، وقالوا لنا بباب الأمير
أعوام نخدم الآمال ، ما وصلنا الى بعض هذا فاقصل ذلك به فأمر باحضارهم فقال
بلغنى الذى قلتم وان أحدكم يأتى فيمدحنى بالقصيدة يشبب فيها فلا يصل الى
المدح حتى تذهب لذة حلاوته ، ورائق طلاوته ، وان أبا العتاهية أتى فشبب
بأبيات يسيرة ثم قال : ان المطايا تشتكى لأنها وأنشد الأبيات . وكان أبو العتاهية
لما مدحه بهذا الشعر تأخر عنه بره قليلا فكتب اليه يستبسطه

أصابت علينا جودك العين يا عمر * فنحن لها نبغى التأمم والشر^(١)
أصابتك عين فى سخائك صلبة * ويارب عين صلبة تغلق الحجر
سنرقبك بالأشعار حتى تملأها * فان لم تفق منها رقيقناك بالسور
وقال

يا ابن العلاء ويا ابن القرم مرداس * إنى مدحتك فى صحفى وجلّاسى

أثنى عليك ولى حالاً تكذّبنى * فيما أقول فأستحي من الناس
حتى إذا قيل ما أولاك من صفدٍ * طأطأت من سوء حالى عندها راسى
فأمر حاجبه أن يدفع اليه المال وقال لا تدخله علىّ فأنى أستحي منه

غرام أبى العتاهية

وذكر بعض الرواة أن المهدي خرج متصيذاً فسمع رجلاً يتغنى من
القصيدة التى مرت منها الايات فى عمر بن العلاء أنفاً

يا من تفرّد بالجمال فما ترى * عنى على أحدٍ سواء جمالا
أكثر فى قولى عليك من الرقى * وضربت فى شعرى لك الامثالا
فأبيت إلا جفوةً وقطيعةً * وأبيت إلا نخوةً ودلالا
بالله قولى إن سألتك واصدق * أوجدت قتلى فى الكتاب حلالا
أم لا فقيم جفوتى وظلمتى * وجعلتنى للعالمين نكالا
كم لائم لو كنت أسمع قوله * قد لامنى ونهى وعدّ وقالا

فقال المهدي على به. فجاء فقال لمن هذا الشعر؟ قال لاسماعيل بن القاسم أبى
العتاهية ، قال لمن يقوله ؟ قال لعتبة جارية المهدي ، قال كذبت لو كانت جاريتي
لوهبتها له ، وكانت عتبة لريطة بنت أبى العباس السفاح ، وكان أبو العتاهية قد
بلغ من أمرها كل مبلغ ، وكل ذلك فيما زعم الرواة تصنع ، وتخلق ، لينذر بذلك
قال يزيد حوراء المغنى كلنى أبو العتاهية أن أكلّم له المهدي فى عتبة فقلت
إن الكلام لا يمكننى ، ولكن قل شعراً أغنيه إياه ، فقال

نفسى بشئ من الدنيا معلّقة * الله والقائم المهديّ يكفيها
انى لا يأس منها ثم يطمعنى * فيها احتقارك للدنيا وما فيها

فعملت فيه لحناً وغنيته المهدي ، فقال لمن هذا ؟ فأخبرته خبر أبى العتاهية
فقال ننظر فى أمره ، فأخبرت بذلك أبا العتاهية ، فمكث أشهراً ثم أتانى فقال هل
حدث خبر ؟ فقلت لا ، فقال غنه بهذا الشعر

ليت شعري ما عندكم ليت شعري * انما أخرّ الجوابُ لأمرٍ
ما جوابٌ أولى بكل جميل * من جواب يُردّ من بعد شهرٍ
قال يزيد فغنيت به المهدي فقال عليّ بعتبة فأحضرت ، فقال إن أبا العتاهية كلني
فيك وعندى لك وله ماتحبان ، فقالت له قد علم مولاي أمير المؤمنين ما أوجبه
من حق مولاتي ، فأريد أن أذكر لها ذلك ، قال فافعلي ، فأعلمت أبا العتاهية
بما جرى ومضت الايام ، فسألت معاودة المهدي ، فقلت له قد عرفت الطريق فقل
ما شئت حتى أغنيه ، فقال

أشربت قلبي من رجائك ما له * عَنقُ اليك يَحْبُبُني ورسم^(١)
وأملت نحو سماء صوبك ناظري * أرعى مخايلَ برقها وأشيم^(٢)
ولقد تنسّمت الرياح لحاجتي * وإذا لها من راحتك نسيم^١
ولربما استيأست ثم أقول لا * إن الذي ضمن النجاح كريم^٢
فغنيت به الشعر فقال عليّ بعتبة فأنت ، فقال ما صنعت ؟ قالت ذكرت ذلك
لمولاتي فأبته وكرهته ، فليفعل أمير المؤمنين ما يريد ، فقال ما كنت لأفعل
شيئاً تكرهه ، فأعلمت أبا العتاهية بذلك فقال

قطعت منك حبايل الآمال * وأرحت من حل ومن ترحال
ما كان أشأم إذ رجاؤك قادى * وبنات وعدك يعتلجن ببالي
ولئن طمعت لرُبَّ برقٍ خُلب * مالت بذى طمع ولمعة آل^(٣)
وقد ثقلت هذه الحكاية على غير هذا الوجه والله أعلم بالحق في ذلك

نفى أبي العتاهية

وضرب المهدي أبا العتاهية مائة سوط لقوله

ألا إن ظمياً للخليفة صادني * ومالي على ظبي الخليفة من عدوى

(١) العنق والرسم من أنواع السير (٢) أشيم : أفظر (٣) البرق الخلب
ما لا مطر فيه ، والآل السراب

وقال: أبى يتمرس ، ولحرى يتعرّض ، وبئسائى يعبت ؟ ونفاه الى الكوفة
وفى ضربه يقول أبو دهمان

لولا الذى أحدث الخليفة للعشا * ق من ضربهم اذا عشقوا
لبحت باسم الذى أحب ولكنى * امرؤ قد ثنائى الفرق
وكان أبو العتاهية بالكوفة لما نفى يذكر عتبه ، ويكنى باسمها ، فمن ذلك قوله
قل لمن لست أسمى * بأبى أنت وأمى
بأبى أنت لقد أصبح * ت من أكبر همى
ولقد قلت لأهلى * اذا ذاب الحب لحي
وأرادوا لى طيباً * فاكتموا منى بعلى
من يكن يجهل ما ألقى * فان الحب سقى
إن روحى لبغدا * دوفى الكوفة جسمى

وقوله

أمسى ببغداد ظي لست أذكره * الا بكيت اذا ما ذكره خطرا
إن الحب اذا شطت منازلُه * عن الحبيب بكى أوحنّ أودكرا
يارب ليل طويل بت أرقبه * حتى أضاء عمود الصبح فانفجرا
ما كنت أحسب إلا مذكركم * أن المضاجع مما ينبت الإبرا
والليل أطول من يوم الحساب على * عين الشجي اذا ما نومه نفرا
ولما قدمت عتبه ببغداد قدم معها أبو العتاهية وتلطف حتى اتصل بالرشيد
فى خلافة أبيه المهدي ، وتمكن منه ، وبلغ المهدي خبره فأحضره ، فقال يابأس
أنت مستقتل ، وسأله عن حاله فأشده قصيدته التى يقول فيها

أنت المقابل والمداد بر فى المناسب والعديد
بين العمومة والخبوء لة والأبوة والجدود
فاذا انتميت الى أبى لك فأنت فى المجد المشيد

وإذا انتمى خالٌ فما * خال بأكرم من يزيد
يريد يزيد بن منصور ، وكانت أم المهدي أم موسى بنت منصور الحميري
وأنشده

علم العالم أن المنايا * سامعات لك فيمن عصاكا
فاذا وجهتها نحو طاع * رجعت ترعف منه فناكا
ولو ان الريح بارتك يوماً * في سماع قصرت عن نداكا
وأنشده

أنته الخلافة منقادة * اليه تجرّر أذيالها
فلم تك تصلح إلا له * ولم يك يصلح إلا لها
ولو رامها أحد غيرُه * لزلزلت الأرض زلزالها
ولو لم تطعه بنات القلوب * لما قبل الله أعمالها

فقال له المهدي ان شئت أدبناك بضرب وجيع ، لاقدامك على ما نهيت
عنه ، وأعطيناك ثلاثين ألف درهم جائزة على مدحك لنا ، وان شئت عفونا عنك
فقط . فقال بل يضيف أمير المؤمنين الى كريم عفوه جميل معروفه ، ومكرمتان
أكثر من واحدة ، وأمير المؤمنين أولى من شفيع نعمته ، وأتم كرمه . فأمر له بثلاثين
ألف درهم وعفا عنه — ولما قدم الرشيد الرقة أظهر أبو العتاهية الزهد والتصوف
وترك الغزل فأمره الرشيد أن يتغزل فأبى فحبسه فغنى بقوله

خليلاً مالى لا تزال مضرتى * تكون على الأقدار حتماً من الختم
كفالك بحق الله ما قد ظلمتني * فهذا مقام المستجير من الظلم
ألا فى سبيل الله جسمى وقوتى * ألا مسعديّ حتى أنوح على جسمى

فأمر باحضاره وقال : بالأمس ينهك أمير المؤمنين المهدي عن الغزل فتبأى
الاجاجا ومحكا ، واليوم أمرك بالقول فتبأى جرأة على واقداما ، فقال يا أمير المؤمنين
ان الحسنات يذهبن السيئات ، كنت أقول الغزل ولى شباب وجدة ، وبى

حراك وقوة ، وأنا اليوم شيخ ضعيف لا يحسن بمثلي تصاب ، فردّه الى حبسه
فكتب اليه

أنا اليوم لى والحمد لله أشهر * يروح على الغم منك ويكر
تذكر أمين الله حق وحرمتي * وما كنت توليني لعلك تذكر
ليالى تدنى منك بالقرب مجلسي * ووجهك من ماء البشاشة يقطر
فن لى بالعين اتى كنت مرة * الى بها من سالف الدهر تنظر
فبعث اليه: لا بأس عليك، فقال

كأن الخلق ركب فيه روح * له جسد وأنت عليه رأس
أمين الله إن الحبس بأس * وقد وقعت ليس عليك بأس
فأخرجه ، أخذ البيت الاول من هذين على بن جبلة وزاد فيه فقال لأبي
غانم الطوسي

دجلة تسقى وأبو غانم * يطعم من تسقى من الناس
واخلق جسم وامام الهدى * رأس وأنت العين فى الرأس

أوصاف الى جال

وكان عمر بن العلاء ممدّحاً، وفيه يقول بشار بن برد
إذا أيقظتك حروب العدى * فنبه لها عمراً ثم نم
دعاني الى عمر جوده * وقول العشيرة بحر خضم
ولولا الذى ذكر والم أكن * لأمدح ريحانة قبل شم
فتى لا يبيت على دمنة * ولا يشرب الماء الا بدم
أخذ هذا البيت أبو سعيد الخزومي فقال

وما يريدون لولا الجبن من رجل * بالليل مشتمل بالجر مكتحل
لا يشرب الماء الا من قليب دم * ولا يبيت له جار على وجل^(١)

وقال أبو الطيب

تعوّد أن لا تقضم الحب خيله * إذا الهام لم ترفع جنوب العلائق
ولا ترد الغربان الا وماؤه * من الدم كالريحان تحت الشقائق

وقال أبو القاسم بن هاني

من لم ير الميدان لم يرَ معركاً * أشباً ويوماً بالأُسنة أكهبا (١)
وكتائباً تردى غواربها العدى * وفوارسا تعدو صواجلها الظبا
لا يوردون الماء سُنْبِكَ سابعٍ * أو يكتسى بدم الفوارس طُحلباً (٢)

قال وبلغ عمر بن العلاء أن أبا العتاهية عليه عاتب في هَناءة نالها منه في مجلس
وكان كثير الانقطاع اليه فتخلف عنه ، فساء ذلك عمر فكتب اليه : قد بلغني
الذي كان من تجنبك فيما استخفك به سوء الأدب عن علم حقيقة مني ، فصرت
مترددا من العمى في يلاميع الشبهة ، ولو كان معك من علمك داع الى لقائي لكشفت
لك مورد الأمر ومصدره لترجع الى الصلة ، فتقال أو تأتي الا الصريمة فتصرم
وقد قال الاول

ومُسْتَعْتَب أبدي على الظن عَتَبُهُ * وأخرج منه المحفظات غليلُ
كشفت له عنذرا فأبصر وجههُ * فعاد الى الانصاف وهو ذليلُ

فأجابه أبو العتاهية لم أجز بعنبي الحقيقة الى الشبهة ، ولم أجد سعة مع عظيم
قدرتك الى حمل اللأئمة ، فقصر بي الخوف من سخطك ، على ترك معاتبتك ،
لأن المعاتبة لا تجتنى الامن المساوى ، ولو رغبت عن الصلة الى القطعية لتقاضيتك
ذلك عن طول الصحبة وسالف المدّة ، وأنا أقول

رضيت ببعض الذل خوف جميعه * وليس لمثلئ بالملوك يدان
وكنت أمراً أخشى العقاب وائق * مغبةً ماتجنى يدي ولساني

(١) أ كهب : مظلم (٢) الطحلب : خضرة تملو الماء الزمن

فهل من شفيع منك يضمن توبتي * فاني امرؤ أو في بكل ضمان
 فتراجعا الى أحسن ما كانا عليه ، وإنما ألم أبو العتاهية في قوله ان المطايا
 تشتكيك وما يليه بقول أبي الحجناء نُصِيبُ الأَكْبَرُ
 فهاجوا فأنثوا بالذي أنت أهله * ولوسكتوا أنثت عليك الحقائقُ
 وقال أبو الطيب في أبي العشائر الحمداني

تنشد أنوابنا مدائحهُ * بالسنِ ما لمن أفواه
 اذا مررنا على الأصم بها * أغنته عن مسمعيه عيناه
 وهذا المعنى من القضية الدالة بذاتها التي ذكرتها عن الجاحظ في أقسام البيان

شواهد الايمان

وقال بعض الخطباء أشهد أن في السموات والارض آيات ودلالات ، وشواهد
 قائمات ، كل يؤدي عنك الحجة ، ويشهد لك بالربوبية ، ونظير هذا قول أبي
 العتاهية وروى أنه جلس في دكان ورَّاق وأخذ كتابا فكتب على ظهره
 فواعجبا كيف يعصى المليك * أم كيف يججده الحاجدُ
 ولله في كل تحريكة * وتسكينة في الوري شاهدُ
 وفي كل شيء له آية * تدل على أنه واحدُ
 وانصرف فاجتاز أبو نواس بالموضع فرأى الأبيات فقال لمن هذا فلوددتها
 لي بجميع شعري ، ف قيل لاسماعيل بن القاسم فوقع تحتها

سبحان من خلق الخلق * ق من ضعيف مهين
 فصاغه من قرار * الى قرار مكين
 يحول شيئا فشيئا * في الحجب دون العيون
 حتى بدت حركاته * مخلوقة من سكون
 وقال الفضل بن عيسى الرقاشي: سل الارض من غرس أشجارك ، وشق

أنهارك ، وجنى ثمارك ، فان لم تجبك حوارا ، أجابتك اعتبارا ؛ وهذا شبيه بقول
عدي بن زيد وقد نزل النعمان بن المنذر تحت سرحة فقال أتدري ما تقول هذه
السرحة أيها الملك ؟ قال وما تقول ؟ قال تقول

ربّ ركب قد أناخوا حولنا * يشربون الخمر بالماء الزلال
ثم أضحوا لعب الدهر بهم * وكذلك الدهر حالا بعد حال
ويروى عكف الدهر بهم فثبوا فتكدر حال النعمان وما كان فيه من لذة

دلالة الحال

ألفاظ لأهل العصر في الشكر بدلالة الحال : لو سكبت الشاكر ، لنطقت
المآثر ، لو صمت المخاطب ، لأنتت الحقائق ، وأشهد شواهد حاله ، على صدق
مقاله ، ان جحدت ما أولانيه ، وكفرت ما أعطانيه ، نطقت آثار أياديهِ على ،
ولمعت أعلام عوارفه لديّ (ولأبي الفضل الميكالي من رسالة) ورد فلان فتعاطى
من شكره على نعمه التي أبسه جمالها ، وأسحبه أذيلاها ، ما لو لم يتحدث به ناشرا
ومثنيا ، ومعيدا ومبديا ، لأنتت به حاله ، وشهدت به رحاله ، حتى لقد امتلأت
بذكره المحافل ، وسارت بخبره الركبان والقوافل ، وصارت الألسنة على الشكر
والثناء لسانا ، والجماعة على النشر والدعاء أنصاراً وأعوانا ، على انه وان بالغ
في هذا الباب ، وجاوز حدّ الإكثار والاسهاب ، نهايته القصور دون واجبه ،
والسقوط عن أدنى درجاته ومراتبه — ومما يقتزن لهم بهذا المعنى من ذكر
الشكر ، قال أبو الفتح البستي : الحر تحل الشكر ، ان أجناه المرء من خيرهِ شكرا أجناه
من برّه شهدا (غيره) الشكر ترجمان النية ، ولسان الطويّة ، وشاهد الاخلاص
وعنوان الاختصاص ، الشكر نسيم النعم ، وهو السبب الى الزيادة ، والطريق
الى السعادة ، الشكر قيد النعمة ، ومفتاح المزيد وثمن الجنة ، من شكر قليلا ،
استحق جزيلا ؛ شكر المولى هو الاولى ، الشكر قيد النعم وشكلاها ، وعقلاها ،

وهو شبيه بالوحش اتى لا تقيم مع الايحاش ، ولا تريم مع الايناس ، موقع الشكر من النعمة موقع القرى من الضيف ، ان وجده لم يرم ، وان فقدته لم يقيم ، الشكر غرس إذا أودع سمع الكريم أثمر الزيادة ، وحفظ العادة ، الشكر تعرض العزير السائغ ، والنعم السوابغ ، شكر شكر الأسير لمن أطلقه ، والمملوك لمن أعتقه ، أنفى عليه ثناء الروض الممحل ، على الغيث المسبل ، أنفى عليه ثناء لسان الزهر على راحة المطر ، أنفى عليه ثناء العطشان الوارد ، على الزلال البارد ، شكره شكر الارض للديم ، وزهير لهريم ، بسط لسان الثناء والدعاء ، وبلغ عنان الشكر عنان السماء ، شكره شكر اترتاح له المسكارم ، وتهتزل المواسم ، لا شكر نه شكرًا تشيع أنواعه ، وتنسبط أبواعه ، ويلذ ذكره وسماعه - شكر ملأ القلب واللسان كشكر حسان لآل غسان ، أطال عنان الشكر وفسح مجاله ، ورفع أعمده ، ومد أروقه ، شكر كأنفاس الاحباب ، أو أنفاس الاسحار ، أو أنفاس الرياض غب القطار

شعر نصيب

رجع ما انقطع : كان سبب قول نصيب * فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله *
انه كان مع الفرزدق عند سليمان بن عبد الملك فقال سليمان بن عبد الملك يا فرزدق من أشعر الناس ؟ قال أنا يا أمير المؤمنين ، قال لماذا ؟ قال بقولى
وركب كأن الريح تطلب عندهم * لهايرة من جذبها بالعصائب
سروا وسرت نكباء وهى تلفهم * إلى شعب الاكواردات الحقائق
إذا آنسوا ناراً يقولون ليها * وقد خصرت أيديهم نار غالب
يريد أباه وهو غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع فأعرض عنه سليمان كالمغضب لانه انما أراد أن ينشده مدحاً فيه ففهم نصيب مراده فقال يا أمير المؤمنين قد قلت أبياتاً على هذا الروى ليست بدونها فقال هاتها فأنشأ نصيب يقول
أقول لركب قافلين لقيتهم * قفا ذات أوशल ومولاك قارب

فقد أخبروني عن سليمان انني * لمعرفه من آل ودان طالب
 فعاجوا فأتوا بالذي أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائق
 فقالوا تركناه وفي كل ليلة * يطيف به من طالبي العرفراكب
 ولو كان فوق الناس حي فعاله * كفعلك أو للفعل منك يقارب
 لقلنا له شبه ولكن تعذرت * سواك عن المستشفعين المطالب
 هو البدر والناس الكواكب حوله * وهل تشبه البدر المنير الكواكب
 فقال سليمان أحسنت ، والتفت الى الفرزدق فقال كيف تسمع يا أبا فراس ؟
 قال هو أشعر أهل جلده ، قال وأهل جلده ، فخرج الفرزدق وهو يقول
 وخير الشعر أكرمه رجالاً * وشر الشعر ما قال العبيد

قال أبو العباس محمد بن يزيد وهذا باب في المدح حسن متجاوز مبتدع لم
 يسبق اليه قول نصيب من أهل ودان (قال اسحاق بن ابراهيم) الموصلي ذكر
 محمد بن كناسة والزبيدي أن نصيبا من أهل ودان وكان عبدا للرجل من بني كنانة
 هو وأهل بيته ، وزعم أبو هفان أنه عبد لعبد العزيز بن مروان وكان نصيب شديد
 السواد وهو القائل

كسيت ولم أملك سواداً وتحتة * قميص من القوهي بيض نبائقة
 فضاخر أثوابي سوادى وانى * لكالمسك لا يسلو عن المسك ذائقة
 وقال سحيم عبد بن الحسحاس
 أشعار عبد بن الحسحاس قن له * عند الفخار مقام الاصل والورق
 ان كنت عبداً فنفسي حرة كرما * أو أسود اللون اني أبيض الخلق
 وقال أبو الطيب المتنبي لكافور الاخشيدي

انما الجلد ملبس وايضاخ الخلق خير من ابيضاض القباء
 وقال نصيب لبعض ملوك بني أمية ان لي بنات نفضت عليهن من سوادى ، فقال
 ما أحسن ما تلطفت لهن ! وأمر له بصلة . وكان أبو تمام حبيب بن أوس لما مدح
 أبا جعفر محمد بن عبد الملك الزيات بقصيدته التي أولها

لهان علينا أن نقول وتفعلا * ونذكر بعض الفضل منك وتفضلا
وهي من أحسن شعره ، وقع له على ظهرها
رأيتك سمح البيع سهلاً وانما * يغالى اذا ماض بالشئ بأبعه
فأما اذا هانت بضائع بيعه * فيوشك أن تبقى عليه بضائعه
هو الماء ان أجمته طاب وردة * ويفسد منه أن تباح مشاعه
فأجابه بقصيدة طويلة واحتج عليه واعتذر اليه في مدحه لغيره فقال
في بعض ذلك

أما القوافي فقد حصنت غرتها * فما يصاب دمٌ منها ولا سلبُ
منعت إلا من الا كفاء أيمها * وكان منك عليها العطف والحدبُ
ولو عضلت عن الا كفاء أيمها * ولم يكن لك في اظهارها أربُ
كانت بنات نصيب حين ضن بها * على الموالى ولم تحفل بها العرب
وقد قيل ان أبا تمام أجابه بقوله

أبا جعفر ان كنت أصبحت شاعراً * أسامح في بيعي له من أبايعه
فقد كنت قبلى شاعراً تاجراً به * تساهل من عادت عليك منافعه
فصرت وزيراً والوزارة مكرع * يغص به بعد اللداذة كارعه
وكم من وزير قد رأينا مُسلطاً * فعاد وقد سُدَّت عليه مطالعه
ولله قوس لا تطيش سهامها * ولله سيف لا تنفل مقاطعه

قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولى ويقال إن هذه الأبيات منحولة لحبيب وليس
مثل أبي جعفر فى جلالة قدره واصطناعه لحبيب يعامل بمثل هذا الجواب ولا
ينتهى جهل حبيب أن يقابل مأموله ومن يرتجى جليل الفائدة منه بهذه الابيات ،
وقد قيل بل قالها ولم ينشدها أحداً ، وانما ظهرت بعد موته ، وكان ابن الزيات
كما قال شاعرا ومدح الحسن بن سهل فى وزارته للمأمون وأعطاه عشرة آلاف
درهم فقال

لم أمتدحك رجاء المال أطلبه * لكن لتلبسني التحجيل والغررا
 ما كان ذلك إلا أنى رجل * لأقرب الورد حتى أعرف الصدرا
 قال الصولى وكان السبب الذى أوجد أبا جعفر على أبى تمام حتى قال لقد رأيتك
 سهل البيع الابيات قول أبى تمام قصيدته المشهورة فى ابن أبى دؤاد التى أولها
 سقى عهد الحى سيل العباد * وروى حاضراً منه وباد
 نزحت به ركنى الدمع لما * رأيت الدمع من خير العباد
 يقول فيها فى مدحه

همم عظم الاثافي من نزار * وأهل الهضب منها والنجاد
 معرّس كل معضلة وخطب * ومنبت كل مكرومة وآد
 إذا حدث القبائل ساجلوهم * فأنهم بنو المجد التلاد
 يفرج عنهم الغمرات بيض * جلاد تحت قسطلة الجلاد
 وحشو حوادث الايام منهم * معاقل مطرد وبنو طراد
 لهم جهل السباع إذا المنايا * تمشت فى الوغى وحلوم عاد
 لقد أنست سلوى كل دهر * محاسن أحمد بن أبى دؤاد
 متى تحلل به تحلل جنابا * رضيعا للسوارى والغواذى
 وما اشتبهت سهيل المجد الا * هداك لقبة المعروف هاد
 وما سافرت فى الآفاق إلا * ومن جدواك راحلتى وزادى
 مقيم الظن عندك والأمانى * وان قلقت ركبى فى البلاد
 وهذه النكت التى أحقدت أبا جعفر ، وأعتبته على أبى تمام ، وفى هذه
 القصيدة يقول معتذراً إليه فى الذى قرب به عنده من هجاء مضر
 أنانى عابر الأنباء تسرى * عقاربته بداهية نادر^(١)
 ثنا خير كأن القلب منه * يُجرّبه على شوك القتاد

بأنى نلت من مضرٍ وخَبَّتْ * اليك شكيَّتِي خَبَبَ الجواد
وماربع القطيعة لى ربع * ولانادى الأذى منى بنادٍ
وأين يجور عن قصد لسانى * وقلبي رأنح برضاك غاد
ومما كانت الحكماء قالت * لسان المرء من خَدَمَ الفؤاد
وقدماً كنت معسول القوافى * ومأدوم المعانى بالسَّداد

ابن أبي دؤاد

وكان ابن أبي دؤاد غالباً فى التعصب لإياد ، والحاقيها بنزار ، على مذهب
نُساب العدنانيين . قال وكل من بالعراق من إياد دخلوا فى النخع واليهم ينسبون
ومن كان بالشام فلم على نسبهم فى نزار ، وابن أبي دؤاد يرمى بالدعوة ، والتكثير
من أخباره يخرج الى ما أخافه من تطويل التصرف ، فى مملول التكلف
وكان ابن أبي دؤاد عالماً بضروب العلم والأدب ، متصرفاً فى صناعة الجدل ،
على مذهب أهل الاعتزال ، وكانت العداوة بينه وبين ابن الزيات بينة ، والنفاسة
فى الرياسة بينهما متمكنة ، وقال له بعض الشعراء

أكل أبي دؤاد من أيادٍ * فكل أبي ذؤيب من هذيل
قال مسلم: ماتاه الاوضاع ، ولا فاخر الاسقيط ، ولا تعصب الا دخيل . وقال
مدني لرجل ممن أنت ؟ فقال من قريش والحمد لله ، قال بأبى أنت ، التحميد
هاهنا ريبة ! واسم أبي دؤاد دعى ، قال أبو اليقظان : وهم من قبيلة يقال لها
بنو زهرة اخوة بنى جدان ، وقد ذكره الطائى فى قوله

والغيث من زهر سحابة رافقة * والركن من شيبان طود حديد
ذكر شيبان لأن خالد بن يزيد الشيبانى شفع له عند ابن دؤاد فيما ينساق
الحديث اليه من موجدته عليه

قال محمود الوراق: كنت جالسا بطرف الجسر مع أصحاب لي فمر بنا أبو تمام فجلس إلينا فقال له رجل منا: يا أبا تمام أيّ رجل أنت لو لم تكن من اليمن! قال ما أحب أني بغير الموضع الذي اختاره الله لي، فمن تحب أن أكون؟ قال من مضر. قال إنما شرفت مضر بالنبي صلى الله عليه وسلم، ولولا ذلك ما قيسوا بملوكنا وأذوائنا، وفينا كذا ومنا كذا، يفخر، وذكر أشياء غلب بها مضر، ونبي الخبر إلى ابن أبي دواد وزيد فيه، فقال ما أحب أن يدخل عليّ، فقال يعتذر إليه بقصيدة أولها

سَعِدْتُ غَرَبَةَ النُّوَى بِسَعَادٍ * فِي طُلُوعِ الْإِتِّهَامِ وَالْإِنِّجَادِ

يقول فيها

بعد أن أصلت الوشاة سيوفاً * قطعت فيّ وهي غير حِداد

فنفى عنك زخرف القول سمعٌ * لم يكن فرضه لغير السداد

ضرب الحلم والوقار عليه * دون عور الكلام بالأسداد

ملأتك الأحساب أي حياة * وحيأ أزمة وحية وإد

عائق معتق من الرق إلا * من مقاساة مغرم أو نجاد

للحالات والحمائل فيه * كلحوب الموارد الأعداد

فما رضى عنه حتى تشفع إليه بخالد بن يزيد بن مزيد الشيباني فقال في قصيدة

أسرى طريداً للحياء من التي * زعموا وليس لقوله بطريد

كنت الربيع أمامه ووراءه * قمر القبائل خالد بن يزيد

وغداً تبين ما براءة ساحتي * لو قد نفضت تهامى ونجودي

لله درك أي باب مُلمة * لم يرم فيه اليك بالأقليد

لما أظلمتني غمامك أصبحت * تلك الشهود علىّ وهي شهودي

من بعد ما ظنوا بأن سيكون لي * يومٌ بزعمهم كيدم عبيد

يريد عبيد بن الابرس الأسدي وكان النعمان بن المنذر لقيه يوم يؤسه
فقتله — وكان ابن أبي دؤاد كريما فصيحاً جزلاً (قال أبو العيناء) كنا عند ابن أبي
دؤاد ومعنا محمود الوراق وجماعة من أهل الادب والعلم ، فجاء رسول ايتاخ فقال
ان الحاجب أبا منصور يقرأ على القاضي السلام ويقول : القاضي يتعنى ويحى
في الأوقات ، وقد تفاقم الأمر بينه وبين كاتب أمير المؤمنين ، يريد ابن الزيات
فصار يضربنا عنده قصد القاضي ، وما أحب أن يتعنى الى لهذا السبب ، إذ كنت
لا أصل الى مكافأته ، فقال أجيبوه عن رسالته ، فلم ندر ما نقول ، ونظر بعضنا
الى بعض ، فقال أما عندكم جواب ! قلنا القاضي أعزّه الله أعلم بجوابه منا ، فقال
لرسول اقرأ عليه السلام ، وقل له ما أتيتك متسكراً بك من قلة ، ولا متعزّزاً
بك من ذلة ، ولا طالبا منك رتبة ، ولا شاكياً اليك كربة ، ولكنك رجل
ساعدك زمان ، وحركك سلطان ، ولا علم يؤلف ، ولا أصل يعرف ، فان جئتك
فبسلطانك ، وان تركتك فلنفسك ! فعجبنا من جوابه

خالد القسري

صعد خالد بن عبد الله القسري المنبر يوم الجمعة فخطب وهو إذ ذاك أمير
على مكة فذكر الحجاج فأحمد طاعته وأثنى عليه خيراً ، فلما كان في الجمعة الثانية
ورد عليه كتاب سليمان بن عبد الملك يأمره فيه بشتم الحجاج وذكر عيوبه واظهار
البراءة منه ، وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ان ابليس كان ملكاً من
الملائكة ، وكان يظهر من طاعة الله ما كانت الملائكة ترى له بذلك فضلاً ، وكان
الله تعالى قد علم من غشه ما خفي عن الملائكة ، فلما أراد الله فضيحتة ابتلاه بالسجود
لآدم فظهر لهم ما كان يخفيه عنهم فلعنوه ، وان الحجاج كان يظهر من طاعة أمير
المؤمنين ما كنا نرى له بذلك فضلاً وكان الله عز وجل أطلع أمير المؤمنين من غله وخبئه على
ما خفي عنا فلما أراد الله فضيحتة أجرى ذلك على أيدي أمير المؤمنين فلعنوه لعنة الله ثم نزل
(٤ — ني)

الافشين التركي

وكان أبو تمام قد مدح الافشين التركي واسمه حيدر بن كلوس وكان من أجل قواد المعتصم وأبلى في أمر بابك الخرمي بلاء حمده له ، فلما سخط المعتصم عليه لما نسب اليه من سوء السيرة ، وقبح السريرة ، وانه يخطب درجة بابك ، ويريد التحصن بموضع يخلع فيه يده عن الطاعة ، وأظهر القاضي أحمد بن أبي داؤد عليه أنه على غير الاسلام ، قال أبو تمام معتذرا للمعتصم من تقديمه واجتبائه ، ولنفسه من مدحه واطرائه

ما كان لولا فحش غدرة حيدر * ليكون في الاسلام عام فجار
هذا الرسول وكان صفوة ربه * من خير باد في الأنام وقار
قد خص من أهل النفاق عصابة * وهم أشد أذى من الكفار
واختار من سعد لقيس بن أبي * سرح لعمر الله غير خيار
حتى استضاء بشعلة السور التي * رفعت له سترا من الاستار
ثم ذكر في هذه القصيدة ان قتل الافشين لبابك لم يكن بصدق بصيرة ، ولا لصحة سريرة ، فقال

والهاشمون المستقلة ظعنهم * عن كر بلاء بأثقل الأوزار
فشفاهم المختار منه ولم يكن * في دينه المختار بالمختار

المنافقون

أما من ذكر من أهل النفاق ، فقد كانوا يظهرون غير ما يسرون ، حتى أطلع الله نبيه عليه السلام على أخبارهم ، ونشر له مطوى أسرارهم ، وأما ابن أبي سرح فهو عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحسام بن الحارث بن حبيب بن خزيمة ابن نصر بن مالك بن عامر بن لؤي ، أسلم قبل الفتح واستكتبه النبي عليه السلام

فكان يكتب موضع الغفور الرحيم العزيز الحكيم وأشهاد ذلك ، فأطلع الله عليه النبي عليه السلام فهرب الى مكة مرتدا ، وأنزل فيه ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله فأهدر النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح دمه فهرب من مكة فاستأمن له عثمان رضى الله عنه فأمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أخو عثمان من الرضاة ، وأسلم فحسن اسلامه ، وولى مصر سنة أربع وعشرين فأقام عليها الى أن حصر عثمان ومات بقيسارية الشام ولم يدخل فى شئ من الفتن الحجازية فى ذلك الوقت ، وأما المختار الذى ذكره فهو المختار بن أبى عبيد بن مسعود بن عمرو ابن عمير بن عوف بن عفدة بن عروة بن عوف بن قس بن قس وهو ثقيف وكانت لأبيه فى الاسلام آثار جميلة ، وأخت المختار صفية بنت أبى عبيد زوج ابن عمر ، والمختار هو كذاب ثقيف الذى جاء فيه الحديث وكان يزعم أنه يوحى اليه فى قتلة الحسين فقتلهم بكل موضع ، وقتل عبيد الله ابن زياد ، وله أسجاع يصنعها ، وألفاظ يبتدعها ، ويزعم أنها تنزل عليه ، وتوحى اليه ، وقيل للأحنف بن قيس ان المختار يزعم أنه يوحى اليه فقال صدق ، وتلا : وان الشياطين ليوحى بعضهم الى بعض ، وأخباره كثيرة ليس هذا موضعها

كلمات مختارة

لما هزم أمية ابن خالد بن أسيد لم يدر الناس كيف يقولون له فدخل عبد الله ابن الأهم عليه فقال الحمد لله الذى نظر لنا أيها الأمير عليك ، ولم ينظر لك علينا ، فقد تعرضت للشهادة بجهدك ، إلا ان الله علم حاجة أهل الاسلام اليك فأبقاك لهم بخذلان من معك . فصدر الناس عن كلامه (ويتعلق بهذه المقامة فصل فى غرائب التكاثر) كتب حمدون بن نهراق الى عامل عزل عن عمله : بلغنى أعزك الله انصرفك عن عملك ، ورجوعك الى منزلك ، فسررت بذلك ولم استفظعه وأجزع له ، لعلمى بأن قدرك أجل وأعلى من أن يرفعك عمل تتولاه ،

أو يضعك عزل عنه ، ووالله لو لم تختار الانصراف ، وترد الاعتزال ، لكان في لطف تدبيرك ، وتقوب رويتك ، وحسن تأتيك ، ما تزيل به السبب الداعي الى عزلك ، والباعث على صرفك ، ونحن الى أن نهنيك بهذه الحال أولى بنا من أن نعزيك ، إذ أردت الانصراف فأوتيته ، وأحببت الاعتزال فأعطيته ، فبارك الله لك في منقلبك ، وهناك النعم بدوامها ، ورزقك الشكر الموجب لها الزائد فيها (وكتب ابن مكرم الى نصراني أسلم) أما بعد فالحمد لله الذي وفقك لشكره ، وعرفك هدايته ، وطهر من الارتياح قلبك ، وما زالت مخايلك ممثلة لنا حقيقة ما وهب الله فيك ، حتى كأنك لم تنزل بالاسلام موسوماً ، وان كنت على غيره مقبلاً ، وكنا مؤملين لما صرت اليه ، مشفقين مما كنت عليه ، حتى اذا كاد اشفاقنا أن يستعلي رجاءنا ، أنت السعادة بما لم تنزل الانفس تعد منك ، فأسأل الله الذي أضاء لك سبيل رشدك ، أن يوفقك لصالح العمل ، وأن يؤتيك في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ، ويقيك عذاب النار

غرائب الاذواق

قال بعض الكتاب: من الحق ما يستحسن تركه ، ويستهن بعمله ، وقد يقع من ذلك فيما يحله الشرع ، ويكرهه الأدباء ، وكثير ممن يغلب على طبعه هذا المعنى يراه سموً نفس ، وعلوً همة ، حتى رأينا من لا يحضر تزويج كريمته ويولى أمرها غير نفسه ، ورأينا من يجاوز ذلك إلى أن لا ينكح مستنكحاً ، وزاد به العلو إلى ترك ما ذكره أولى ، وكنا عرفنا حال انسان تزوجت أمه فعظم لذلك همه ، وانفرد عن أودائه ، وتوارى عن اصفياه ، حياء من لقاءهم ، وكرها تهنيتهم له أو عزائهم ، واضطرته الوحشة إلى قصد من ظن به منهم المسكة في تحامي خطابه فيما اجتنب لأجله خللانه ، وفارق لسببه اخوانه ، وتخيل ذلك المقصود انه انما لجأ اليه ليسليه ، فأفاض معه فيما قدر أنه قصد له من المعنى الذي جعله وحيداً خوف

المفاوضة ، ثم مضت الأيام واختلف الحال ، ورجع إلى العشرة وأبناء المودة ، فكان
عنده من لم يخاطبه أحطى ، وفي نفسه أوفى ، وعلى قلبه أخف ، وفي نفسه أشف
ونقم على ذلك الصديق وعتب ، اذ لكل من الناس إلا من طاب محتده ،
وطال سؤدده ، حال من الإلف والرغبة تحسن المساوى ، ثم حال من الملل
والزهادة تقبح المحاسن ، واعتذر المتكلف من التسلية بما يلزمه ، ولم يردده صفيه
فانه فعل ما أوجبه الاخوة ، وحقوق الخلطة ، وأسباب العشرة ، وانبساط المفاوضة
ودبت عقارب الظنون والوشاية ، الى أن خرجا بالملاحاة إلى المعادة ، فلما وقع
بعض الناس بينهما من معاودة الحسنى ، ومراجعة الأولى ، جاهر هذا الماقت بقرع
سن الأسف ، على تخيل النهي والوقار من الممقوت ، وظاهر الممقوت بتقريع
الماقت ، بتزويج أمه الذى تجشم من كلامه فيه فضلا ، وتكلف من خطابه عليه
ما من حسرة خلا ، فأفضى الأمر بينهما إلى الأوتار ، وطلب الثار ، فان اضطر الى
القول فى هذا المعنى أحد بأمر قاهر من السلطان ، أو حوادث الازمان ، أو تطارح
الاخوان ، فليقل وليكتب ما مثلنا إن لم يجد منه بداً : أنت بفضل الله عليك ،
واحسان تبصيره اياك ، من أهل الدين ، وخلوص اليقين ، فكما لا تتبع الشهوة
فى محذور تبغيه ، فكندا لا تتبع الأنفة فى مباح تحظره ، وقد اتصل بنا ما اختاره
الله والقضاء لذات الحق عليك ، المنسوبة بعد نسبك إليها اليك ، مما كرهه
إياؤك الديوى لك ولها ، ورضيه الحلال الدينى له ولها ، فنحن نغزيك عن فائت
محبوبك ، ونهنيك فى الخيرة فى اختيار القدر لك ، ونسأل الله أن يجعلها أبداً
معك فيما رضيت وكرهت ، وأيت وأيت . فهذا ونحوه أصوب وأسلم ، ان
اضطرت اليه ، وتركه أحسن وأحرزم : ان ملكت رأيك فيه ، والتلطف
للكتابه عما يستهجن ولا يستحسن التواجه به من أحسن الأشياء وأسدها

جدع الحلال أنف الغيرة

كتب أبو الفضل بن العميد في بابه: الحمد لله الذي كشف عنا ستر الحيرة
وهذان لستر العورة ، وجدع بما شرع من الحلال أنف الغيرة ، ومتع من عضل
الامهات ، كما متع من وأد البنات ، استنزالا للنفوس الأبية ، عن حمية الجاهلية
ثم عرض للجزيل من الاجر ، من استسلم لمواقع قضائه ؛ وعوض جزيل الثواب
من صبر على نازل بلائه ، وهناك الله الذي شرح للتقوى صدرك ، ووسع في البلوى
صبرك ، ما ألهك من التسليم بمشيئته ، والرضى بقضيته ، ووفقك له من قضاء
الواجب في أحد أبويك ، ومن عظم حقه عليك ، وجعل الله تعالى حده ما تجرعه
من أنف ، وكظمته من أسف ، معدودا يعظم الله عليه أجره ، ويجزل به
ذخره ، وقرن بالحاضر من امتعاضك لفعلها ، المنتظر من ارتماضك لدقها ،
وعوضك من أسرة فرشها ، أعواد نعشها ؛ وجعل ما ينعم به عليك من بعدها
من نعمة ، معرّى من نقمة ، وما يوليكم بعد قبصها من منحة مبرا من محنة

التهاني بالبنات

ألفاظ لاهل العصر في التهاني بالبنات : هنا الله سيدي ورد الكريمة عليه ،
وثر بها أعداد النسل الطيب لديه ، وجعلها مؤذنة باخوة بررة ، يعمرن أندية
الفضل ، ويغبرون بقية الدهر ، اتصل بي خبر المولودة كرم الله غرتها وأبنتها
نباتاً حسناً ، وما كان من تغيرك بعد اتضاح الخبر ، وانكارك ما اختاره الله لك
في سابق القدر ، وقد علمت انهن أقرب من القلوب ، وأن الله تعالى بدأ بهن
في الترتيب ، فقال جل من قائل يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور ، وما
سواء هبة فهو بالشكر أولى ، وبحسن التقبل أخرى ، أهلاً وسهلاً بعقيلة النساء ،
وأم الابناء ؛ وجالبة الاصهار ؛ وأولاد الاطهار ؛ والمبشرة باخوة يتناسقون ؛ ونجباء
يتلاحقون

فلو كان النساء كمثل هذى * لفضلت النساء على الرجال
فما التأنيث لاسم الشمس عيبٌ * ولا التذكير نخر للهِلال
والله يعرفك البركة في مطلعها ، والسعادة في موقعها ، فادرع اغتباطا ،
واستأنف نشاطا ، الدنيا مؤنثة ، والرجال يخدمونها ، والنار مؤنثة ، والذكور
يعبدونها ، والارض مؤنثة ، ومنها خلقت البرية ، وفيها كثرت الذرية ، والسماء
مؤنثة ، وقد حليت بالكواكب ، وزينت بالنجوم الثواقب . والنفس مؤنثة ،
وهي قوام الابدان ، وملاك الحيوان ، والحياة مؤنثة ، ولولاها لم تتصرف الاجسام
ولا عرف الانام ، والجنة مؤنثة ، وبها وعد المتقون ، وفيها ينعم المرسلون ، فهناك
الله ما أوليت ، وأوزعك شكر ما أعطيت ، وأطال الله بقاءك ما عرف النسل والولد
وما بقي العصر والابد ، انه فعال لما يشاء ✓

أوصاف النساء

والتصرف في النساء ضيق النطاق ، شديد الخناق ، وأكثر ما يمدح به الرجال
ذم لمن ، ووصم عليهن ، قال الرومي
مأللحسان مسيئات بنا ولنا * الى المسيئات طول الدهر تحنان
فان يبحن بعهد قلن معذرة * انا نسينا وفي النسوان نسيان
لانلزم الذكر انالم نسم به * ولا منحناه بل للذكر ذكران
فضل الرجال علينا أن شيمتهم * جود وبأس وأحلام وأذهان
وان منهم وفاء لانقوم له * وهل يكون مع النقصان رجحان
وقال أبو الطيب المتنبي

بنفس الخيال الزائر بعد هجمة * وقولته لي بعدنا الغمض تطعم
سلام فلولاً البخل والخوف عنده * لقلنا أبو حفص علينا المسلم
ألا ترى أن الجود ، والوفاء بالعهود ، والشجاعة والفتن ، وما جرى في هذا

السنن ، من فضائل الرجال ، لو مدح النساء به لكان نقصاً عليهن ، وذمّاهن ؟
ولمدح النساء أبواب تفرقت في الكتاب . أنشد رجل زبيدة بنت جعفر بن
أبي جعفر المنصور

أزبيدة ابنة جعفر * طوبى لزازرك المناب

تعطين من رجلك ما * تعطى الا كف من الرّغاب

فوثب اليه الخدم يضربونه فنعتهم من ذلك ، وقالت أرواد خيراً وأخطأ ،
وهو أحب اليها ممن أراد شراً فأصاب ، سمع قولهم شمالك أندى من يمين غيرك
فظن أنه اذا قال هكذا كان أبلغ ، أعطوه ما أمل ، وعرفوه ما جهل . وقال كثير
ولما قضينا من منى كل حاجة * ومسح بالاركان من هو ماسح
وشدت على حذب المطايا رحالنا * ولا يعلم الغادى الذى هو راح
أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا * وسالت بأعناق المطى الاباطح
نقعنا قلوباً بالأحاديث واشتفت * بذاك صدور منضجات قراح
ولم نخش ريب الدهر فى كل حالة * ولا راعنا منه سنيح وبارح
وقال

تفرّق الألف الحجيح على منى * وشتمهم شحط النوى مشى أربع

فريقان منهم سالك بطن نخلة * وآخر منهم جازع ظهر تصرع

فلم أر داراً مثلها دار غبطة * وهو اذا التفّ الحجيح بمجمع

أقلّ مقيماً راضياً بمكانه * وأكثر جاراً ظاعناً لم يودع

فأصبح لا تلقى خباء عهده * بمضربه أوتاده لم تنزع

فشاقوك لما وجهوا كل وجهة * فبانوا وخلوا عن منازل بلقع

ودخل كثير على عزة يوماً فقالت ما ينبغي أن نأذن لك فى الجلوس ، فقال ولم
ذلك ؟ قالت لأنى رأيت الاحوص ألين جانباً عند الغواني منك فى شعره ،
وأضرع خدام النساء ، وانه الذى يقول

يا أيها اللأئى فيها لأصرمها * أ كثر لو كان يغنى عنك إكثار
أ كثر فليست مطاعاً أذوشيت بها * لا القلب سال ولا فى حبها عار
ويعجبني قوله

أدور ولولا أن أرى أم جعفر * بأبياتكم مادرت حيث أدور
وما كنت زواراً ولكن ذا الهوى * إذا لم يُزر لا بد أن سيزور
لقد منعت معروفها أم جعفر * وانى الى معروفها لفقير
ويعجبني قوله

كم من دنى لها قد كنت أتبعه * ولو صحا القلب عنها كان لى تبعها
لا أستطيع نزوعاً عن محبتها * أو يصنع الحب بى فوق الذى صنعها
أدعو الى هجرها قلبى فيتبعنى * حتى اذا قلت هذا صادق نزعا
وزادنى رغبة فى الحب أن منعت * أشهى الى المرء من دنياه ما منعا
وقوله

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى * فكن حجراً من يابس الصخر جلدا
وما العيش الا مائلد وتستهى * وان لام فيه ذو الشنان وفندا
وانى لأهواها وأهوى لقاءها * كما يشهى الصادى الشراب المبردا
علاقة حب لجّ فى سنن الصبا * فأبلى وما يزداد الا تجردا
هذان البيتان ألحقهما العتبى وغيره بشعر الأحوص وأنشدها أبو بكر بن دريد
لأعرابى، فقال كثير قد والله أجاد، فما استعجبت من قولى؟ قالت قولك

وكننت اذا ماجئت أجلان مجلسى * وأظهرن منى هيبة لا تجهما
يحاذرن منى غيرة قد عرقنها * قديماً فلا يضحكن الا تبسما
تراهن إلا أن يخالسن نظرة * بمؤخر عين أو يقلبن معصما
كواظم لا ينطقن إلا محورة * رجيعه قول بعد أن تُنفها
وكن اذا ما قلن شيئاً يسره * أسر الرضى فى نفسه وتحرما

وقولك

وددت وبيت الله انك بكرة * هيجان واني مصعب ثم نهرب
كلانا به عرّ فمن يرنا يقل * على حسنهما جرباء تعدى وأجرب
نكون لذي مال كثير مغفل * فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب
اذا ماوردنا منهلا صاح أهله * علينا فما ننفك نؤذى ونضرب
ويحك لقد أردت بي الشقاء ، أفما وجدت أمنية أو طأ من هذه ؟ فخرج خجلا

غرائب الآمال

وقد تمى بمثل هذه الأمنية الفرزدق . وأغرب من هذا قول أبي صخر الهذلي
تمنيت من حبي علية انسا * على رمث في البحر ليس لنا وفر
على دائم لا يعبر الفلك موجه * ومن دوننا الالهوال واللجج الخضر
فنعضى هم النفس في غير رقبة * ويغرق من نخشى نيمته البحر
وقيل : الأمل رفيق مؤنس ، إن لم يُبلغك فقد أهلك

وقال مسلم بن الوليد

وأكثر أفعال الليالي إساءة * وأكثر ما تلقى الأمانى كواذبا

وقال آخر

منى ان تكن حقا تكن أحسن المنى * والا فقد عشنا بها زمنا رغدا
أمانى من ليلى حسان كأنما * سقتنى بها ليلى على ظلم بردا

وقال آخر

رفعت عن الدنيا المنى غير حبها * فلا أسأل الدنيا ولا أستزيدها
وقيل لاعرابي ما أمتع لذات الدنيا ؟ فقال مازحة المحب ، ومحاذة الصديق ،
وأمانى تقطع بها أيامك ، وأنشد

عليني بموعدي * وامطلي ماحييت به
ودعيني أفوز من * لك بنجوى تطلبه
فعمسى يعثر الزما * ن بحظى فينتبه

أخبار كثير عزة

وكان كثير بن عبد الرحمن بن أبي جمعة الخزاعي ، ويعرف بعزة ، على حدة خاطره ، وجودة شعره ، أحق الناس — دخل عليه نفر من قریش وهو عليل يهزئون به ، قال بعضهم فقلت له كيف تجدك ؟ قال بخير ، هل سمعتم الناس يقولون شيئاً ؟ فقلت نعم سمعتمهم يقولون انك الدجال ، فقال والله لئن قلت ذلك انى لأجد فى عيني اليمين ضعفاً منذ أيام ، وكان رافضياً يدين بالرجعة ، ويقول بامامة محمد ابن الحنفية ، والروافض يزعمون أنه دخل فى شعب باليمن فى أربعين من أصحابه ، ولا بدّ من ظهوره وفى ذلك يقول

ألا إن الائمة من قریش * ولاية الحق أربعة سواه
على والثلاثة من بنيہ * هم الأسياط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمان وبر * وسبط غيبته كبر بلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى * يقود الخليل يقدمها اللواء
تغيّب لا يرى عنهم زمانا * برضوى عنده غسل وماء

وكان خلفاء بنى أمية يعلمون ذلك منه ، ويلبسونه عليه ، دخل يوماً على عبد الملك ابن مروان فقال : نشدتك بحق على بن أبى طالب هل رأيت أعشق منك ؟ فقال يا أمير المؤمنين لو سألتنى بحقك لأخبرتكَ ، نعم بينا أنا أسير فى بعض الفلوات اذا أنا برجل قد نصب حبائله فقلت له ما أجلسك ها هنا ؟ قال أهلكنى وأهلى الجوع ، فنصبت حبائلى لأصيب لهم ولنفسى ما يكفينى سحابة يومنا ، قلت رأيت ان أقمت معك فأصبنا صيدا ، أتجعل لى منه جزءاً ؟ قال نعم ، فبينما نحن كذلك إذ وقعت ظبية ، فخرجنا مبتدرين فأسرع اليها فحلبا وأطلقها فقلت ما حالك على هذا ، قال دخلتنى لها رقة لشبهها بلىلى ، وأنشأ يقول

أيا شبه لىلى لا تُراعى فانى * لك اليوم من وحشية لصديق

أقول وقد أطلقتها من وثاقها * لأنّ ليلي ما حيت طليقُ
وروى الكلبي وابن دأب انه لما حلها قال

أذهبي في كلاءة الرحمن * أنت مني في ذمة وأمان
لا تخافي بأن تُهاجى بسوء * ما تغني الحمام في الأغصان
ترهيبني والجيد منك ليلي * والحشا والبُغام والعينان

وقال قيس بن الملوّح

راحوا يصيدون الظباء وانني * لأرى نصيئتها على حراما
أشبهن منك محاجراً وسوالفاً * فأرى على لها بذاك ذماما
اغرز على بأن أروع شبيهها * أو أن يذقن على يدي حاماً
ومن جيد شعر كثير ✓

وكانت لقطع الحبل بيني وبينها * كنا ذرة نذراً فأوفت وحلت
فقلت لها يا عزّ كل مصيبة * اذا وطنت يوماً لها النفس ذلت
ولم يلق انسان من الحب ميعه * تغمّ ولا غماء إلا تجلّت
أباحتم حتى لم يرعه الناس قبلها * وحلت تلاءاً لم تكن قبل حلت
هنيئاً مريئاً غير داء مخامر * لعزة من أعراضنا ما استحلّت
أسيئ بنا أو أحسن لا ملومة * لدينا ولا مقلية إن تقلت
ووالله ما قاربت الا تباعدت * بهجر ولا استكثرت الا أقلت
وما مرّ من يوم على كيومها * وان عظمت أيام أخرى وجلّت
فيا عجباً للقلب كيف اعترافه * وللنفس لما وطنت كيف ذلت
واني وتهيامي بعزة بعد ما * تخلّيت مما بيننا وتخلّت
لكل مرتجي ظل الغامة كلما * تبوأ منها للعقيل اضمحلت
وكان كثير قصيرا دميماً ولذلك قال
فان أكُ معروق العظام فاني * اذا ما وزنت القوم بالقوم وازنُ

ودخل كثير على عبد الملك بن مروان في أول خلافته فقال : أنت كثير ؟
فقال نعم ، فافتحه وقال : تسمع بالمعدي لا أن تراه ! فقال يا أمير المؤمنين كل
إنسان عند محله رجب الفناء ، شاهخ البناء ، على السناء ، وأنشد يقول

ترى الرجل النحيف قنزديه * وفي أثوابه أسد هصور
ويعجبك الطير إذا تراه * فيخلف ظنك الرجل الطير
بغاث الطير أطولها رقاباً * ولم تطل البزاة ولا الصقور
خشاش الطير أكثرها فراخاً * وأم الباز مقلات نزور
ضعاف الأسد أكثرها زئيراً * وأصرمها اللوائى لا تزيّر
وقد عظم البعير بغير لب * فلم يستغن بالعظم البعير
يؤوخ ثم يضرب بالهراوى * فلا عرف لديه ولا نكير
يقوده الصبي بكل أرض * ويصرعه على جنب الصغير
فما عظم الرجال لهم بزين * ولكن زينهم حسب وخير
فقال قاتله الله ! ما أطول لسانه ، وأمد عنانه ، وأوسع جناحه ، أنى لا أحسبه
كما وصف نفسه ، وأنشد أحمد بن عبيد الله لشاعر قديم

وعاذلة هبت بليل تلومنى * ولم يعتمرنى قبل ذاك عدول
تقول اتد لا يدعك الناس مملقاً * وتزرى بمن يا ابن الكرام تعول
فقلت أبت نفس على كريمة * وطارق ليل عند ذاك يقول
ألم تعلمى يا عمرك الله أنى * كريم على حين الكرام قليل
وأنى لا أخزى إذا قيل مملق * سخي وأخزى أن يقال بخيل
فلا تتبعى النفس الغوية وانظرى * الى عنصر الأحساب كيف يؤل
ولا تذهبن عينك فى كل شرمخ * له قصب جوف العظام أسيل
عسى أن تمى عرسه أنى لها * به حين يشتد الزمان بديل
إذا كنت فى القوم الطوال فطلتهم * بعارفة حتى يقال طويل

ولا خير في حسن الجسم وطولها * اذا لم تزن حسن الجسم عقول
فكائن رأينا من فروع طويلة * تموت اذا لم تحين أصول
قالا يكن جسمي طويلا فاني * له بالفعال الصالحات وصول
ولم أر كالمعروف أمّا مذاقه * فلو أمّا وجهه فجميل
وقال ابن الرومي

ونصيف من الرجال نحيف * راجح الوزن عند وزن الرجال
في أناس أوتوا حلوم العصافير فلم تغهم جُسوم البغال
أخذه من قول حسان بن ثابت وقال له بنو الديان الحارثيون قد كنا ونحن
نطول بأجسامنا على العرب حتى قلت
دعوا التجاجؤ وامشوا مشية سجعاً * ان الرجال ذوو قديّ وتذكير
لابأس بالقوم من طول ومن عظم * جسم البغال وأحلام العصافير
فكركتنا لانرى أجسامنا شيئاً ، والعرب تمدح الطول ، وتثني عليه ، وقال
عنتر بن شداد

بطل كأن ثيابه في سرحه * يحذى نعم السبت ليس بتوأم
قوله ليس بتوأم يريد ليس ممن زوحم في الرحم فضعف ، كما قال الشعبي وقد
دخل على عبد الملك بن مروان فجعل ينظر اليه ، وكان الشعبي قد وُلد توأمًا مع
أخيه ، فكان نحيفاً ، فقال يا أمير المؤمنين إني زوحت في الرحم ، وقال :
ولما تبقى الصفا واختلف القنا * نهالاً وأسباب المنايا نهالها
تبين لي أن القماء ذلة * وأن أعزاء الرجال طوالها
وقال أبو نواس

وكنا اذا ما الخائن الجدّ غرّه * سنى برق غادٍ أو ضجيج رعاد
تردى له الفضل بن يحيى بن خالد * بماضى الطيّب يزهاه طول نجاد
أمام خميس أرجوان كأنه * قميص محوّل من قنا وجياد
ومن هذا البيت أخذ أبو الطيب المتنبي قوله

وملهومة زردٌ ثوبها * ولكنّه بالقنا مخملٌ

ودخل كثير على عبد العزيز بن مروان وهو عليل ، وأهله يتمنون أن يتبسّم ، فقال : لولا أن سرورك لا يتم بأن تسلم وأستقم لدعوت الله أن يصرف مابك إليّ ، ولكنني أسأل الله أيها الأمير العافية لك ولي في كنفك ، فضحك وأمر له بمال ، فخرج وهو يقول

ونعود سيّدنا وسيد غيرنا * ليت التشكيّ كان بالعوّادِ

لو كان تقبل فدية لفديته * بالمصطفى من طارفي وتلاذي

قال محمد بن سلام الجمحي قال أبي ذا كرت مروان بن أبي حفصة شعر جرير والفرزدق وكثير فذهب الى تقديم كثير ، وجعل يطريه ويقول : هو أمدحهم للخلفاء ، فقلت أمن جودة مدحه للخلفاء قوله لعبد الملك بن مروان ترى ابن أبي العاصي وقد صُفّ دونه * ثمانون ألفاً قد توافت كمؤها يقلب عيني حية بمفازة * اذا أمكنته شدة لا يقيلها فقال هذا للخليفة ودونه ثمانون ألفاً وجعله يقلب عيني حية ، وقوله وان أمير المؤمنين هو الذي * غزا كامنات الود مني فناها زعم أن أمير المؤمنين استعطفه حتى غزا كامنات صدره ، وقوله لعبد العزيز ابن مروان

وما زالت رُفّاك تسأل ضغني * وتخرج من مكانها ضبابي

ويرقبني لك الحاؤون حتى * أجابك حية تحت الحجاب

زعم أن عبد العزيز تزكاه واحتمل له ورقاه ، حتى أجابه ، أكذا تمدح الملوك ؟ فأسكتهم

كلمات مأثورة

فصول قصار — من كان له من نفسه واعظ ، كان من الله عليه حافظ —
العبد حر اذا قنع ، والحر عبد اذا طمع — الأمانى تخدعك ، وعند الحقائق
تدعك — اذا كان الطمع هلاكاً ، كان اليأس ادراكاً — ليس يعد حكماً
من لم يكن لنفسه خصماً — تعز عن الشيء اذا منعه ، لقله ما يصحبك اذا منحت
— تجرع مضض الصبر ، تطفى نار الضر — الحكمة حفظ ما كلفت ، وترك
ما كفيت — الصبر عن محارم الله ، أيسر من الصبر على عذاب الله
شذور لأهل العصر في معان شتى — قطعة من كلام الامير قابوس بن وشمكير
شمس المعالي في أثناء رسائله : يزند الشفيق توري نار النجاح ، ومن كف المفيض
ينتظر فوز القداح ، الوسائل أقدم ذوى الحاجات ، والشفاعات مفاتيح الطلبات
العفو عن المجرم من موجبات الكرم وقبول المعذرة من محاسن الشيم ، وبالقوادم
والخوافى قوة النجاح ، وبالأسنة والعوالى عمل الرماح ، الدنيا دار تغرير
وخداع ، وملتقى ساعة لوداع ، والناس متصرفون بين كل ورد وصدر ، وصائرون
خبراً بعد أثر ، غاية كل متحرك إلى سكون ، ونهاية كل متكون أن لا يكون ، وآخر
الاحياء فناء ، والجزع على الاموات غناء ، واذا كان ذلك كذلك فلم التهاك على
الهالك — حشو الدهر أحزان وهموم ، وصفوه من غير كدر معدوم ، إذا سمح الدهر
بالحباء ، فابشر بوشك الانقضاء ، وإذا أعار ، فاحسبه قد أغار ، الدهر طعمان حلو
ومر ، والايلم ضربان عسر ويسر ، لكل شئ غاية ومنتهى ، وانقطاع وان بلغ
المدى ، ترك الجواب داعية الارتياح ، والحاجة الى الاقتضاء ، كسوف في وجه
الرجاء ، هم المنتظر للجواب ثقيل ، والمدى فيه وان كان قصيراً طويل ، التجيب اذا
جرى لم يشق غباره ، واذا سرى لم تلحق آثاره ، ومن أين للضباب صوب السحاب

وللغراب هوى العقاب ، وهيهات أن تكتسب الأرض لطافة الهواء ، ويصير البدر كالشمس في الضياء

شمس المعالي

وقد ترجم عن شمس المعالي أبو منصور الشعالي في كتاب ألفه له . قال في أوله : أما على أثر حمد الله الذي هو أول كتابه ، وآخر دعوى ساكني دار نوابه ، والصلاة على خيرته ، من بريته ، وعلى الصفو من ذريته ، فإن خير الكلام ما شغل بخدمة من جمع الله له عزة الملك الى بسطة العلم ، ونور الحكمة الى نفوذ الحكم . وجعله مميّزا على ملوك العصر ، ومدبري الأرض وولاية الأمر ، بخصائص من العدل ، وجلائل من الفضل ، ودقائق من الكرم المحض ، لا يدخل أيسرها تحت العادات ، ولا يدرك أقلها بالعبارات ، ومحاسن الأيام ، تحرسها أسنة الأقلام ، وتدرسها أسنة الليالي والأيام ، وهذه صفة تغني عن تشبيهه الموصوف لاختصاصه بمعناها ، واستحقاقه إياها ، واستشاره على جميع الملوك بها ، ولعلم سامعها ببديهة السماع انها للأمر شمس المعالي خالصة ، وعليه مقصورة ، وبه لائقة ، وعن غيره نافرة ، اذ هو بمعاينة الآثار ، وشهادة الاخيار ، واجماع الاولياء ، واتفاق الاعداء ، كافل المجد ، وكافي الخلق ، وواحد الدهر ، وغرة الدنيا ، ومفزع الوري ، وحسنة العالم ، ونكتة الفلك الدائر ، فبلغه الله أقصى نهاية العمر ، كما بلغه أقصى غاية الفخر ، وملكه أزمة الأمر ، كما ملكه أعنة الفضل ، وأدام حسن النظر للعباد والبلاد ، بادامة أيامه التي هي أعياد الدهر ، ومواسم اليمن والأمن ، ومطالع الخير والسعد ، وزاد دولته شباباً ونمواً ، كما زاده في الشرف علواً ، حتى تكون السعادات وفد بابه ، والبشائر قرى سمعه ، والمسار غذاء نفسه ، ويتراعى به الاقبال الى حيث لا يبلغه أمل ، ولا يقطعه أجل

نحاف قوله وهذه صفة تغنى عن الموصوف الى قول أبى الطيب يرثى أخت
سيف النبوة

يا أخت خير أخ يابنت خير أب * كناية بهما عن أشرف النسب
أجل قدرك أن تسمى مؤنثة * ومن دعاك فقد سماك للعرب
وفي شمس المعالى يقول الأمير أبو الفضل الميكالى

لا تعصين شمس العلى قابوسا * فمن عصى قابوس لاقى بوسا
وله يقول بديع الزمان فى قصيدة نظمها فى تضاعيف رسالة موشحة
إن من كنت من مناه بمرأى * وتعداك سيئ الاقتراح
بين بشر يرد غائض جاهى * وقبول يعيد ريش جناحى
وبساط وردت مشرعة الأوس * به وادّعت بُرد النجاح
فاقض أوطار التقت والمعالى * فى نظام من النهى ونضاح
ملك دونه تقطع أبصا * رالىالى يوماندى وكفاح
ملك لو يشاء مد على النج * هم رواقا ورد وفد الرياح
تارة فى خشونة الدهر تلقا * هـ وطورا فى حسن ذات الوشاح
ملك كلما بدا تقف الأفلا * ك عجباً به وفرط ارتباح
هكذا هكذا تكون المعالى * طرُق الجد غير طرق المزاح

وهى طويلة كتبتها على طريق الاختيار

رسائل البديع

رقعة لبديع الزمان الى شمس المعالى وقد ورد حضرته: لم تزل الامال — أطال
الله بقاء الأمير السيد شمس المبالى وأدام سلطانه — تعدنى هذا اليوم، والأيام
تمطلنى بالسنة صروفها، على اختلاف صنوفها، بين حلو استرقى، ومر استخفى،
وشر صار إلى، وخير ما صرت اليه، وأنا فى خلال هذه الأحوال أذرع الآفاق،

فأكون طوراً مشرقاً للمشرق ، وطوراً مغرباً للمغرب ، ولا مطمح إلا حضرة الرفيعة ، وسدته المريعة ، ولا وسيلة إلا المتزع الشاسع ، والأمل الواسع ، وقد صرت أطل الله بقاء الأمير بين أنياب النوائب ، وتجشمت هول الموارد ، وركبت أكتاف المسكاره ، ورضعت أخلاف العوائق ، ومسحت أطراف المراحل ، حتى حضرت الحضرة البهية ، أوكدت ، وبلغت الأمنية ، أوذرت ، وللأمير السيد في الاصغاء إلى المجد ، والبسط من عنان الفضل ، بتمكين خادمه من المجلس يلقاه بقدمه ، والبساط يلمسه بغمه ، تفضله ، فله الرأي العالی ان شاء الله وله إلى بعض الرؤساء وقد وعد بحضور مجلسه بالغداة وأمره أن يزف إليه ما أنشأه فبعث به وكتب إليه .

مرحباً بسلام الشيخ سيدي ومولاي أطل الله بقاء ، ولا كلمر حجب بطلمته . وقد وصلت تحيته ، فشكرتها ، وعده الجميلة بالحضور غدا ، فانتظرتها . ودعوت الله أن يطوى ساعات النهار ، ويزج الشمس في المغار ، ويقرب مسافة الفلك الدوار ، ويرفع البركة من سيره ، ويججز الحركة إلى دوره ، ويسرني بوفد الظلام وقد نزل ، ثم لم يلبث إلا رينما رحل ، وقد بعثت بما طلب سمعاً لأمره وطاعة ، والنسخة أسقم من أجفان الغضبان ، والشيخ سيدي أدام الله عزه يركض قلمه في اصلاحها ، وحبذا هو في غد ، وقد طلع كالصبح اذا سطع ، والبرق اذا ألمع

يامرحباً بغد ويا أهلاً به * ان كان إلمام الأجابة في غد

(وله إلى أبي الطيب سهل بن محمد يسأله أن يوصله بأبي ابراهيم اسماعيل بن احمد) لو كان للكرم عن جناب الشيخ منصرف لا نصرفت ، أو للأمل منحرف إلى سواء لا انحرفت ، أو للنجح باب سواء لو لجت ، أو للفضل خاطب غيره لزوجت ، ولكن أبي الله أن يعقد إلا عليه الخنصر ، أو يتحلى إلا بفواضله الدهر ، ولا يزال كذا يتسم المجد بسميته ، ويجذب العلاء بهمة ، ويسعد الدين بنظره ،

والدنيا بجماله ، وغلامه أنالو استعار الدهر لسانا ، واتخذ الريح ترجمانا ، ليشيع انعامه
حق الاشاعة لقصرت به يد الاستطاعة ، فليس الا أن يلبس مكارمه ضافية سابعة ،
ويردمشارعه صافية سائغة ، ويحيل الجزاء على يد قصور ، والشكر على لسان قصير ،
ثم ان حاجتي اذا لم يعر من قلائد المجد نحرها ، ولم يعطل من حلى المجد صدرها
كبر مهرها ، وعز كفوها ، ولم أجد لها الا واحدا أخضر الجلدة في بيت العرب ،
أو ماجدا يملأ الدلو الى عقد السكر^(١) ، وهذه حاجة أنا أرفها الى الشيخ الامام
حرس الله مهجته ، وأسوقها منظومة من الصدر الى العجز ، كما يساق الماء
الى الارض الجر^(٢) ، وأنا من مفتتح اليوم الى مختتمه ، ومن قرن النهار الى قدمه
قاعد كالكركي ، والديك الهندى ، في هذا الأ^(٣) دحى^(٣) ، يمر بي أولو الخلى والخلل ،
ويجتاز ذو والخيل والنحول ، وما أنا والنظر الى مالا يلينى ، والسؤال عما لا يعينى
واليوم لما افتضضنا عذرة الصباح ، ملأت جفوني من منظر ما أحوجه إلى عيب
يصرف عين كما له ، عن جماله ، فقلت لمن حضر من هذا ؟ فأخذ ويجر كون الرأس
استظر افا الحالى ، ويتغامزون تعجبا من سؤالى ، وقالوا هذا الشيخ الفاضل أبو ابراهيم
اسماعيل بن أحمد ، فقلت حرس الله مهجته ، وأدام غبطته ، فكيف الوصول الى
خدمته ، وأنى مأتى معرفته ، قالوا ان الشيخ الامام أدام الله تأييده يضرب فى مودته
بالقدح العللى ، ويأخذ فى معرفته بالخط الاعلى ، فان رأى الشيخ أطال الله بقاءه أن
يجعل عنايته حرف الصلة وتفضله لام المعرفة ، فعمل ، ان شاء الله

جعفر بن يحيى

قال الرشيد ليحيى بن خالد : يا أبت انى أردت أن أجعل الخاتم الذى يد^{في}
الفضل الى جعفر وقد احتشمت منه فا كفنيه ، فكتب اليه يحيى : قد أمر أمير
المؤمنين أعلى الله أمره أن يحول الخاتم من يمينك الى شمالك ، فأجاب الفضل : قد

(١) السكر ، بفتح تين ، الحبل بلى الماء (٢) الجر ، بضم تين ، الارض
لاتبت شيئا (٣) الأ^(٣) دحى : بيض النعام

سمعت ما قاله أمير المؤمنين في أخى ، وقد اطلعت على أمره ، وما انقلبت عنى
نعمة صارت اليه ، ولا عزبت عنى رتبة طلعت عليه ، فقال جعفر : لله أخى ما أنفس
نفسه ، وأبين دلائل الفضل عليه ، وأقوى منة العقل فيه ، وأوسع في البلاغة
ذَرَعه ، وأرحب بها جنباه ، يوجب على نفسه ما يجب له ، ويحمل بكرمه فوق
طاقته . وذكر جعفر بن يحيى في مجلس ثمامة بن أشرس فقال : ما رأيت أحداً من
خلق الله كان أبسط لساناً ، ولا ألحن بحجة ، ولا أقدر على كلام بنظم حسن ،
وألفاظ عذبة ، ومنطق فصيح ، من جعفر بن يحيى ، كان لا يتوقف ، ولا يتحسب
ولا يصل كلامه بحشو من الكلام ، ولا يعيد لفظاً ولا معنى ، ولا يخرج من فن
الى غيره حتى يبلغ آخر ما فيه ، وكان لا يرى شيئاً الا حكاه ، ولا يحكى شيئاً
الا كان أكثر منه ، ولا يمرّ بذهنه شئ الا حفظه ، وكان اذا شاء أضحك
الشكلى ، وأذهل الزاهد ، وخشّن قلب العابد . قلت فكيف كانت معرفته ؟ قال
كان من أعلم الناس بالخبر الباهر ، والشعر النادر ، والمثل السائر ، والفصاحة
النامة ، واللسان البسيط

قال سهل بن هارون وذكر يحيى بن خالد وابنه جعفراً فقال : لو كان الكلام
متصوراً درا ويلقيه المنطق جوهرًا ، لكان كلامهما ، والمنطقى من الفاظهما .
ولقد غبرت معهما ، وأدركت طبقة المتكلمين في أيامهما ، وهم يرون البلاغة لم
تستكمل الا فيهما ، ولم تكن مقصورة الا عليهما ، ولا انقادت الا لهما ، وانهما
للأبواب الكرم ، عتق منظر ، وجودة مخبر ، وسهولة لفظ ، وجزالة منطق ، ونزاهة
نفس ، وكال خصال ، حتى لو فاخرت الدنيا بقليل أيامهما ، والمأثور من خصائصهما
جميع أيام من سواهما من لدن آدم الى أن ينفخ في الصور ، وبيعت أهل القبور ،
حاشا أنبياء الله الكرام ، وسلف عباده الصالحين ، لما باهت الا بهما ، ولا عولت
في الفخر الا عليهما ، ولقد كان مع تهذيب أخلاقهما ، ومعسول مذاقهما ، وسناشراهما ،
وكال حصال الخير فيهما ، في محاسن المأمون كالنقطة في البحر ، والخردلة في القفر

ووقع جعفر بن يحيى لرجل اعتذر عنده من ذنب : قد قدمت طاعتك ،
وظهرت نصيحتك ، ولا تغلب سيئة حسنتين * ووقع وقد قرأ كتابا فاستحسن
خطه : اخط خط الحكمة ، ينظم فيه منشورها ، ويفصل فيه شذورها — واختصم
رجلان بحضرته فقال لأحدهما أنت خلى ، وهذا شجى ، فكلامك يجرى على
برد العافية ، وجوابه يجرى على حر المصيبة — ودخل مروان بن أبى حفصة على
جعفر بن يحيى فأنشده

أبر فما ترجو الجياد لحاقه * أبو الفضل سبأ الاضاميم جعفر
وزير إذا ناب الخلافة حادث * أشار بما عنه الخلافة تصدر
فقال جعفر أنشدنى مرثيتك فى معن بن زائدة فأنشده

أقنا بالجماعة أو نسينا * مقاماً ما نريد به زوالا
وقلنا أين نذهب بعدمعن * وقد ذهب النوال فلانوالا
وكان الناس كلهم لمعن * إلى أن زار حفرة عيالا
حتى فرغ من القصيدة ، وجعفر يرسل دموعه على خديه ، فقال : هل أتابك
على هذه المراثية أحد من أهل بيته وولده ؟ قال لا ، قال فلو كان معن حياً ثم سمعها
منك كم كان يثيبك عليها ؟ قال أربعمائة دينار ، قال فانا كننا نظن انه لا يرضى لك
بذلك ، وقد أمرنا لك عن معن رحمه الله بالضعف مما ظننته ، وزدناك مثل ذلك ،
فاقبض من الخازن ألفاً وستمائة دينار ، قبل أن تخرج ، فقال مروان يذكر جعفرأ
وما سمح به عن معن

نفحت مكافئاً عن جودمعن * لنا فيما نجود به سجالا
فعجلت العظيمة يا ابن يحيى * لناديه ولم ترد المطالا
فكفأ عن صدى معن جواد * بأجود راحة بدلت نوالا
بنى لك خالد وأبوك يحيى * بناءً فى المكارم لن ينالا
كأن البرمكى لكل مال * تجود به يدها يفيد مالا^(١)

أخذ هذا من قول زهير

تراه اذا ماجئته متهللاً * كأنك تعطيه الذي أنت سائله

وهذا البيت لزهير من قصيدة يقول فيها

وذى نعمةٍ تَمَّتْهَا وشكرتها * وخصم يكاد يغلب الحق باطله

دفعت بمعروفٍ من الحق صائبٍ * إذا ما أضلَّ القائلين معاضله

وذى خَطَلٍ في القول يحسب أنه * مصيب فما يلئم به فهو قائله

عبأت له حلماً وأكرمت غيره * وأعرضت عنه وهو بادٍ مقاتله

وأبيض فياض يداه غمامة * على معتفيه ماتعب نوافله

غدوت عليه غدوةً فرأيتُه * قعوداً لديه بالصريم عواذله

يفدّيته طوراً وطوراً يلمنه * وأعيا فما يدرين أين مخاتله

فأعرض عنه عن كريم مدرأٍ * جموح عن الأمر الذي هو فاعله

أخى ثقةً لا يذهب الخير ماله * ولكنه قد يذهب المال نائله

شيء من النقد

قال أبو الفرج قدامة بن جعفر في معنى أبيات زهير الأولى : لما كانت

فضائل الناس من حيث هم ناس ، لامن طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر

الحيوان ، على ما عليه أهل الالباب من الاتفاق في ذلك ، انما هي العقل والعفة والعدل

والشجاعة ، كان القاصد للمدح بهذه الأربعة مصيبا وبما سواها مخطئاً . وقد

قال زهير :

أخى ثقةً لا يتلف الخمر ماله * ولكنه قد يهلك المال نائله

فوصفه بالعفة لقلة امعانه في اللذات ، وانه لا ينفذ فيها ماله ، وبالسخاء لاهلاك

ماله في النوال ، وانحرافه إلى غير ذلك من اللذات ، وذلك هو العدل ، ثم قال

تراه اذا ماجئته متهللاً * كأنك تعطيه الذي أنت سائله

فزاد في وصف السخاء بأنه يهش ولا يلحقه مضض ولا تكره لفعله، ثم قال :
 فذلك حصن في الحروب ومثله * لانكار ضيم أو لأمر يحاوله
 فأثنى في هذا البيت بالوصف من جهة الشجاعة والعقل ، فاستوفى ضروب
 المدح الأربعة التي هي فضائل الانسان على الحقيقة ، وزاد الوفاء وان كان
 داخلا في الأربعة ، فكثير من الناس لا يعلم وجه دخوله فيها حيث قال أخى
 ثقة فوصفه بالوفاء ، والوفاء داخل في هذه الفضائل التي قدمناها ، وقد يتفنن
 الشعراء فيعدون أنواع الفضائل الاربع وأقسامها ، وكل ذلك داخل في جملتها
 مثل أن يذكروا ثقابة المعرفة ، والحياء ، والبيان ، والسياسة ، والصدع بالحجة ،
 والعلم ، والحلم عن سفاهة الجهلة ، وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى ، وهو من أقسام
 العقل ، وكذكركم القناعة ، وقلة الشره ، وطهارة الإزار ، وغير ذلك أيضاً
 من أقسام العفة ، وكذكركم الحماية ، والأخذ بالثار ، والدفاع ، والنكابة ، والمهابة
 وقتل الأقران ، والسير في المهامة والقفار ، وما يشاكل ذلك وهو من أقسام
 الشجاعة ، وكذكركم السباحة ، والتغابن ، والانظلام ، والتبرع بالنائل ، واجابة
 السائل ، وقرى الأضياف ، وما جانس هذه الاشياء ، وهو من أقسام العدل ،
 فأما تركيب بعضها على بعض فتحدث منها ستة أقسام : يحدث من تركيب العقل مع
 الشجاعة الصبر على الملمات ، ونوازل الخطوب ، والوفاء بالوعود ، وعن تركيب
 العقل مع السخاء انجاز الوعد ، وما أشبه ذلك ، وعن تركيب العقل مع العفة
 التزهد ، والرغبة عن المسألة ، والاقتصار على أدنى معيشة ، وما أشبه ذلك . وعن
 تركيب الشجاعة مع السخاء الاخلاف ، والاتلاف ، وما أشبه ذلك ، وعن تركيب
 الشجاعة مع العفة إنكار الفواحش ، والغيرة على الحرم ، ومن السخاء مع العفة
 الاسعاف بالقوت ، والايثار على النفس ، وما شاكل ذلك . وكل واحدة من هذه
 الفضائل الاربع وسط بين طرفين مذمومين^(١)

وقد قال أبو جعفر محمد بن منذر لما حج الرشيد مع البرامكة

(١) راجع الباب السابع من كتاب « الأخلاق عند الغزالي » لتفهم هذا البحث

أَنَا بَنُو الْأَمْلَاقِ مِنْ أَلِ بَرْمَكٍ * فَيَا طَيْبَ أَخْبَارٍ وَيَا حُسْنَ مَنَظَرٍ
لَهُمْ رِحْلَةٌ فِي كُلِّ عَامٍ إِلَى الْعِدَى * وَأُخْرَى إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ الْمَشْهُرِ
فَتُظَلَّمُ بَغْدَادُ وَيَجْلُو لَنَا الدَّجَا * بِمَكَّةَ مَا حَجَّجُوا ثَلَاثَةَ أَقْمَرٍ
إِذَا نَزَلُوا بِطَحَاءِ مَكَّةَ أَشْرَقَتْ * بِيَحْيَى وَبِالْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى وَجَعْفَرٍ
فَمَا خُلِقَتْ إِلَّا لَجُودٍ أَوْ كَفْهِمْ * وَأَقْدَامُهُمْ إِلَّا لِأَعْوَادٍ مُنْبِرٍ
إِذَا رَاضَ بِحِي الْأُمُرْ ذَلَّتْ صَعَابُهُ * وَحَسْبُكَ مِنْ رَاعٍ لَهُ وَمُدَبِّرٍ
تَرَى النَّاسَ إِجْلَالًا لَهُ وَكَأَنَّهُمْ * غُرَانِيقُ مَاءٍ تَحْتَ بَازٍ مُصْرَصِرٍ (١)

شعر الميكلالى

قطعة من شعر الامير أبى الفضل الميكلالى فى طرف آخذ بطرف من التجنيس
مستطرف فى ضروب من الغزل. قال

لَقَدْ رَاعَنِى بَدْرُ الدَّجَا بِصُدُودِهِ * وَوَكَلْ أَجْفَانِي بِرَعَى كَوَا كَبَةٍ
فِيَا جَزَعِي مَهْلًا عَسَاهُ يَعُودُ لِي * وَيَا كَبْدِي صَبِرْ أَعْلَى مَا كَوَاكَ بِهِ
وَقَالَ مَوَاعِيدُهُ فِي الْفَضْلِ أَحْلَامُ نَأْمٍ * أَشْبَهَهَا بِالْقَفْرِ أَوْ بِسَرَاهِ
فَنَنْ لِي بَوَجْهِ لَوْ تَحْيِرُ فِي الدَّجَا * أَخُو سَفَرٍ فِي لَيْلٍ غَيْمٍ سَرَى بِهِ
وَقَالَ صَلِّ مَحَبًّا أَعْيَاهُ وَصَفِّ عَوَاهُ * فَضْنَاهُ يَنْوُبُ عَنْ تَرْجُمَانِهِ
كَلِمَا رَاقَهُ سَوَاكَ تَصَدَّتْ * مَقْلَتَاهُ بِدَمْعِهِ تَرْجُمَانِهِ
وَقَالَ يَا ذَا الَّذِي أَرْسَلَ مِنْ طَرَفِهِ * عَلَيَّ سَيْفًا قَدَنِي لَوْ فَرَا
شَفَاءَ نَفْسِي مِنْكَ تَحْمِيشُهُ * تَغْرَسُ مِنْ خَدِّكَ نِيلَوْفَرَا
وَقَالَ يَا مَبْتَلِي بِضْنَاهُ يَرْجُو رَحْمَةً * مِنْ مَالِكٍ يَشْفِيهِ مِنْ أَوْصَابِهِ
اصْبِرْ عَلَى مَضْضِ الْهُوَى فَلَرَبَّمَا * تَحْلُو مَرَارَةً صَبْرُهُ أَوْ صَابِهِ
وَقَالَ كَتَبْتُ إِلَيْهِ أَسْتَهْدِي وَصَالًا * فَعَلَانِي بَوَعْدٍ فِي الْجَوَابِ
أَلَا لَيْتَ الْجَوَابَ يَكُونُ خَيْرًا * فَيُطْفِئُ مَا أَحَاطَ مِنَ الْجَوَى بِي

(١) الغرانيق : جمع غرنوق ، وهو طائر مائى أسود ، والهازى : الصقر

وقال إن كنت تأنس بالحبيب وقربه * فاصبر على حكم الرقيب وداره
إن الرقيب اذا صبرت لحكمه * بوالك في مثوى الحبيب وداره

وقال

شكوت اليه ما ألقى فقال لي * رويداً ففي حكم الهوى أنت مؤتلى
فلو كان حقاً ما ادّعت من الهوى * لقلّ بما تلقى اذاً أن تموت لي
وقال نوى لي بعد اكثار السؤال * حبيبٌ أن يسامح بالنوال
فلما رمت انجازاً لوعدى * عليه أبي الوفاء بما نوى لي

وكان القرب منه شفاء نفسي * فقد قضت النوائب بالنوى لي
وقال سقياً لدهر مضى والوصل يجمعنا * ونحن نحكي عننا شكل تنوين
فصرت إذ علقت كفي حبائلكم * فسهمٌ هجر ك ترمي ثم تنويني
وقال صدف الحبيب بوصله * فجفا رقادى إذ صدف

ونثرت لؤلؤ أدمع * أضحى لها جفت صدف
وقال يا من يقول الشعر غير مهذب * ويسومني التعذيب في تهذيبه
لو أن كل الناس فيك مساعدي * لعجزت عن تهذيب ما تهذيبه
وقال أراد أن يخفي هواه وقد * نمّ بما تخفي أسارىه
وكيف يخفي داءه مدنف * قد ذاب من فرط الأسى ريره^(١)

وقال ومهفف تهفو به * ب المرء منه شمائل
فالردف دِعص هائل * والقد غصن مائل
والخد نور شقائق * تنشق عنه خمائل
والعرف نشر حدائق * تمت بهن شمائل
والطرف سيف ماله * الا العذار حمائل

ولأبي الفتح البستي في هذا المذهب

إن لي في الهوى لساناً كتوماً * وجناناً يخفي حريق جواه

غير أنى أخاف دمعى عليه * ستره يفشى الذى ستره
ولأبى الفتح البسى فى مذهب هذا البيت الأخير

ناظراه فيما جنى ناظراه * أودعاني أمت بما أودعاني

وله خذ العفو وأمر بعرف كما * أمرت وأعرض عن الجاهلين

وله فى الكلام لكل الأنام * فستحسن من ذوى الجاهلين

✓ الى حتفى سعى قدمى * أرى قدمى أراق دمعى

فما أنفك من ندمى * وليس بنافعى ندمى

✓ وله إن هز أقلامه يوماً ليعملها * أنساك كل كفى هز عامله

✓ وان أقر على رق أنامله * أقر بالرق كتاب الأنام له

وقال لمن استدعاه الى مودته

فديتك قلّ الصديق الصدوق * وقلّ الخليل الحفى الوفى

ولى راغب فيك إما وفيت * فهل راغب أنت فى أن تفى

وللأمير أبى الفضل

أهلاً بظى حواه قصره * كجنته قد حوت نعيما

طرقته لا أهاب سوا * أبا حنى حبه الحرىما

فجاد من فيه لى براح * تنفى حريقاً به قديماً

أفدى حريقاً أباح ريقاً * لا بلّ حرماً أباح ريماً

وله

✓ من لى بشمل المنى والأنس أجمعه * بشادن حلّ فيه الحسن أجمعه

ما زال يعرض عن وصلى وأخذه * فالآن قد لان بعد الصداخذه (١)

وقال

بأبى غزال نام عن وصى به * ومراق دمعى للثوى وصيبه

يأليه يرئى على ولهى به * لغرام قلبى فى الهوى وهيبه

وله في هذا الباب من غير هذا النمط يصف غلاماً مخموراً خمش وجهه
 هبه تغير حائلاً عن عهده * ورمى فؤادى بالصدود فأزعجا
 ما بال نرجسِهِ تحوّل وردة * والورد في خديه عاد بنفسجا
 وله في هذا المعنى

وريم على السكر خمشته * بقرص بعارضة أثرا
 فأصبح نرجسه وردة * ووردة خديه نيولفرا
 وقال في وصف العذار

ظبي كسارأس الشباب بعارض * نَمَّ العِذارُ بحافتيه فلاحا
 فكأنما أهدى لعارض خدّه * شعري ظلاماً واستعاض صباحا
 وقال في غلام افتصد

ومُهْمَهْفٍ غرس الجما لُبْخده روضاً مريعا
 فصد الطيب ذراعهُ * فخرى له دمعى ذريعا
 وأمستى وقع الحدي * يدبرقه الماء وجيعاً
 فأريته من عبرتي * ما سال من دمه نجيعا

أوصاف العلماء

فَقَرَّ في ذكر العلم والعلماء — العلماء ورثة الانبياء ، العلماء أعلام الاسلام ،
 العلماء في الأرض كلنجوم في السماء (ابن المعتز) العلماء غرباء ، لكثرة
 الجهال — وله : العلم جمال لا يخفى ، ونسب لا يخفى — وله : زلة العالم كانكسار
 سفينة تفرق ويغرق معها خلق كثير — غيره اذا زل العالم زل بزلته عالم —
 غيره : الملوك يحكم على الناس ، والعلماء يحكم على الملوك — من لم يحتمل ذل
 التعلم ساعة ، بقي في ذل الجهل أبداً — ماصين العلم بمثل بذله لأهله — من كتم علما
 فكأنه جاهله — العلم يمنع أهله أن يمنعوه أهله — أبو الفتح كشاجم

لا تمنع العلم امرأً والعلم يمنع جانباً
أما الغبي فليس يفهم لطفه وغرائبه
وتكون حاضرة الفؤاد تد عند كالفائيه
وأخو الحصافة مس تحقق أن ينال مطالبه
فبحقه أعطيته * من فضل علمك واجبه

ومن رق وجهه عند السؤال ، رق علمه عند الرجال — علم بلا عمل ، كشجرة بلا ثمر — كما لا ينبت المطر الكثير الصخر ، كذلك لا ينفع البليد كثرة التعلم — من ترفع بعلمه ، وضعه الله بعمله — الجاهل صغير وإن كان كبيراً ، والعالم كبير وإن كان صغيراً — من أ كثر مذاكرة العلماء ، لم ينس ما علم ، واستفاد ما لم يعلم (ابن المعتز) المتواضع في طلاب العلم أ كثرهم علماً ، كما أن المكان المنخفض أ كثر البقاع ماء — اذا علمت فلا تذكر من دونك من الجهال ، واذا ذكر من فوقك من العلماء — النار لا ينقصها ما أخذ منها ، ولكن ينقصها ألا تجد حطباً ، كذلك العلم لا يفنيه الاقتباس منه ، وقد الحاملين له سبب عدمه — مات خزنة الأموال وهم أحياء ، وعاش خزان العلم وهم أموات مثل علم لا ينفع ككنز لا ينفق منه — أزهدهم الناس في عالم جيرانه

وقيل للصلت بن عطاء وكان مقداً عند البرامكة : كيف غلبت عليهم وعندهم من هو أدب منك؟ قال ليس للقرباء ، ظرافة الغرباء ، وكنت امرأً بعيد الدار ، نأى المزار ، غريب الاسم ، قليل الجرم ، كثير الالتواء ، شحيحاً بالإملاء ؛ فرغبهم في رغبتي عنهم ، وزهدني فيهم رغبته في — علم لا يعبر معك الوادى ، لا يعمر بك النادى — لو سكت من لا يعلم لسقط الاختلاف * اذا ازدحم الجواب خفي الصواب — الغلط تحت اللفظ — خرق الاجماع خرق — المحجوج بكل شيء ينطق

استعارات فقهية

(استعارات فقهية تليق بهذا المكان) دخل أبو تمام الطائي على أحمد بن أبي دؤاد في مجلس حكمه وأنشده أبياتا يستمطر نائله ، وينشر فضائله ، فقال سيأتيك ثوابها يا أبا تمام ، ثم اشتغل بتوقيعات في يده ، فأحفظ ذلك أبا تمام ، فقال : احضر أيديك الله فانك غائب ، واجتمع فانك مفترق ، ثم أنشده

ان حراماً قبول مدحتنا * وترك ما نرتجى من الصفد
كما الدنانير والدراهم في الصر * ف حرامٌ الا يداً بيد

فأمر بتوفير حباته ، وتعجيل عطائه — ولما ولي طاهر بن عبد الله بن طاهر خراسان دخل الشعراء يهنونه ، وفيهم تمام بن أبي تمام فأنشده

هناك رب الناس هنّا كا * مامن جزيل الملك أعطا كا
قرّت بما أعطيت إذا الحجى * والبأس والانعام غينا كا
أشرفت الارض بما نلتُهُ * وأورق العود بجودوا كا

فاستضعف الجماعة شعره ، وقالوا : يا بُعد ما بينه وبين أبيه ! فقال طاهر لبعض الشعراء أجبه فقال

حيّاك رب الناس حيا كا * ان الذي أملت أخطا كا
فقلت قولاً فيه مازاهُ * ولو رأى مدحا لواسا كا
فهاك ان شئت بها مدحة * مثل الذي أعطيت أعطا كا

فقال تمام : أعز الله الأمير ، ان الشعر بالشعر ربا ، فاجعل بينهما صنجا من الدراهم ، حتى يحمل لى ولك ! فضحك وقال : إلا يكن معه شعر أبيه ، فمعه ظرف أبيه ، أعطوه ثلاثة آلاف درهم ! فقال عبد الله بن اسحاق لولم يعط الا تقول أبيه

في الامير أبي العباس رحمه الله يريد عبد الله بن طاهر

يقول في قومسٍ صبحي وقد أخذتُ * منا السرى وخطا المهرية القود

أمطلع الشمس تبغى أن تؤمّ بنا * فقلت كلا ولكن مطلع الجود
 فقال ويعطى بهذا ثلاثة آلاف — وكان سبب ولاية طاهر خراسان بعد أبيه
 ما حدث به أبو العيفاء قال: كنا عند أحمد بن أبي دؤاد فجاء الخبر أن الكتب وردت
 على الواثق من خراسان ب وفاة عبد الله بن طاهر ، وأن الواثق يعزى عنه ، وأنه
 قد ولى مكانه خراسان اسحاق بن ابراهيم ، وكان عدوّاه لانخراطه فى سلك ابن
 الزيت ، فلبس ثيابه ومضى ، وقال لانبرحوا حتى أعود اليكم ، فلبث قليلا ثم
 عاد الينا فحدثنا انه دخل على الواثق فعزاه عن عبد الله وجلس ، قال فقال لى
 الواثق قد ولينا اسحاق خراسان ، فما عندك ؟ قلت وفق الله أمير المؤمنين
 ولانذمه ، قال قل ما عندك فى هذا ، قلت أمر قد أمضى فما عسيت أن أقول فيه
 قال لتفعلن ، فقلت يا أمير المؤمنين خراسان منذ ثلاثين سنة فى يد طاهر وابنه ،
 وكل من بها صنائعهم ، وقد خلف عبد الله عشر بنين أكثرهم رجال ، وجميع
 جيش خراسان لهم عبيد أو موالى أو صنائع ، وسيقولون أما كان فينا مصطنع ،
 وكان يجب أن يجر بنا أمير المؤمنين ، فان وفينا بما كان يفى به أبونا وجدنا
 والاستبدل منا بعد عذر فينا ، ويقدم خراسان اسحاق وهو رجل غريب فينا فسه
 هؤلاء ، ويتمصب أهلها لهم ، فينتقض ما أبرم ، ويفسد ما أصلح ، قال صدقت
 يا أبا عبد الله والرأى ما قلت ، اكتبوا بعهد طاهر بن عبد الله على خراسان ،
 فكتبت كتب طاهر ، وحرقت كتب اسحاق ، فخرجت الزنج تطير بها ثم لقينى
 اسحاق داخلا فقلت يا أبا الحسن لاعدمت عداوة رجل أزال عنك ولاية خراسان
 بكامة — ومدح ابن الرومى أبا العباس بن ثوبة ، فعارضه أخوه أبو الحسن
 بقصيدة مدح أخاه بها فقال ابن الرومى

أليس القوافى بناتلقى * اذا صورة الحق لم تمسح
 فلا تقبلنّ أماديجهُ * حرامٌ نكاح بنات الآخر
 ولما أنشد أنشد أبو تمام قصيدته فى المعتصم : السيف أصدق انباء من الكتب

قال له لقد جلوت عروسك يا أبا تمام فأحسنيت جلاءها ، قال يا أمير المؤمنين والله لو كانت من الحور العين لكان حسن اصغائك اليهامن أو في مهورها .
وقال الامير أبو الفضل الميكالى

أقول لشادن في الحسن أضحي * يصيد بلحظه قلب الكمي
ملكك الحسن أجمع في قوام * فأد زكاة منظرك البهي
وذلك أن تجود لمستهام * برقيق من مقبلك الشهي
فقال أبو حنيفة لى امام * فعندى لازكاة على الصبي
وربما أنشد هذه الأبيات على قافية أخرى فقال

أقول لشادن في الحسن فرد * يصيد بلحظه قلب الجليد
ملكك الحسن أجمع في قوام * فلا تمنع وجوباً عن وجود
وذلك أن تجود لمستهام * برشف رضاك العذب البرود
فقال أبو حنيفة لى امام * فعندى لازكاة على الوليد

وقال

بنفسى غزال صار للحسن قبلة * يُحج من البيت العميق ويُقصِد
دعائى الهوى فيه فلبيت طائعا * وأحرمت بالاخلاص والسعى بشهد
فطرفى بالتسفيد والدمع قارن * وقلبي عليه بالصباية مفرد
وقال أبو الفتح كشاجم

فديت زائرة فى العيد واصله * والهجر فى غفلة من ذلك الخبر
فلم يزل خدّها ركنًا أطوف به * والخال فى خدّها يغنى عن الحجر

رسالة لبديع الزمان

وينضاف الى هذا النظم قطعة من رسالة طويلة كتبها بديع الزمان الى
أبى نصر بن المرزبان : كتابى أطل الله بقاء الشيخ وأنا متألم ، والحمد لله رب العالمين

كيف تقلّب الشيخ في درع العافية ، وأحواله بتلك الناحية ، فاقى ببعده مُنغصّ شرعة العيش ، مقصوص أجنحة الأُنس ، ورد كتابه المشتمل من خبر سلامته ، على ما رغبت الى الله في إدامته ، وسكنت اليه بعد انزعاجي لتأخره ، وقد كان رسم أن أعرفه سبب خروجي من جرجان ، ووقوعي بخُرّاسان ، وسبب غضب السلطان ، وقد كانت القصة أني لما وردت من ذلك السلطان حضرته التي هي كعبة المحتاج ، لا كعبة الحجاج ، ومستقرّ الكرم ، لا مشعر الحرم ، وقبله الصلّات ، لا قبلة الصلاة ، ومُنَى الضيف ، لا مَنَى الخيف ، وجدت بها ندماء من نبات العام ^(١) ، اجتمعوا قيضة كلب ^(٢) على تلفيق خطب ، أزعجني عن ذلك الفناء ، وأشرف بي على الفناء ، لولا ما تدارك الله بجميل صنعه ، وحسن دفعه ، ولا أعلم كيف احتالوا ، ولا ما الذي قالوا ، وبالجملة غيروا رأى السلطان ، فأشار على إخواني ، بمفارقة مكاني ، وبقيت لا أعلم أيمنة أضرب أم شامة ، ونجدا أقصد أم تهامة

ولو كنت في سلمى أجاوشعابها * لكان لحجاج على دليل
وقد علم الشيخ ان ذلك السلطان سملاً اذا نعيم لم يُرج صحوه ، وماء اذا تغبّر لم يشرب صفوه ، وملك اذا سخط لم ينتظر عفوّه ، وليس بين رضاه والسخط عُرْجة ، كما ليس بين غضبه والسيف فُرْجة ، وليس من وراء سخطه مجاز ، كما ليس بين الحياة والموت معه حِجاز ، فهو سيد يغضبه الجرم الخفي ، ولا يرضيه العذر الجلي ، وتكفيه الجناية وهي إرجاف ، ثم لا تشفيه العقوبة وهي إجحاف ، حتى انه ليرى الذنب وهو أضيق من ظل الرمح ، ويعى عن العذر وهو أبين من عمود الصبح ، وهو ذو أذنين يسمع بهذه القول وهو بهتان ، ويحجب عن هذه العذر وله برهان ، وذو يدين يبسط أحدهما الى السفك ، والسفح ،

(١) من نبات العام : يريد أنهم حديثو العهد (٢) قيضة كلب : القيضة بالكسر هي العظم ، والمراد تحقيرهم بوصفهم بمظالم السكّاب

ويقبض الاخرى عن العفو والصفح ، وذوعينين يفتح أحدهما الى الجرم ، ويغمض
 الاخرى عن الحليم ، فزحه بين القدر والقطع ، وجدّه بين السيف والنطع ،
 ومراده بين الظهور والكمون ، وأمره بين الكاف والنون . ثم لا يعرف من
 العقاب ، غير ضرب الرقاب ، ولا يهتدى من التأنيب الا لإزالة النعم ، ولا يعلم
 من التأديب غير إراقة الدم ، ولا يحتمل الهنة على حجم الذرة ، ودقة الشعرة ،
 ولا يحلم عن الهفوة ، كوزن الهبوة ، ولا يغضى عن السقطة ، كجرم النقطة ،
 ثم ان النعم بين لفظه وقلمه ، والارض تحت يده وقدمه ، لا يلقاه الولي الا بغمة ،
 ولا العدو الا بدمة ، والأرواح بين حبسه وإطلاقه ، كما ان الأجسام بين حله
 ووثاقه ، فنظرت فاذا أنا بين جودين: إما أن أجود بباسي ، وإما أن أجود براسي
 وركوبين: إما المفازة ، وإما الجنازة ، وبين طريقين: إما الغربية ، وإما التربة ،
 وبين فراقين: إما أن أفارق أرضي ، أو أفارق عرضي ، وبين راحلتين: إما ظهور
 الجمال ، وإما أعناق الرجال ، فاخترت السماح بالوطن ، على السماح بالبدن ، وأنشدت
 اذا لم يكن الا المنية مركب * فلا رأى للمحمول الا ركوبها

ولّد ما ذكر من كعبة الحجاج ، من قول أبي تمام

بيتان حججهما الانام فهنـ * حـج الغنى وتلكم للمعدم

أبو علي بن جعفر البصير

وشتم بعض الطالبين أبا علي الفضل بن جعفر البصير فقال أبو علي: والله
 ما نعيّا عن جوابك ، ولا نعجز عن مسألك ، ولكننا نكون خيراً لنسبك منك
 ونحفظ منه ما أضعت ، فاشكر توفيرنا ما وفرنا منك ، ولا يفرناك بالجهل علينا
 حملنا عنك — وسأل أبو علي البصير بعض الرؤساء حاجة ولقيه فاعتذر اليه من تأخرها
 فقال أبو علي: في شكر ما تقدم من إحسانك ، شاغل عن استبطاء ما تأخر منه
 وأبو علي أحد من جمع له حظ البلاغة في الموزون والمنثور ، وهو القائل

أَلَمْتُ بِنَا يَوْمَ الرِّحِيلِ اخْتِلَامَةً * فَأَضْرَمَ نِيرَانُ الْهَوَى النَّظْرُ الْخَلْسُ
تَأَبَّتْ قَلِيلًا وَهِيَ تُرْعَدُ خَيْفَةً * كَمَا تَتَأَبَّى حِينَ تَعْتَدِلُ الشَّمْسُ
نَخَاطِبُهَا صَمْتِي بِمَا أَنَا مُضْمَرٌ * وَأُنَبِّسُ حَتَّى لَيْسَ يُسْمَعُ لِي حِسٌ
وَوَلَّتْ كَمَا وَلَّى الشَّبَابُ لَطِيفَةً * طَوْتُ دُونِهَا كَشَحًا عَلَى يَأْسِهَا النَّفْسُ
وَقَالَ يَصِفُ بِلَاغَةِ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ وَشَعْرَهُ

سَمِعْنَا بِأَشْعَارِ الْمُلُوكِ فَكَلَّهَا * إِذَا عَضَّ مَتْنِيهِ الثَّقَافُ تَأَوَّدُوا
سَوَى مَا رَأَيْنَا لِمَرِّ الْقَيْسِ إِنَّا * نَرَاهُ مَتَى لَمْ يَشْعُرِ الْفَتْحُ أَوْحَدًا
أَقْلَمَ زَمَانًا يَسْمَعُ الْقَوْلَ صَامِتًا * وَنَحْسِبُهُ إِنْ رَامَ أَوْ كَدَى وَأَصْلَدًا
وَالْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ يَقُولُ

وَأَنى وَإِيَّاهَا لِكَلِّ الْخَمْرِ وَالْفَقَى * مَتَى يَسْتَطِيعُ مِنْهَا الزِّيَادَةُ يَزْدَدُ
إِذَا زِدْتَ مِنْهَا زَادَ وَجَدَى بِقُرْبِهَا * فَكَيْفَ احْتِرَاسِي مِنْ هَوًى مُتَجَدِّدٍ

كتابه الى عميد الله بن يحيى

وكتب الى أبى الحسن عميد الله بن يحيى : وان أمير المؤمنين لما استخلصك
لنفسه ، وائتمنك على رعيته ، فنطق بلسانك ، وأخذ وأعطى بيدك ، وأورد
وأصدر عن رأيك ، وكان تفويضه اليك بعد امتحانه إياك ، وتسليطه الحق على
الهوى فيك ، وبعد أن مثل بينك وبين الذين سموا المرتبتك ، وجروا الى غايتك ،
فأسقطهم مضائك ، وخفوا في ميزانك ، ولم يزدك اكرامك الله رفعة وتشريفا ،
الا ازددت له هبة وتعظيما ، ولا تسليطا وتمكينا ، الا زدتك نفسك عن الدنيا
عزواً وتنزيها ، ولا تقريبا واختصاصا ، الا ازددت بالعامرة رافة وعليها حبا ،
لا يخرجك فرط النصيح ، عن النظر لرعيته ، ولا إيثار حقه عن الأخذ بحقها عنده ،
ولا القيام بما هو له عن تضمين ما هو عليه ، ولا تشغلك معاناة كبار الأمور عن
تفقد صغارها ، ولا الجد في صلاح ما يصلح منها عن النظر في عواقبها ، تمضى

ما كان الرشد في إمضائه ، وترجى ما كان الحزم في ارجائه ، وتبذل ما كان الفضل في بذله ، وتمنع ما كانت المصلحة في منعه ، وتلين في غير تكبر ، وتخص في غير ميل ، وتعم في غير تصنع ، لا يشقى بك الحق وان كان عدوا ، ولا يسعد بك المبطل وان كان وليا ، فالسلطان يعتدّ لك من الغناء والكفاية ، والذب والحياطة ، والنصح والأمانة ، والعفة والنزاهة ، والنصب فيما أدى الى الراحة ، بما يراك معه حيث انتهى احسانه اليك مستوجبا للزيادة ، وكافة الرعاية الا من غط منهم النعمة مثنون عليك بحسن السيرة ، ويمن النقيبة ، ويعدون من ما ترك انك لم تدحض لأحد حجة ، ولم تدفع حقا لشبهة ، وهذا يسير من كثير لو قصدنا لتفصيله ، لأنفدنا الزمان قبل تحصيله ، ثم كان قصدنا الوقوف دون الغاية منه

(وله الى عبيد الله بن يحيى) يقطعني عن الأخذ بحظي من لقاءك ، وتعريفك ما أنا عليه من شكر انعامك ، وافرادى إياك بالتأميل دون غيرك ، تخلفني عن منزلة الخاصة ، ورغبني عن الحلول محل العامة ، وانى لست معتادا للخدمة ولا للملازمة ولا قويا على المغادة والمراوحة ، فلا يمنعك ارتفاع قدرك ، وعلو أمرك ، وما تعانيه من جلائل الأحوال الشاغلة ، من أن تتطول بتجديد ذكرى ، والاصغاء الى من يحضك على وصلى ويرى ، ويرغبك في إسداء حسن الصنيعة عندي (وله اليه آخر فصل من كتاب) وأنا أسأل الله الذي رحم العباد بك ، على حين افتقار منهم اليك ، أن يعيدهم من فقدك ، ولا يعيدهم الى المسكاره التي استنقدهم منها بيدك

نفثة مصدور

ولقي رجل رجلا خارجا من مصر يريد المغرب ، فقال : يا أخى ! أتتبع القطر ، وتدع مجرى السيول ؟ فقال : أخرجني من مصر حق مضاع ، وشح مطاع ، وإقتار الكريم ، وحركة اللثيم ، وتغير الصديق ، بين السعة والضيق ، والهرب الى النزر بالعز ، خير من طلب الوفير بذل العجز

آداب المسافر

وأوصى بعض الحكماء صديقا له وقد أراد سفرا فقال : إنك تدخل بلداً لا تعرفه ولا يعرفك أهله ، فتمسك بوصيتي تنفق بها فيه ، عليك بحسن الشئام فأنها تدل على الحرية ، ونقاء الاطراف فأنها تشهد بالملوكية ، ونظافة البرة ، فأنها تنبئ عن النش في النعمة ، وطيب الرائحة ، فأنها تظهر المروءة ، والأدب الجميل ، فأنه يكسب المحبة . وليكن عقلك دون دينك ، وقولك دون فعلك ، ولباسك دون قدرك ، والزم الحياء والأئفة ، فأنك ان استحييت من الغضاضة ، اجتنبت الخساسة ، وان أنفت عن الغلبة لم يتقدمك نظير في مرتبة (قال الأصمعي) سمعت أعرابيا يوصي آخر أراد سفرا فقال : أثر بعمالك معادك ، ولا تدع لشهوتك قيادك ، وليكن عقلك وزيرك الذي يدعوك الى الهدى ، ويجنبك من الردى ، واحبس هواك عن الفواحش ، وأطلقه في المسكارم ، فأنك تبرّ بذلك سلفك ، وتشيد به شرفك

وأوصت أعرابية ابنها في سفر فقالت : يا بني انك تجاور الغرباء ، وترحل عن الاصدقاء ، ولعلك لا تلقى غير الاعداء ، نخالط الناس بجميل البشر ، واتق الله في العلانية والسر

وقال بعض الملوك لحكيم وقد أراد سفراً : قفنى على أشياء من حكمتك أعمل بها في سفرى ، فقال : اجعل تأنيك أمام عجلتك ، وحماك رسول شدتك ، وعفوك مالك قدرتك ، وأنا ضامن لك قلوب رعييتك ، مالم تخرجهم بالشدة عليهم ، أو تبطروهم بالاحسان اليهم * وقال أبان بن تغلب شهدت اعرابية توصى ولدا لها أراد سفرا وهي تقول : أى بنى ! اجلس أمنحك وصيتي ، وبالله توفيقك ، قال أبان فوقفت مستمعا لسلامها ، مستحسنا لوصيتها ، فإذا هي تقول : أى بنى ! إياك والتميمة ، فأنها تزرع الضغينة ، وتفرق بين المحبين ، وإياك والتعرض للعيوب

فتتخذ غرضاً ، وخلق أن لا يثبت الغرض على كثرة السهام ، وقلما اعتورت
السهم غرضاً الا كئنه ، حتى يهوى ما اشتد من قوته ، وإياك والجلود بدينك ،
والبخل بمالك ، واذا هزرت فاهزركريماً ، يلبس لهزرتك ، ولا تهزرك اللئيم فانه
صخرة لا ينفجر ماؤها ، ومثل بنفسك مثال غيرك ، فما استحسنك من غيرك فاعمل
به ، وما استقبحت من غيرك فاجتنبه ، فان المرء لا يرى عيب نفسه ، ومن كانت
مودته بشره ، وخالف منه ذلك فعله ، كان صديقه منه على مثل الريح في تصرفها .
ثم أمسكت فدنوت منها فقلت لها بالله يا عرابية ، الا ما زدت في الوصية ، قالت :
أو قد أعجبك كلام العرب يا حضري ؟ قلت نعم ! قالت : العذر أقبح ما تعامل به
الناس بينهم ، ومن جمع الحلم والسخاء فقد أجاد الحيلة ريطها وسربها

مدح السفر

(فقر مدح السفر) أبو القاسم بن عباد الصاحب : في الخبر المنقول أن
المقبوض غريباً شهيد . وفي الحديث سافروا تغنموا — السفر أحد أسباب
العيش التي بها قوامه ، وعليها نظامه ، إن الله لم يجمع منافع الدنيا في الأرض ، بل
فرقها وأحوج بعضها الى بعض — المسافر يسمع العجائب ، ويكسب التجارب ،
ويجلب المكاسب — الأسفار مما تزيدك علماً بقدرة الله وحكمته ، وتدعوك الى
شكر نعمته — ليس بينك وبين بلد نسب ، فخير البلاد ما حملك — السفر يسفر
عن أخلاق الرجال — أوحش أهلك ، إذا كان في إيجاثهم أنسك ، واهجر وطنك
إذا نبت عنه نفسك — ربما أسفر السفر ، عن الظفر . وتعذر في الوطن قضاء الوطر وأنشد
ليس ارتحالك تَرْتَادُ الغنى سفرًا * بل المقام على خَسْفٍ هو السفرُ

وهذا كقول الطائي

وما القفر بالبيد الفضاء بل التي * نبت بي وفيها ساكنوها هي القفرُ
أخذه المتنبي فقال

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا * أن لا تفارقهم فالراجلون همُ

ذم السفر والغربة

(نقيض ذلك في ذم السفر والغربة) في الحديث: إن المسافر وماله لعلّ ، قلت إلا ما وقى الله ، أى على هلاك * شيئان لا يعرفهما إلا من ابتلى بهما : السفر الشاسع ، والبناء الواسع — السفر والسقم والقتال : ثلاث متقاربة ، فالسفر سفينة الأذى ، والسقم حريق الجسد ، والقتال منبت المنايا — اذا كنت في غير بلدك فلا تنس نصيبك من الذل — الغربة كربة — النقلة مثلة — الغريب كالغرس الذي زایل أرضه ، وفقد شربه ، فهو ذاو لا يشمر ، وذابل لا ينضر — الغريب كالوحش النائي عن وطنه ، فهو اسكل سبع فريسة ، ولكل رام رمية ، وأنشد

لَقَرَبُ الدارِ في الإِقْتارِ خَيْرٌ * من العيش الموسّع في اغْتِرابِ

وقال أبو الفتح البستي

لا يعدم المرء شيئاً يستعين به * ومُتعة بين أهليه وأصحابه
ومن نأى عنهم قلت مهابته * كالليث يحقر لما غاب عن غابه

أبو عبيد الله

كتب أبو عبيد الله الى المهدي بعد عزله إياه عن الدواوين : لم ينكر أمير المؤمنين حالى في قرب المؤانسة وخصوص الخلطة من حالى عنده قبل ذلك في قيامى بواجب خدمته ، التى أدلتنى من نعمته ، فلم لأبدل أعز الله أمير المؤمنين حال التباعد ، وأقرب في محل الإقصاء ، وما يعلم الله منى فيما قلت إلا ما علمه أمير المؤمنين ، فان رأى أكرمه الله أن يعارض قولى ببله بدءاً وعاقبةً فعل ان شاء الله. فلما قرأ كتابه شهد بتصديقه قلبه فقال : ظلمنا أبا عبيد الله فليرد الى حاله ويعلم ما تجد له من حسن رأي فيه

الفضل بن الربيع

ولما أمر المأمون أن يحجب عنه الفضل بن الربيع لسبب تألم قلبه منه كتب إليه:
يا أمير المؤمنين! لم ينسني التقريب ، حالي أيام التباعد ، ولا أغفلتني المؤانسة
عن شكر الابتداء ، فعلى أي الحالين أبعد من أمير المؤمنين ، ويلحقني ذم التقصير
في واجب خدمته ؟ وإمير المؤمنين أعذل شهودي على الصدق فيما وصفت ، فإن
رأى أمير المؤمنين أن لا يكتم شهادتي فعل إن شاء الله

أبو حنبل

وقال أبو جعفر المنصور لأبي مسلم حين أزمع قتله هل كنت قبل قيامك
بدولتنا جائز الأمر على عبيدني ؟ قال لا يا أمير المؤمنين ، قال فلم تعرض حالي
عسرتك ومهانتك على أيا مني ، وتعرف لنا ما يعرف غيرك من اجلالنا وإعظامنا
حتى لا ينازعك الحين عنان الطمأنينة ؟ قال قد كان ذلك يا أمير المؤمنين ، ولكن
الزمان وإساءته قلبا ما كان من حسن صنيعي ، قال : فلامرغوب فيك ، ولا مأسوف
عليك ، وفي الله خلفٌ منك ! وأمر بقتله (١)

(١) انظر واجبات الملوك في كتاب « الأخلاق عند الغزالي »

شعر كشاجم

١

أجزاء القرآن

جملة من شعر أبي الفتح كشاجم في الأوصاف: قال يصف أجزاء من القرآن
 من يتب خشية العقاب فأتى * تبت أنساب هذه الأجزاء
 بعثتني على القراءة والنس * لك وما خلعتني من القراء
 حين جاءت تروقي باعتدال * من قدود وصيغة واستواء
 سبعة أشبهت لي السبعة الأنج * م ذات الأنوار والاضواء
 كسيت من أديمها الحالك اللو * ن غشاء أحيب به من غشاء
 مشبهات صبغ الشباب ولما * ت العذارى ولبسة الخطباء
 ورأت أنها تحسن بالضد * فتاهت بحلية بيضاء
 فهي مسودة الظهور وفيها * نور حق يجلو دجى الظلماء
 مطبقات على صحائف كالر * ط تخيرن من مسوك الأطباء
 وكأن الخطوط فيها رياض * شاكرات صنيعه الأنواء
 وكأن البياض والنقط السو * دعبير رششته في ملأ
 وكأن العشور والذهب السا * طع فيها كواكب في سماء
 وهي مشكولة بعدة أشكا * لومقروءة على أنحاء
 فاذا شئت كان حمزة فيها * واذا شئت كان فيها الكسائي
 خضرة في خلال هروصفر * بين تلك الأضعاف والأثناء
 مثل ما أثر الديب من الدر * على جلد بضعة عذراء
 ضمنت محكم الكتاب كتاب الله ذى المكرمات والآلاء
 فحقيق على أن أتلو القرآ * ن فيهن مصبجي ومسائي

٢

وصف تخت

وقال يصف التخت الذى يضرب عليه حساب الهند
 وقلمٌ مِدَادُهُ ترابٌ * فى صُحُفٍ سَطُورُهَا حسابٌ
 يكثر فيها المحو والاضراب * من غير أن يسود الكتابُ
 حتى يبين الحق والصواب * وليس إعجامٌ ولا إعرابٌ
 فيه ولا شكٌ ولا ارتيابٌ

٣

وصف بركار

وقال يصف بركارا استهداه
 جدلى بيركارك الذى صنعت * فيه يداقيه الأعاجيبا
 ملتئم الشعبتين معتدل * ماشين من جانبٍ ولا عيبا
 شخصان فى شكل واحد قدرا * وركبا بالعقول تركيبا
 أشبه شيئين فى اشتكاهما * بصاحب لا يزال مصحوبا
 أوثق مساره وغيب عن * نواظر الناقدين تغيبا
 فعين من يجتليه يحسبه * فى قالب الاعتدال مصبوبا
 قد ضم قطريه محكما لها * ضم محب اليه محبوبا
 يزداد حرصا عليه مُبصره * مازاده بالبنان تقريبا
 ذو مقلة بصرته منسية * لم تأله رقة وتهديا

ينظر فيها الى الصواب فما * بها يزال الصواب مطلوباً
لولا ماصح خط دائرة * ولا وجدنا الحساب تقريباً
لوعين إقليدس به بَصُرَتْ * خرَّ له بالسجود مكبوا
فابعثه واجنبه لى بمسطرة * تلف الهوى بالثناء مجنوبا



وصف بيكات

وقال يصف بيكاتا

روح من الماء في جسم من الصفر * مولد بلطيف الحسن والنظر
مستعبر لم يغب عن طرفه سكن * ولم يبت من ذوى ضغن على حذر
له على الظهر أجفان محجرة * ومقلة دمعها جار على قدر
ينشئ له حركات من أسافله * كأنها حركات الماء في الشجر
وفي أعاليه حساب يفصله * للناظرين بلاذهن ولا فكر
إذا بكى دار في أحشائه فلاك * جافى المسير وان لم يبك لم يدر
مترجم عن مواقيت يخبرنا * بها فيوجد فيها صادق الخبر
تقضى به الخس في وقت الوجوب وإن * غطى على الشمس ستر الغيم والمطر
وإن سهرت لأوقات تورقي * عرفت مقدار ما ألقى من السهر
مجدد كل ميقات تحيّر * ذوو التخيّر للأسفار والحضر
ونخرج لك بالأجزاء أطفها * من النهار وقوس الليل والسكر
نتيجة العلم والتفكير صورته * يا حبذا أبدع الأفكار في الصور

وصف اسطرلاب

وقال يصف اسطرلابا

ومستدير كجرم البدر مسطوح * عن كل رافعة الأشكال مصفوح
 صلب يدار على قطب يثبت * تمثال طرف بشكر الخدق مكبوح
 ملء البنان وقد أوفت صفائح * على الاقاليم من أقطارها الفيح^(١)
 تلفى به السبعة الافلاك محدقة * بالماء والنار والارضين والريخ
 تنبئك عن طامح الابراج هيئته * بالشمس طورا وطورا بالمصابيح
 وان مضت ساعة أو بعض ثانية * عرفت ذاك بعلم فيه مشروح
 وان تعرض في وقت يقدره * لك التشكك جلا بتصحيح
 مميز في قياسات الضاوع به * بين المشائم منها والمناجيح
 له على الظهر عينا حكمة بهما * يحوى الضيا وتجنیه من اللوح
 وفي الدواوين من أشكاله حكم * تنقح العقل فيها أى تنقيح
 لا يستقل لما فيه بعرفة * الا الحصيف اللطيف الحس والروح
 حتى ترى الغيب فيه وهو منغلقالا * بواب عن من سواه جدمفتوح
 نتيجة الذهن والتفكير صورته * ذوو العقول الصحيحة المراجيح

أبو اسحاق الصابى

وكان أبو شجاع فنا خسرو عضد الدولة قد نكب أبا اسحاق الصابى ، على
 تقدمه فى الكتابة ، ومكانه فى البلاغة ، واستصفى أمواله من غير ايقاع به فى نفسه ،
 فأهدى اليه فى يوم مهرجان اسطرلابا فى دور درهم وكتب اليه

(١) الفيح : الواسعة ، جمع أفيح أو فيحاء

أهدى إليك بنو الحاجات واحتشدوا * في مهرجانٍ عظيم أنت تُعليه
لكنَّ عبدك إبراهيم حين رأى * سموَّ قدرك عن شئٍ يساميه
لم يرض بالأرض يهديها إليك فقد * أهدى لك الفلك الأعلى بما فيه

وصف الهن

وقول أبي الفتح ملء البنان البيت، نظير قول علي بن العباس الرومي يصف
هن امرأة^(١)

يسع السبعة الأقاليم طراً * وهو في أصبعين من إقليم
كضمير الفؤاد يلتهم الدن * يا وتحويه دفناً حيزوم
وإنما أخذه ابن الرومي من قول بعض الشعراء يذكر كاتباً
في كفه أخرس ذو منطقٍ * بقافه واللام والميم
شبر إذا قيس ولكنه * في فعله مثل الأقاليم
محذف الرأس ومسوده * كبرة الرُّوق من الرِّيم^(٢)

وهذا البيت الأخير مقلوب من قول عدي بن الرقاع العاملي وقد وصف قرن
ريم وشبهه بقلم عليه مداد وذكر ظبية
تزجي أغنَّ كأن إبرة روقه * قلم أصاب من الدواة مدادها
وقلب المعنى إذا تمكن الشاعر من اخفائه لا يجري مجرى السرقة

أوراك العذارى

وقد ترى تكثير الشعراء من تشبيه أوراك النسوان بالرمل والكشبان ،
قال الشاعر

وبيض نصيرات الوجوه كأنما * تأزرن دون الأزر رملات عالج

(١) الهن . الفرج (٢) روق الرِّيم . قرن الظبي .

خِذَالُ الشَّوَى لَا تَحْتَشِي غَيْرَ خَلْقِهَا * اِذَا الرُّسْحُ لَمْ يَصْبِرْ نَدْوَنَ الْمَنَافِجِ (١)
يَذَرْنَ مَرْوُطَ الْخَزِّ مَلَأَى كَأَنَّهَا * قَصَارٌ وَإِنْ طَالَتْ بِأَيْدِي النُّوَاسِجِ
وهذا المعنى متداول متناقل في الجاهلية والاسلام ، فأغرب ذو الرمة في قلبه
وأحسن ، فقال يصف رملا

ورمل كأوراك العذارى قطعته * وقد جللته المظلمات الحنادس
وكذلك مدحهم ضمور الكشح ، وجولان الوشح ، وصموت القلب والخلخال
وامتناع الخدام من المجال ، قال خالد بن يزيد بن معاوية وذكر رملة بنت الزبير
ابن العوام

تَجُولُ خَلَاخِيلَ النِّسَاءِ وَلَا أَرَى * لَرْمَلَةٍ خَلَخَالًا يَجُولُ وَلَا قَلْبًا (٢)
أَحَبُّ بَنِي الْعَوَامِ طَرًّا لِحَبِّهَا * وَمَنْ أَجْلَهَا أَحَبَّتْ أَخَوَاهَا كَلْبًا
وقال النابغة
على أن حجلبها وإن قلت أوسعا * صموتان من ملء وقلة منطق
وقال الطائي

مَهْيَ الْوَحْشِ إِلَّا أَنْ هَاتَا أَوَانِسُ * قَنَا الْخَطَّ إِلَّا أَنْ تَلَكَ ذَوَابِلُ
مَنْ الْهَيْفَ لَوْ أَنَّ الْخَلَاخِيلَ صَيَّرَتْ * لَهَاوُشْجًا جَالَتْ عَلَيْهَا الْخَلَاخِلُ (٣)
وقال ابن أبي زرعة الدمشقي

اسْتَسْكَمَتْ خَلَاخِيلَهَا وَمَشَتْ * تَحْتَ الظَّلَامِ بِهِ فَمَا نَطَقَا
حتى إذا ربح الصبا نسمت * ملأ العبير بسيرها الطرقا

(١) خِذَالُ الشَّوَى : ممثلة الاطراف ، والرسح جمع رسحاء وهي قليلة اللحم العجز
والفخذين ، والمنافج حشايا توضع فوق الارداق (٢) القلب بالضم السوار
(٣) الوشح بضمين جمع وشاح

قلب المعاني

وقال المتنبي

وخصرٍ تثبت الأَبصار فيه * كَأَنَّ عليه من حدقٍ نطاقاً
قلب هذا كله أBOعْمان الناجم فقال يهجو قينة
مسألة الكل غير بطنٍ * مثقَلٌ فهي عنكبوتُ
حُجْوُها الدهر في اصطخابٍ * ووُشْحها كُظْمٌ صُمُوتُ
وقال أبو عثمان يمدح قينة

محسنة في كل ألحانها * لا كالتى تحسن في الثُدره
ثم قلبه في هجاء فقال

عجبت منها ويحها كيف لا * تخطى بالاحسان في الثُدره
وهذا مأخوذ من قول محمد بن منذر يهجو خالد بن طليق ، وكان قد تقلد قضاء
البصرة

يا عجباً من خالدٍ كيف لا * يخطى فينا مرةً بالصواب
كان قضاء الناس فيما مضى * من رحمة الله وهذا عذاب
وهذا أيضاً من قلب الهجاء مديحاً ، والمديح هجاء ، كما قال مسلم بن الوليد
يهجو قوما

قبحت مناظرهم فحين خبرتهم * حُسنَت مناظرهم بقبح الخُبَرِ
قلبه أبو الطيب المتنبي فقال
وأستكبر الأخبار قبل لقائه * فلما التقينا صغر الخبر الخُبَرُ
وقال أبو تمام

عباً الكمين له فضلٌ لحينه * وكمينه الخفى عليه كمينُ
قلبه البحتري فقال
لا يئأس المرء أن ينجيه * ما يحسب الناس أنه عطيه

وقال أبو تمام

وحشية ترمى القلوب اذا غدت * وسر فاصطاد غير الصيد

قلبه البحرى فقال

على أنى أخشى على دار أمنها * فوارس يصطاد الفوارس صيدها

وقال أبو تمام

يشنأ الغيث وهو جِدُّ حبيب * رب حزم فى بغضة المومق

قلبه البحرى فقال

يسرنى الشئ قد يسوءكم * نوّه يوماً بخاملٍ لقبه

قال أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر: المعنى فى المصراع الاول آيين منه

فى الثانى ، ألا ترى أنه لو قال: انه ليسوءك الشئ قد يسر ، كان مثل ذلك المعنى

مستويا ، إلا أنه قلبه لحاجته ، قال ابن الرومى يهجو مغنية

قينة ملعونة من أجلها * رفض اللهو معاً من رفضه

فاذا غنت ترى فى حلقها * كل عرق مثل بيت الأرضه

فقلبها ابن المعتز فقال يصف أرضه أكلت له كتابا

تثنى أنايب لها فيها سبل * مثل العروق لا ترى فيها خلل

وهذا كثير يكتب منه بالسير

ومن المعاني ما لا ينقلب: ألا ترى أنك تقول نام القوم حتى كأنهم موتى ، ولا يحسن

أن تقول ماتوا حتى كأنهم نيام ، وقد أخذ على أبى نواس قوله يصف داراً وقف بها

كأنها إذ خرست جارم * بين يدي تفنيد مطرق

قالوا إنما يجب أن يشبه الجارم اذا عدلوه فسكت وانقطعت حجته بالدار

الخالية التى لا تجيب ، وأخذوا عليه قوله

كأن نيراننا فى جنب حصنهم * معصفرات على أرسان قصار

وقد تبعه أبو تمام الطائى فقال فى الافشين لما أحرق

ما زال سر الكفرين ضلوعه * حتى اصطلى سر الزناد الوارى

نارٌ يساور جسمه من حرها * لهبٌ كما عصفت شق إزار
 طارت له شعلٌ يهيم لفحها * أركانهُ هدماً بغير غبار
 فصلن منه كل مجمع مفصل * وفعلن فاقةً بكل فقار
 صلي لها حياً وكان وقودها * ميتاً ويدخلها مع الكفار
 وكذلك أهل النار في الدنيا هم * يوم القيامة جلُّ أهل النار
 أردت البيت الثاني ، قالوا وإنما تشبه الشياب المعصرة بالنار ، فهذا ومأشبهه
 لا يتوازن انعكاسه ، وتتضاد قضاياه ، وإنما يصح القلب فيما يتحقق تضاده أو يتقارب

ذكر النجوم

قطعة من شعر أهل العصر في ذكر النجوم قال أبو الفتح البستي
 قد غصّ من أملٍ أني أرى عملي * أقوى من المشتري في أوّل الحمل
 وأنني راحلٌ عما أحاوله * كأني أستدرّ الحظ من زحل
 وقال : إذا غدا ملكٌ باللّهُو مشغلاً * فاحكم على ملكه بالويل والحرب
 ألم تر الشمس في الميزان هابطةً * لما غدا برج نجم اللّهُو والطرب
 وقال : وقد تدنى الملوكة لدى رضاها * وتبعد حين تحتقد احتقادا
 كما المريخ في التمثيل يعطى * وفي التربيع يسلب ما أفادا
 وقال : ألا فتقوا بي فاني كما * تمدّحت فليمتحن من يُحب
 فما كوكبي راجعاً في الوفاء * ولا برحُ قلبي بالمنقلب
 وقال : لنن كسفونا بلا علةٍ * وفازت قديحهم بالظفر
 فقد يكسف المرء من دونه * كما يكسف الشمس جرم القمر
 وقال : شرف الوغد بوغد مثله * مثل ما فيه بزيغ وخل
 ودليل الصدق فيما قلته * شرف المريخ في بيت زحل
 (٧ - في)

وقال: قل للذي غرته عزّة ملكه * حتى أخل بطاعة النصحاء
شرف الملوك بعلمهم وبرأيهم * وكذلك أوج الشمس في الجوزاء
وقال: وقد يفسد المرء بعد الصلاح * فساداً لا ما كن والشرُّ يعدى
كما السعد يقبل طبع النحوس * إذا كان في موضع غير سعد
وقال: ما أنسُ ظمآنٍ بماء باردٍ * من بعد طول العهد بالمواردِ
إلا كأنسى بكتابٍ واردٍ * من سيدٍ محض النّجار ماجدٍ
كأنما استملاه من عطارٍ

وقال: ياء عشر الكتاب لا تتعرّضوا * لرياسةٍ وتصاغروا وتخاذموا
إن السكوا كب كُنَّ في أشرافها * إلا عطارٍ حين صور آدمُ
وقال: دعاني الى بيته سيدٌ * له الخلق الاشرفُ الأطرافُ
فلا زمت بيتي ولا طفته * بعذر هو الأطراف الأطرافُ
عطارٍ نجى ولا شك أن * عطارٍ في بيته أشرفُ
وقال: لئن تنقلتُ من دارٍ الى دارٍ * وصرت بعد ثواء رهن أسفارٍ
فالحرُّ عزيز النفس حيث نوى * والشمس في كل برج ذات أنوارٍ
وقال: لئن صدّع الدهر المشتت شملنا * وللدهر حكمٌ للجميع صدوعُ
فلننجم من بعد الرجوع استقامةً * وللشمس من بعد الغروب طلوع
وقال لمحبوس

حبست ومن بعد الكسوف تبلّج * تضيء به الآفاق للبدر والشمس
فلا تعتقد الحبس غمّاً ووحشةً * فأول كون المرء في أضيق الحبس
وقال أيضاً

يلمن تولى المشتري تدبيره * حاشاك أن تنقاد للمريخ
وقال: لا تفزعن من كل شيء مفزعٍ * ما كل تدبير البروج بضائرٍ

وقال يرثي أبا القاسم صاحب

فقدناه لما تم واعتم بالعلی * كذاك كسوف البدر عند تمامه

وقال أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد بن درست لأبي الفضل الميكالي

إذا ما غاب وجه البدر عنا * فوجهك عندنا البدر المقيم

فإن رجعت نجوم السعد يوماً * فوجهك نجم سعد مستقيم

وقال مسكويه الخالدي

لا يعجبنيك حسن القصر تنزله * فضيلة الشمس ليست في منازلها

لو زيدت الشمس في أبراجها مائة * ما زاد ذلك شيئاً في فضائلها

وقال أبو بكر الخوارزمي

رأيتك إن أيسرت خيمت عندنا * لزماً وإن أعسرت زرت لماما

فما أنت إلا البدر إن قل ضوءه * أغب وان زاد الضياء أقالما

وهذا كقول إبراهيم بن العباس الصولي في محمد بن عبد الملك الزيات

أسدٌ ضار إذا مانعته * وأبٌ برٌّ إذا ما قدرا

يعرف الأبعد إن أثرى ولا * يعرف الأدنى إذا ما افتقرا

وقال ابن المعتز

إذا ما أراد الحاسدون انهدامه * بناه إلهٌ غالبٌ العز قاهره

وماذا يريد الحاسدون من امرئ * تزينهم أخلاقه وما ثره

إذا ما هو استغنى اهتدى لافتقارهم * ولا تهتدى يوماً اليهم مفارقة

وكانوا كرام كوكبا ببصاقه * فرد عليهم وبله ومواطره

وهذا البيت كما قال بعض العرب في إحدى الروايات

رمانى بأمرٍ كنت منه ووالدى * بريئاً ومن جال الطوى رمانى

الجلول والجال الناحية ، والطوى : البئر ، يريد رمانى بما عاد عليه ، والرواية

المشهوره ومن أجل الطوى ، فعلى هذا تسقط المناسبة بينهما وبين قول ابن المعتز

الأصمعي وبعض الأعراب

قال بعض الرواة كنا مع أبي نصر راوية الأصمعي في رياض من المذاكرة
نجتني ثمارها ، ونجتلي أنوارها ، الى أن أفضنا في ذكر أبي سعيد عبد الملك
ابن قريب الأصمعي فقال : رحم الله الأصمعي انه لمعدن حكم ، وبحر علم ، غير
أنه لم نر قط مثل اعرابي وقف بنا فسلم فقال أيكم الأصمعي ؟ فقال أنا ذاك . فقال
أتأذنون بالجلوس ؟ فأذنا له ، وعجبنا من حسن أدبه ، مع جفاء أدب الأعراب .
قال يا أصمعي أنت الذي يزعم هؤلاء النفر أنك أنقبتهم معرفة بالشعر والعربية ،
وحكايات الأعراب ؟ قال الأصمعي : فيهم من هو أعلم مني ، ومن هو دوني . قال
أفلا تنشدونني من بعض شعر أهل الحضر ، حتى أقيسه على شعر أصحابنا
فأنشده شعرا الرجل امتدح به مسامة بن عبد الملك

أمسلم أنت البحرُ إن جاء وردٌ * وليث إذا ما الحرب طار عقابها
وأنت كسيف الهندواني أن غدت * حوادث من حرب يعبُّ عباها
وما خلقتا كرومة في امرئ له * ولا غاية إلا اليك ما بها
كأنك ديانٌ عليها موكلٌ * بها وعلى كفيك يجري حسابها
اليك رحلنا العيس إذ لم نجد لها * أخا ثقة يرجي لديه ثوابها

قال فتبسّم الأعرابي ، وهزّ رأسه ، فظننا ان ذلك لاستحسانه الشعر ، ثم قال
يا أصمعي هذا شعر مهلهل خلق النسيج ، خطؤه أكثر من صوابه ، يغطي عيوبه حسن
الروي ، ورواية المنشد ، يشبهون الملك اذا امتدح بالأسد ، والأسد أبجر شتيم المنظر ^(١)
وربما طرده شزيمة من إماننا ، وتلاعب به صبياننا ، ويشبهونه بالبحر ، والبحر صعب
على من ركبته ، مرثى على من شر به ، وبالسيف وربما خان في الحقيقة ، ونبا عند الضريبة ،
ألا أنشدتني كما قال صبي من حيننا ! قال الأصمعي وماذا قال صاحبكم ؟ فأنشده

إذا سألت الورى عن كل مكرمة * لم يُعزَإ كرامها الا الى الهول
 قَتَى جوادُ أذاب المال نائله * فالنيل يشكر منه كثرة النيل
 الموت يكره أن يلقى منيته * فى كَرَّهٍ عند لف الخيل بالخيل
 لو زاحم الشمس أبقي الشمس كاسفة * أو زاحم الصم أجاها الى الميل
 أمضى من النجم ان نابته نائبة * وعند أعدائه أجرى من السيل
 لا يستريح الى الدنيا وزينتها * ولا تراه اليها صاحب الذيل
 يقصّر المجد عنه فى مكارم * كما يقصّر عن أفعاله قولى

قال أبو نصر فأبهتنا والله ما سمعنا من قوله ، قال فتأنى الاعرابي ثم قال
 للأصمعي : ألا تنشدنى شعرا ترتاح اليه النفس ويسكن اليه القلب ؟ فأنشده
 لابن الرقاع العاملى

وناعمة تجلو بعود أراك * مؤشرة يسبى المعانق طيها
 كأن بها خمرأ بماء غمامة * اذا ارتشفت بعد الرقاد غروبها
 أراك الى نجد تحن وانما * مئى كل نفس حيث كان حبيبها

فتبسم الاعرابي وقال : يا أصمعي ما هذا بدون الأول ، ولا فوقه ، ألا أنشدنى
 كما قلت ؟ قال الأصمعي وما قلت جعلت فداك ، فأنشده

تعلقتهما بكرأ وعُلقت حبها * فقلبي عن كل الورى فارغ بكر
 اذا احتجبت لم يكفك البدر ضوءها * وتكفيك ضوء البدران حجب البدر
 وما الصبر عنها ان صبرت وجدته * جميلا وهل فى مثلها يحسن الصبر
 ولو أن جلد الذر لأمس جلدها * لكان المس الذر فى جلدها أثر
 ولو لم يكن للبدر ضدأ جمالها * وتفضله فى حسنها لصفا البدر

قال أبو نصر قال لنا الأصمعي اكتبوا ما سمعتم ولو بأطراف المدي فى رقاق
 الا كباد ! قال وأقام عندنا شهرا فجمع له الأصمعي خمسمائة دينار ، وكان يتعاهدنا
 فى الحين بعد الحين ، حتى مات الأصمعي وتفرق أصحابنا

كلام الاعراب

(فقر من كلام الاعراب في ضروب مختلفة) قال الجاحظ: ليس في الارض كلام هو أمتع، ولا أنفع، ولا آنق، ولا ألد في الاسماع، ولا أشد اتصالا بالعقول السليمة، ولا أفق للسان، ولا أجود تقويما للبيان، من طول استماع حديث الاعراب العقلاء الفصحاء

قال ابن المقفع وقد جرى ذكر الشعر وفضيلته: أي حكمة تكون أبلغ، أو أحسن، أو أغرب، أو أعجب، من غلام بدوى لم يري ريفاً، ولم يشبع من طعام، يستوحش من الكلام، ويفزع من البشر، ويأوى الى القفر، واليرابيع، والظباء، وقد خالط الغيلان، وأنس بالجان، فاذا قال الشعر وصف مالم يره، ولم يغدّ به، ولم يعرفه، ثم يذكر محاسن الاخلاق ومساوئها، ويمدح، ويمجّو، ويندم، ويعاتب، ويشبب، ويقول ما يكتب عنه، ويروى له، ويبقى عليه وقال بعض الاعراب

واني لأهدى بالاناس كالدمى * واني بأطراف القنا للعوب
واني على ما كان من عنجبيتي * ولؤنة أعرابتي لأديب (١)
كأن الأدب غريب من الاعراب، فافتخر بما عنده منه. وقال الطائي
في فطنتهم يستعطف مالك بن طوق على قومه نبي تغلب

لا رقة الحضر اللطيف غدتهم * وتباعدوا عن فطنة الاعراب
فاذا كشفتهم وجدت لديهم * كرم النفوس وقلة الآداب
ووصف اعرابي رجلاً فقال: هو أطهر من الماء، وأرق طباعاً من الهواء، وأمضى من السيل، وأهدى من النجم. ووصف اعرابي رجلاً فقال: ذاك والله من ينفع سلمه، ويتوآصف حلمه، ولا يستمرأ ظلمه. وقال اعرابي: جلست الى قوم

من أهل بغداد فما رأيت أرجح من أحلامهم ، ولا أطيش من أقلامهم . وذكر
 اعرابي من بني كلاب رجلا فقال : كان والله الفهم منه ذا أذنين ، والجواب ذا لسانين
 ولم أر أحدا أرتق لخلل رأى ، ولا أبعد مسافة روية ، ومراد طرف منه ، إنما
 كان يرمي بهمته حيث أشار اليه الكرم ، وما زال يتحسّى مرارة أخلاق الاخوان ،
 ويسقيهم عنوبة أخلاقه * وذكر اعرابي رجلا فقال : والله لكأن القلوب ،
 والأسن ، رِيضت له ، فما تُعقد الا على وده ، ولا تنطق الا بحمده . وقال اعرابي :
 أقبح أعمال المقتدرين الانتقام ، وما استنبط الصواب بمثل المشاورة ، ولا اكتسبت
 البغضاء بمثل الكبر . قال الأصمعي : وخطبنا اعرابي بالبادية فقال : أيها الناس
 ان الدنيا دار مفر ، والآخرة دار مقر ، نخدوا من مفرّكم لمقرّكم ، ولا تهتمكوا
 أستمركم ، عند من لا تخفى عليه أسراركم . قال المعافر بن نعيم : وقفت أنا ومعبد
 ابن طوق العنبري على مجلس لبني العنبري وأنا على ناقة وهو على حمار ، فقاموا
 فبدؤني فسلموا عليّ ، ثم انكفؤا على معبد فقبض يده عنهم ، وقال : لا ولا كرامة !
 بدأتم بالصغير قبل الكبير ، وبالملوئى قبل العربي ، وبالملغم قبل الشاعر . فأسكت
 القوم فانبرى اليه غلام فقال : بدأنا بالكاتب ، قبل الأُمى ، وبالمهاجر قبل الاعرابي
 وبرأكب الراحلة قبل راكب الحمار ! ووصف اعرابي قومه فقال : ليوث حرب
 وغيوث جذب ، إن قاتلوا أبلوا ، وإن بذلوا أغنوا : ووصف اعرابي قوما فقال :
 اذا اصطفوا سفرت بينهم السهام ، واذا تصاحفوا بالسيوف ففرّقه الحما * وسئل
 اعرابي عن صديق له فقال : صفرت عياب الود بيني وبينه بعد امتلائها ^(١)
 واكفهرّت وجوه كانت بمائها . وقال الأصمعي وسمعت اعرابيا يقول : ان
 الآمال قطعت أعناق الرجال ، كالسرّاب غر من رآه ، وأخلف من رجاء ، ومن
 كان الليل والنهار مطيته ، أسرع السير والبلوغ به

والمرء يفرح بالايام يقطعها * وكل يوم مضى بدنى من الاجل

وذكر اعرابي مصيبة نالته فقال : انما والله مصيبة جعلت سود الرؤوس بيضا ، وبيض الوجه سودا ، وهونت المصائب ، وشيبت الذوائب .

وهذا كقول عبد الله بن الزبير الاسدي

رمى الحدثنان نسوة آل حرب * بمقدار سمدن له سموداً^(١)
فرد شعورهن السود بيضاً * ورد وجوههن البيض سودا
وانك لو رأيت بكاء هندي * ورملة اذ تصكان الحدودا
بكيت بكاء موعلة حزين * أصاب الدهر واحدها الفقيدا
ونظير هذا التطابق بين السواد والبياض وان لم يكن من هذا المعنى قول

ابن الرومي

يا بياض المشيب سودت وجهي * عند بيض الوجه سود القرون
فلمعمرى لأخفينك جهدي * عن عياني وعن عيان العيون
ولعمرى لأمنعنك أن تضحك في رأس آسف محزون
بسواد فيه ابيضاض لوجهي * وسواد لوجهك الملعون
سأل اعرابيان رجلا فخرهما فقال أحدهما لصاحبه : نزلت والله بواد غير
م مطور ، واتيت رجلا بك غير مسرور ، فلم تدرك ما سألت ، ولا نلت ما أملت
فارتحل بندم ، أو أقم على عدم . قال الاصمعي وسمعت اعرابيا يقول : غفلنا
ولم يغفل الدهر عنا ، فلم نتعظ بغيرنا ، حتى وعظ غيرنا بنا ، فقد ادركت السعادة
من تنبه ، وأدركت الشقاوة من غفل ، وكفى بالتجربة واعظاً — وقال اعرابي لرجل :
اشكر للمنعم عليك ، وأنعم على الشاكر لك ، تستوجب من ربك زيادته ، ومن
أخيك مناصحته . ومدح اعرابي رجلا فقال : ذلك والله فسيح الادب ، مستحکم
السبب ، من أي أقطاره أتيت ، تنني عليه بكرم فعال ، وحسن مقال * وذم اعرابي
رجلا فقال : أفسد آخرته بصلاح دنياه ، ففارق ما أصلح غير راجع اليه ، وقدم

(١) سمدن له : تلوت له رءوسهن

على ما أفسد غير منتقل عنه ، ولو صدق رجل نفسه ما كذبت به ، ولو ألقى زمامه أوطأه راحلته . وقال اعرابي : خرجت حين انحدرت أيدي النجوم ، وشالت أرجلها ، فما زلت أصدع الليل حتى انصدع الفجر . وقال اعرابي وقد تعالت ذميل العنس * بالسوط في ديمومة كالترس

اذ عرج الليل بروج الشمس

ومن مליح الاستعارة في نحو هذا قول الحسن بن وهب : شربت البارحة على وجه الجوزاء ، فلما انتبه الفجر نمت ، فما عقلت حتى لحفتي قميص الشمس * وقال اعرابي لصاحبه في شيء ذكره : قل ان شاء الله ، فانها ترضى الرب ، وتسخط الشيطان ، ونذهب الخنث ، وتقضى الحاجة . وروى العتيبي عن أبيه قال سمعت اعرابياً يقول لأخيه في معاتبة جرت بينهما : أما والله لرب يوم كتنور الطاهي ، رقاص بالحمامة ، قد رميت نفسي في أجيج سمومه ، أحتمل منه ما أكره لما أحب — قال أبو العباس محمد بن يزيد وأحسب العتيبي صنع هذا الكلام وأخذه من قول بشار

ويوم كتنور الاماء سجرته * وأوقدن فيه الجزل حتى تضرَّما
رميت بنفسي في أجيج سمومه * وبالعيس حتى بضَّ منخرها دما
أخذ هذا المعنى بعض أصحاب أبي العباس ثعلب فقال يهجو المبرد
ويوم كتنور الطهارة سجرته * على انه منه أحرَّ وأوقدُ
ظلمت به عند المبرد جالساً * فما زلت في ألفاظه أنبردُ

أحزان الشواكل

قال الاصمعي حجبت أعرابية ومعها ابن لها فأصيبت به فلما دفن قامت على قبره وهي موجعة فقالت : والله يا بني لقد غدتوك رضيعاً ، وقد تكت سريراً ، وكأنه لم يكن بين الحالين مدة ألتد بعيشك فيها ، فأصبحت بعبد النضارة والغضارة ،

ورونق الحياة والتنسّم في طيب روائحها ، تحت أطباق الثرى جسداً هامداً ، ورفاتا سحيقاً ، وصعيداً جرّزاً ، أى بنى ! لقد سحبت الدنيا عليك أذيال الفنا ، وأسكنتك دار البلى ، ورمتني بعدك نكبة الردى ، أى بنى ! لقد أسفر لى وجه الدنيا عن صباح داج ظلامه . ثم قالت : أى رب ومنك العدل ، ومن خلقت الجور ، وهبته لى قرّة عين ، فلم تمتعنى به كثيراً ، بل سلبتني وشيكا ، ثم أمرتني بالصبر ، ووعدتني عليه الأجر ، فصدقت وعدك ، ورضيت قضاءك ، فرحم الله من ترحّم على من استودعته الردم ، ووسدته الثرى ، اللهم ارحم غربته ، وأنس وحشته ، واستر عورته ، يوم تكشف الهنات والسوآت . فلما أرادت الرجوع إلى أهلها وقفت على قبر دفقات : أى بنى ! انى قد تزودت لسفرى ، فليت شعرى مازادك لبعد طريقك ، ويوم معارك ، اللهم انى أسألك له الرضى برضائى عنه . ثم قالت : استودعتك من استودعنيك فى أحشائى جنيئاً ، وأنكّل الوالدات ! ما مضى حرارة قلوبهن ، وأقلق مضاجعهن ، وأطول ليلهن ، وأقصر نهارهن ، وأقل أنسهن ، وأشدّ وحشتن ، وأبعدهن من السرور ، وأقربهن من الأحزان ! فلم تزل تقول هذا ونحوه حتى أبكت كل من سمعها ، وحمدت الله عز وجل واسترجعت وصلت ركعات عند قبره وانطلقت

✓ وأنشد المفضل الضبي لامرأة من العرب ترثى ابنا لها

يا عمرو مالى عنك من صبر * يا عمرو يا أسفى على عمرو
 لله يا عمرو وأى فتى * كفنت يوم وضعت فى القبر
 أحشو التراب على مفارقة * وعلى غضارة وجهه النضر^(١)
 حين استوى وعلا الشباب به * وبدا منير الوجه كالبدر
 ورجا أقاربه منافع * ورأوا شمائل سيد غمر^(٢)
 وأمه همى فساوره * وغدا مع الغادين فى السفر

(١) المفارق : مواضع فرق الشعر من الرأس (٢) غمر : جزيل العطاء

تعدو به شقراء سامية * مرطى الجراء شديدة الأسر^(١)
 ثبت الجنان به ويقدمها * فليج يقلب مقلنى صقر^(٢)
 ربّيته دهرًا أفقّه * فى اليسر أغدود فى العسر
 حتى اذا التأميل أمكنى * فيه قبيل تلاحق الثغر
 وجعلت من شغفى أنقله * فى الارض بين تنائف غبر^(٣)
 أدع المزارع والحصون به * وأحلّه فى المهمه القفر
 ما زلت أصعده وأحدره * من فتر وموامة الى فتر^(٤)
 هربًا به والموت يطلبه * حيث انتويت به ولا أدرى^(٥)
 حتى دفعت به لمصرعه * سوق المعيز تساق للعتر^(٦)
 ما كان إلا أن هجعت له * ورمى فأغنى مطلع الفجر
 ورمى الكرى رأسى ومال به * رمس يساور منه كالسكر
 اذ راغى صوت هببت به * وذعرت منه أيما دعر
 واذا منيته تساوره * قد كدحت فى الوجه والنحر
 واذا له علق وحشرجة * مما يجليش به من الصدر
 والموت يقبضه ويبسطه * كالثوب عند الطي والنشر
 فدعا لأنصره وكنت له * من قبل ذلك حاضر النصر
 فعجزت عنه وهى زاهقة * بين الوريد ومدفع السحر
 فضى وأى قى فجعت به * جلت مصيبتة عن القدر
 لو قيل تفديه بذات له * مالى وما جمعت من وفر
 أو كنت مقتدرًا على عمري * آثرته بالشطر من عمري

(١) مرطى : سريعة . والأسر القوة (٢) فليج : حليف النصر (٣) التنائف
 جمع تنوفة وهى الصحراء (٤) القتر بالضم الجانب (٥) انتويت : قصدت
 (٦) العتر : اسم نبات أو شجر صغير

قد كنت ذا فقرٍ له فعدا * ورمى على وقد رأى فقري
لو شاء ربى كان متعنى * بابنى وشدّ بأزره أزرى
بُنيت عليك بنى أحوج ما * كنا اليك صفائح الصخر
لا يبعدك الله يا عمرى * إما مضيت فنحن بالأثر
هذى سبيل الناس كلهم * لا بدّ سالكها على سفر
أولاً تراهم فى ديارهم * يتوقعون وهم على دُعر
والموت يوردهم مواردهم * قسراً فقد ذلّوا على القسر

وصف رجل

وقال اعرابي يمدح رجلاً
يمدّ نِجاد السيف حتى كأنه * بأعلى سِنَاهِي دالج يتطوّحُ
ويُدْجُ في حاجاتٍ من هو نائم * ويورى كريمات النوى حين يقدحُ
إذا اعتّم بالبرد البمانى حسبته * هلالاً بدا فى جانب الأفق يلمحُ
يزيد على فضل الرجال فضيلةً * ويقصر عنه مدح من يتمدح

بكاء الحمام *

وأنشد ابن أبي طاهر لأعرابي
وقبلى أبكى كل من كان ذاهوًى * هتوف البواكى والديار البلاقعُ
وهنّ على الاطلال من كل جانبٍ * نوائحُ ما تخضّلُ منها المدامعُ
مُزبرةُ الأعناق نمرٌ ظهورها * مخطمة بالدر خضرٌ روائعُ
ترى طرزا بين الخوافى كأنها * حواشى برد زينتها الوشائعُ
ومن قطع الياقوت صيغت عيونها * خواضب بالحناء منها الأصابعُ

* انظر نوح الحمام فى كتاب (مدامع العشاق)

ومن جيد ما قيل في الحمام قول ابن الرومي
وقفت بمطراب العشيات والضحى * فظأْتُ أسحُ الدمع مني وأسجمُ
حليفة شجور هاج مابي وما بها * تباريح شوق يشتكيها المنيم
فباح به فوها وأخفته عينها * وباحت به عيني وكتمه الفم

اسماعيل بن صبيح

ودخل أعرابي على الرشيد فأنشده أرجوزة مدحه بها واسماعيل بن صبيح
يكتب كتابا بين يديه ، وكان من أحسن الناس خطا ، وأسرعهم يدا ، فقال
الرشيد للأعرابي صف الكاتب فقال

رقيق حواشي العلم حين تبور * يريك الهوينى والأمر تطير
له قلماً بؤس ونعمى كلاهما * سحابتة في الحالتين درور
بناجيك عما في ضميرك خطه * ويفتح باب النجح وهو عسير
فقال الرشيد : قد وجب لك يا أعرابي عليه حق ، كما وجب لك علينا . يا غلام
ادفع له دية الحر ، فقال اسماعيل وعلى عبدك دية العبد

رقعة الحنين

قال أعرابي من بني عتيل
أحنُّ إلى أرض الحجاز وحاجي * خيامٌ بنجد دونها الطرف يقصُر
وما نظري نحو الحجاز بنافعي * فتميلاً ولكني على ذاك أنظر
أفي كل يوم نظرة ثم عبرة * لعينيك يجري ماؤها يتحدّر
متى يستريح القلب إما مجاور * حزينٌ وإما نازحٌ يتذكر

دعوة الله

وقال اعرابي

واني لأغضى مقلتي على القذى * وألبس ثوب الصبر أبيضاً بلجا
واني لأدعو الله والامر ضيق * على فما ينفك أن يتفرجاً
وكم من قتي ضاقت عليه وجوهه * أصاب لها في دعوة الله مخرجا

ذكرى الحبيب

وقال آخر

ذكرتك ذكرى هائم بك تنتهي * اليك أمانيه وان لم يكن وصل
ولست بذكري ساعة بعد ساعة * ولكنها موصولة ما لها فصل

وقال آخر

أريتك ان شطت بك العام نية * وغالك مصطاف الحمى ومرابعة
أترعين ما استودعت أم أنت كالذي * اذا ما نأى هانت عليك وداعة
ألا إن حسياً دونه قلة الحمى * مني النفس لو كانت تنال شراعه^(١)

بر المرء بقومه

أخذت أزد العتيك شاعرا من قيس بن ثعلبة اسمه المعدل في دم فآتاه البيهس
ابن ربيعة فحمله ، وأمره أن ينجو بنفسه ، وأسلم نفسه مكانه ، فقال له المعدل
أخيرك بين أن أمدحك أو أمدح قومك ، فاختر أمدح قومك فقال

جزى الله فتيان العتيك وان نأت * بي الدار عنهم خيرا كان جازيا
هم خلطوني بالنفوس وأحسنوا النص * حابة لما حُمَّ ما كان آتيا
متاعهم فوزي قضا في رحالهم * ولا يحسنون الشر إلا تباديا
كأن دنانيرا على قسماهم * اذا الموت في الابطال كان تحاميا

(١) الحسى : سهل فيه ماء ، ويجمع على أحساء ، والشرائع الموارد

وذكرت الرواة ان المهلب بن أبي صفرة عرض جنده بخراسان فعرض
جيش بكر ابن وائل فمرّ به المعدل فقال : هذا المعدل القيسي الذي يقول : وأنشد
الابيات ، فقالوا أيها الأمير : احسبه علينا ، فانطلق مائة منهم ، فجاءوا بمائة وصيف
ووصيفة ، فقالوا أعطه هذا وليعذرنا * قوله كأن دنائرا على قسماهم نظير قول
أبي العباس الاعمى

ليت شعري من أين رأيتك المسك * وما إن أخال بالخيف إنسي
حين غابت بنو أمية عنه * والبهليل من بني عبد شمس
خطباء على المنابر فرسا * ن عليها وقالة غير خرّس
في حلوم اذا الحلوم استفزّت * ووجوه مثل الدنانير ملّس

ما آثم أبي نواس

ولما خلع المأمون أخاه محمد بن زبيدة ووجه بطاهر بن الحسين لمحاربة ، كان
يعمل كتباً بعموب أخيه تقرأ على المنابر بخراسان ، فكان مما عابه به أن قال :
انه استخلص رجلا شاعرا ماجنا كافرا يقال له الحسن بن هاني واستخلصه
ليشرب معه الخمر ويرتكب المآثم ، ويهتك المحارم ، وهو الذي يقول
ألا فاسقني خمرأ وقل لي هي الخمر * ولا تسقني سرا إذا أمكن الجهر
وبح باسم من تهوى ودعني من الكفى * فلا خير في اللذات من دونها ستر
ويذكر أهل العراق فيقول : أهل فسوق ، وخمور ، وما خور ، وفجور ،
ويقوم رجل بين يديه فينشد أشعار أبي نواس في المجون ، فاتصل ذلك بابن زبيدة
فنهى الحسن عن الخمر ، وحسبه ابن أبي الفضل بن الربيع ، ثم كلفه فيه الفضل
فأخرجه ، بعد أن أخذ عليه أن لا يشرب خمرأ ، ولا يقول فيها شعرا ، فقال

ما من يد في الناس واحدة * كيد أبو العباس مولاها
قام الثقات على مضاجعهم * وسرى الى نفسي فأحيها
قد كنت خفتك ثم آمنى * من أن أخافك خوفاً الله

فَعَفُوتٌ عَنِ عَفْوٍ مُقْتَدِرٍ * وَجِبَتْ لَهُ نَقْمٌ فَأَلْغَاهَا
وَمِنْ قَوْلِهِ فِي تَرْكِ الشَّرَابِ

أَيُّهَا الرَّائِحَانُ بِاللُّومِ لَوْ مَا * لَا أَذُوقُ الْمَدَامَ إِلَّا شَمِيمَا
نَالِي بِالْمَلَامِ فِيهَا إِمَامٌ * لَا أَرَى لِي خِلَافَهُ مُسْتَقِيمَا
فَاصْرِفْهَا إِلَى سِوَايَ فَانِي * لَسْتُ إِلَّا عَلَى الْحَدِيثِ نَدِيمَا
جُلُّ حُظِي مِنْهَا إِذَا هِيَ دَارَتْ * أَنْ أَرَاهَا وَأَنْ أَشْمَ النَّسِيمَا
فَكَأَنِّي وَمَا أَزِينُ مِنْهَا * قَعْدِيَّ يَزِينُ التَّحْكِيمَا

القعدية : فرقة من الخوارج ، يأمرون بالخروج ولا يخرجون ، وزعم المبرد أنه
لم يسبق إلى هذا المعنى ، وقال

عَيْنُ الْخُلَيْفَةِ بِي مَوْكَلَةٌ * عَقْدَ الْحِذَارِ بِطَرْفِهَا طَرْفِي
صَحَّتْ عَلَانِيَتِي لَهُ وَأَرَى * دِينَ الضَّمِيرِ لَهُ عَلَى حَرْفِ
وَلَيْتَنِي وَعَدَّتْكَ تَرْكُهَا عِدَّةً * أَنِي عَلَيْكَ خِلَافٌ خَلْفِي
سَلَبُوا قِنَاعَ الدَّنِّ عَنْ رَمَقِي * حَتَّى الْحَيَاةِ مِشَارِفِ الْخَتْفِ
فَتَنَفَّسْتُ فِي الْبَيْتِ إِذْ مُرِجَتْ * كَتَمْتُ نَفْسَ الرِّيحَانِ فِي الْأَنْفِ

أَخَذَ قَوْلَهُ (وَلَيْتَنِي وَعَدَّتْكَ تَرْكُهَا عِدَّةً) الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ وَكَيْعٍ فَقَالَ
مَتَى وَعَدَّتْكَ فِي تَرْكِ الصَّبَا عِدَّةً * فَاشْهَدْ عَلَيَّ عَدَّتِي بِالزُّورِ وَالْكَذِبِ
أَمَّا تَرَى اللَّيْلَ قَدْ وُلَّتْ عَسَا كَرُهُ * وَأَقْبَلَ الصَّبَحَ فِي جَيْشٍ لَهُ لُجْبِ
وَجَدْتُ فِي أَثَرِ الْجُوزَاءِ يَطْلُبُهَا * فِي الْجَوِّ رَكْضًا هَلَالٌ دَائِمُ الطَّلَبِ
كَصُورِ الْجَانِّ لُجَيْنٍ فِي يَدِي مُلَاكٍ * أَذْنَاهُ مِنْ كَرَّةٍ صَيَغَتْ مِنَ الذَّهَبِ
فَقَمَّ بِنَا نَصْطَبِجَ صَفَرَاءَ صَافِيَةً * كَالنَّارِ لِكُنْهَا نَارٌ بِلَا لَهَبِ
عَرُوسُ كَرَمٍ أَنتِ تَحْتَمِلُ فِي حَلَلٍ * صَفَرٌ عَلَى رَأْسِهَا تَلْجُ مِنَ الْحَبَبِ

وقال أبو الفضل الميكالي في اقتران الهلال بالزهرة
أَمَّا تَرَى الزُّهْرَةَ قَدْ لَاحَتْ لَنَا * تَحْتَ هَلَالٍ لَوْنُهُ يَحْكِي اللَّهَبِ

كُكْرَةٍ من فضة مجلوة * وافى عليها صولجان من ذهب
وعلى قول أبي نواس

صحت علانيتي له وأرى * دين الضمير له على حرف
كتب أبو العباس بن المعتز الى أبي الطيب القاسم بن محمد النيرى
يا أيها الجافى ويستجفى * ليس تجنيك من الظرف
إنك فى الشوق إلينا كمن * يؤمن بالله على حرف
محوت آثارك من ودنا * غير أساطيرك فى الصُحف
فان تحاملت لنا زورة * يوماً تحاملت على ضعف

ثوب الى ياء

وحدث أبو عمر الزاهد قال: ذلك بعض الزهاد المرائين جبهته بشوم وعصبتها
ونام ليصبح بها كأثر السجود فأنحرفت العصاة الى صدغه فأخذ الأثر هناك، فقال
له ابنه ما هذا يا أبت ؟ فقال أصبح أبوك ممن يعبد الله على حرف !

عود الى أبي نواس

وقال أبو نواس فى الباب الأول

✓ غنينا بالطول كيف بلينا * واسقنا نعطق الثناء الثمينا
من سلاف كأنها كل شئ * يتمنى خيّر أن يكونا
أكل الدهر ما تجسم منها * وتبقى لبابها المسكنونا
فاذا ما اجتليتها فهباء * يمنع الكف ما يبيع العيوننا
ثم شجبت فاستضحكت عن لال * لو تجمعن فى يد لاقتنينا
فى كؤوس كأنهن نجوم * دائرات برؤجها أيدينا
طالعات مع السقا علينا * فاذا ما غربن يغربن فينا
لو ترى الشرب حولها من بعيد * قلت قوما من قرّة يصطلونا

وغزال يديرها بينان * ناعمات يزيدنها الغمزُ لينا
كلما شئتُ علني برضاب * يترك القلب للسرور قرينا
ذاك عيش لودام لي غيرائي * عفته مكرها وخفت الأmina

وقال

أعاذل أعتبت الامام وأعتبا * وأعربت عما في الضمير وأعربا
وقلت لساقيا أجزها فلم أكن * ليأبي أمير المؤمنين وأشربا
نجوزها عنى سلافاً ترى لها * لدى الشرف الاعلى شعاعاً مطمئناً
إذا عبَّ فيها شارب القوم خلته * يقبل في داجٍ من الليل كوكبا
ترى حيث ما كانت من البيت مشرقاً * وما لم تكن فيه من البيت مغرباً
يدور بها رطب البنان ترى له * على مستدار الخلد صدغا معقرباً
سقامهم ومناني بعينيه منية * فكانت الى قلبي ألد وأطيباً

اغتنصابه لمعاني الشعراء

قال الحسن بن الضحاك الخليع أنشدت أبا نواس قولي
وشاطريّ اللسان محتلق التسك * ربه شاب المجون بالنسك

فلما بلغت فيه

كأنما نُصب كأسه قرء * يكرعُ في بعض أنجم الفلك
نعر نكرة منكورة ، فقلت مالك ، فقد رعتني ؟ قال هذا المعنى أنا أحق به منك ،
ولكن سترى لمن يروى ! ثم أنشد بعد أيام
إذا عب فيها شارب القوم خلته * يقبل في داج من الليل كوكبا
فقلت هذه مطالبة يا أبا علي ، فقال أظن أنه يروى لك معنى مליح وأنا
في الحياة ؟ ! وقال ابن الرومي فكان أحسن منهما
ومهفهف كلمت محاسنه * حتى تجاوز مُنية النفس

تصبوا الكؤوس الى مرأشفيه * وتضج في يده من الحبس
أبصرته والكأس بين فم * منه وبين أنامل خمس
فكأنها وكان شاربها * قرته يقبل عارض الشمس

وقال أبو الفتح كشاجم

وسحاب يجر في الارض ذبلي * مطرف زرة على الارض زرا
برقه لمحة ولكن له رء * دبطى يكسو المسامع وقرا
كخلى منافق للذى يهوا * هيبكى جهراً ويضحك سرا
قد سقتنى المدام فيها فتاة * سحرتنى وليس تحسن سحرا
فاذا ما رأيتها تشرب الرا * حارتنى شمساً تقبل بدرا

صبوة بشار

وانما احتذى أبو نواس في هذه الأشعار التي وصف فيها ترك الشراب وطاعته
لأمر الأمين مثال بشار بن برد ، وصب على قلبه ، وذلك أن بشاراً لما قال
لا يؤيسنك من محبة * قول تغلظه وإن جرحا
عسر النساء إلى مياسرة * والصعب يمكن بعد ما جمحا
بلغ ذلك المهدي فغاضه ، وقال : يحرض النساء على الفجور ، ويسهل السبيل
إليه ! فقال له خاله يزيد بن منصور الحميري يا أمير المؤمنين ، قد قتن النساء بشعره
وأى امرأة لا تصبو إلى مثل قوله :

عجبت فطمة من نعتي لها * هل يجيد النعت مكفوف النظر
بنت عشر وثلاث قسمت * بين غصن وكثيب وقمر
درة بحرية مكنوته * مازها التاجر من بين الدرر
أذرت الدمع وقالت ويلتي * من ولوع الكف ركاب الخطر
أمتى بدد هذا أعبي * وو شاحي خلله حتى انتثر

فدعيني معه يا أمتي * علنا في خلوة نقضى الوطر
أقبلت في خلوة تضربها * واعتراها كجنون مستعر
بأبي والله ما أحسنه * دمع عين غسل الكحل قطر
أيها النوام هبوا ويحكم * وسلوني اليوم ما طعم السهر
فأمره المهدي أن لا يتغزل ، فقال أشعاراً في ذلك ، منها

يامنظراً حسناً رأيته * من وجه جارية فديته
لمعت إلى تسومني * ثوب الشباب وقد طويته
والله رب محمد * ما ان غدرت ولا نويته
أمسكت عنك وربما * عرض البلاء وما ابتغيته
إن الخليفة قد أبي * واذا أبي شيئاً أبيته
ويشوقي بيت الحيد * باذا غدوت وأين بيته
قام الخليفة دونه * فصبرت عنه وما قلبيته
ونهاى الملك الهما * م عن النساء فما عصيته
بل قد وفيت ولم أضع * عهداً ولا رأياً رأيته
وقال أيضاً

والله لولا الخليفة ما * أعطيت ضيماً على شجن
قد عشت بين الندمان والرا * ح والمزهر في ظل مجلس حسن
ثم نهاني المهدي فأنصرفت * نفسي صنع الموفق اللحن

وقال أفنيت عمري وتقضى الشباب * بين الحميا والجواري العذاب
فالآن شققت إمام الهدى * وربما طببت لحب وطاب
لهوت حتى راغني داعياً * صوت أمير المؤمنين المجاب
لبيك لبك هجرت الصبا * ونام عذلى ومات العتاب
أبصرت رشدي وتركت المنى * وربما ذلت لهن الرقاب

في كلمة طويلة يقول فيها

يا حامد القول ولم يَبْلُهُ * سبقت بالسيل مساك السحاب
الفعل أولى ببناء القى * ما جاءه من خطأ أو صواب
دع قول واءٍ وانتظر فعله * يشئ على اللقحة ما في الحلاب^(١)
إذا غدى المهدي في جنده * وراح في آل الرسول الغضاب
بدا لك المعروف في وجهه * كالظلم يجري في الثنايا العذاب

غزل بشار

ومن شعر بشار في الغزل

أيها الساقيان صبا شرابي * واسقياني من ريق بيضاء رود
ان دائي الصدى وان شفائي * شربة من رضاب ثغر برود
عندها الصبر عن لقائي وعندي * زفرات يا كن قلب الجليلد
ولها مبسم كغرّ الاقحى * وحديث كالوشى وشى البرود
نزلت في السواد من حبة القلا * ب ونالت زيادة المستزيد
ثم قالت نلّك بعد ليالٍ * والليالى يملين كل جديد
لا أبلى من ضن غنى بوصل * إن قضى الله منك لى يوم جود
وقال

تلقي بتسبيحة من حسن ما خلقت * وتستغفر حشا الرائي بارعاد
كانما صورّت من ماء أولوة * فكل جارحة وجهه بمرصاد

وقال وهبت له على المسواك ريقاً * فطاب له بطيب ثنيتك

أقبله على الذكري كأني * أقبل فيه فك ومقتلك

وقال لا أستطيع الهوى وهجرتها * قلبي ضعيف وقلبها حجر

كأن وجدى بها وقد حجبت * في الرأس والعين والحشا سكر

وأنشد له أبو تمام ، وكان يقول ما رأيت شعراً أغزل منه
 زودنا يلعبد قبل الفراق * بتلاق وكيف لى بالتلاق
 أنا والله أشتهى سحر عيني * لك وأخشى مصارع العشاق
 أمتى من بنى عقيل بن كعب * موضع السلك فى طلا الاعناق
 وقال لقد عشقت أذننى كلاماً سمعته * رخيما وقلبي للمليحة أعشق
 ولوعاينوها لم يلوموا على البكا * كريماً سقاء الخمر بدره محلق
 وكيف تناسى من كان حديثه * باذننى وان غنيت قرط معلق
 وقال

وقد كنت فى ذاك الشباب الذى مضى * أزارى ويدعونى الهوى فأزور
 فان فاتنى إلف ظالت كأنما * يدير حياتى فى يديه مدير
 ومرتجة الأرداف مهضومة الحشا * تمور بسحر عينيها وتدور
 اذا نظرت صبت عليك صباة * وكادت قلوب العالمين تطير
 خلوت بها لا يخلص الماء بيننا * الى الصبح دونى حاجب وستور
 ومن هذا أخذ على بن الجهم قوله

صلىنى وحبل الوصل لم يتشعب * ولا تهجرى أفديك بالأثم والأب
 رعى الله دهرأ ضمنا بعد فرقة * وأدنى فوداً من فؤاد معذب
 عناقا وضماً والتزاماً كأنما * يرى جسداًنا جسم روح مركب
 فبتنا وإنا لو تراق زجاجة * من الخمر فيما بيننا لم تسرب
 شعره فى هذا المعنى كثير

رأيد فى شعرة

✓ وروى انه قال: أنا أشعر الناس ، لأننى اتنى عشر ألف قصيدة ، فلو اختير
 من كل قصيدة بيت لاستندر ، ومن ندرت له اثنا عشر ألف بيت فهو أشعر
 الناس ، وقد نثرت نظمه فى أضعاف الكتاب استدعاء لنشاط القارئ وكرهه

في املاله — وكان بشار أرق المحدثين ديباجة كلام ، وسمى أبا المحدثين لانه فتق
لهم أكام المعاني ، ونهيج لهم سبيل البديع ، فاتبعوه ، وكان ابن الرومي يقدمه
ويزعم انه أشعر من تقدم وتأخر ، وهو يتعلق في شعره بولاء عقيل بن كعب بن ربيعة
ابن عامر بن صعصعة ، ويفتخر بالمضرية ، قال له المهدي فيمن تعتزى ؟ قال : أما
اللسان فعربي ، وأما الاصل فكما قلت في شعري ، قال وما قلت ؟ فأنشده

ونبتت قوما لهم إحنة * يقولون من ذا وكنت العلم
ألا أيها السائل جاهلاً * ليعرفني أنا ألف الكرم
نمت في المكارم بي عامر * فروعى وأصلى قریش العجم
واني لأغنى مقام الفتى * وأصبي الفتاة فلا تعصم

البيت الاول من هذه الايات ينظر الى قول جميل

إذا ما رأوني طالعا من ثنية * يقولون من هذا وقد عرفوني
وفي هذه القصيدة يقول بشار

وبيضاء يضحك ماء الشبا * بفي وجهها لك إذ تبتسم
رواء العذارى اذا زرنها * أطفن بجوراء مثل الضنم
يرحن فيمسحن أركانها * كما يمسح الحجر المستلم
أصفراء ليس الفتى صخرة * ولكنه نصب هم وغم
صبيت هواك على قلبه * فضاقت وأعلن ما قد كنتم

ويقال انه مولى لام الظباء السدوسية ولذلك قال أبو حذيفة واصل بن عطاء
الغزّال رئيس المعتزلة لما هجاه بشار : أما لهذا الاعمى الملحد المشنفّ المكنتى بأبي
معاذ من يقتله ؟ والله لولا أن الغيلة من سجايا الغالية ، لبعثت اليه من يبيع بطنه
في جوف منزله ، ولا يكون الا سدوسيا ، أو عقيليا

واصل بن عطاء

وكان واصل بن عطاء أحد أعاجيب الدنيا: لأنه كان ألغى في الرأي، فأسقطها من جميع كلامه وخطبه، إذ كان امام مذهب، وداعى نحلة، وكان محتاجاً إلى جودة البيان، وفصاحة اللسان، قال الجاحظ: فانظر كثرة ترداد الرأي في هذا الكلام وكيف أسقطها؟ قال الاعشى ولم يقل الضرير، قال الملهود ولم يقل الكافر، وقال المشنف ولم يقل المرعث، وقال المسكتى بأبي معاذ ولم يقل بشاراً ولا ابن برد، وقال الغالية ولم يقل المغيرية، ولا المنصورية، وهم الذين أراد، وقال لبعثت ولم يقل لأرسلت، وقال يبيع ولم يقل يبتقر، وقال في جوف منزله ولم يقل في داره، وأراد بذكر عقيل وسدوس ما ذكر من اعتزائه إليهم

دين بشار

وزعم الجاحظ أن بشاراً كان يدين بالرجعة، ويكفر جميع الأمة، وأنشد له أشعاراً صوّب بها رأى إبليس في تقديم النار على الطين، منها قوله
الارض مظلمة والنار مشرقة * والنار معبودة مذ كانت النار
وقال داود بن رزين أتينا بشاراً فاذن لنا والمائدة بين يديه، فلم يدعنا إلى الطعام، ثم جلسنا فحضر الظهر والعصر والمغرب فلم يصل، ودعا بطست فبال بحضرتنا فقلنا له أنت أستاذنا، وقد رأينا منك أشياء أنكروناها، قال ما هي؟ قلنا دخلنا والطعام بين يديك فلم تدعنا، قال إنما أذنت لنا أكلا، ولولم نرد ذلك لم نأذن لكم، قلنا له ودعوت بالطست ونحن حضور، قال أنا مكفوف وأنتم مأمورون بغض الابصار دوني، قلنا وحضرت الصلاة فلم تصل، قل الذي يقبلها تفاريق يقبلها جملة! هذا وهو القائل

كيف يبكي لمحبس في طول * من سيفضى لمحبس يوم طويل

إن في البعث والحساب لشغلاً * عن وقوف برسم دار محيل
وقال

ذكرت بها عيشاً فقلت لصاحبي * كأن لم يكن ما كان حين يزول
وما حاجتي لو ساعد الدهر بالمني * كماب عليها أو لؤ وشكول
بدالى أن الدهر يقده في الصفا * وأن بقائى إن حييت قليل
فغش خائفاً للموت أو غير خائف * على كل نفس للحمام دليل
خليك ما قدمت من عمل التقى * وليس لأيام المنون خليل

سجعه ورجزه

وكان بشار حاضر الجواب ، سجّاعاً خطيباً ، صاحب منشور ومزدوج ،
ورجز ، ورسائل مختارة على كثير من الكلام ، ودخل على عقبة بن مسلم بن
قتيبة فأنشده مديحاً وعنده عقبة بن ربيعة فأنشده أرجوزة ثم أقبل على بشار فقال :
هذا طراز لا تحسنه يا أبا معاذ ! فقال والله لأنا أرجز منك ، ومن أبيك ، ثم غدا
على عقبة من الغد فأنشده أرجوزته

ياطلل الحى بذات الصمد * بالله خبر كيف كنت بعدى
يقول فيها

صدت بنجد وجلت عن خد * ثم انثنت كالنفس المرتد
وصاحب كالدمل الممد * حملته في رقعة من جلدى
حتى اغتدى غير فقيد القدر * وما درى ما رغبتى من زهدى
وهذا كقول الآخر

يودّون لو خاطوا عليك جلودهم * ولا يدفع الموت النفوس الشحاح
وفيها يقول

الحري يلحى والعصى للعبد * وليس للملحف مثل الرد

اسلم وحُيِّت أبا المَلَد * مفتاح باب الحدث المنسَد
والبس طرازي غير مسترد * لله أياك في معد

وهي طويلة ، فأجزل صلته ، فلما سمع ابن رؤبة ما فيها من الغريب قال :
أنا وأبي وجدى فتحنا الغريب للناس ، وإنى خلّيق أن أسده عليهم ، فقال بشار
ارحمهم رحمك الله ! قال تستخف بي ، وأنا شاعر ابن شاعر ابن شاعر ؟ قال إذا
أنت من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ! فضحك كل
من حضر

طرفة ونوادر

ودخل على المهدي وعنده خاله يزيد بن منصور الحميري فأنشده قصيدة فلما
أتمها قال له يزيد ما صنعتك يا شيخ ؟ قال أثقب اللؤلؤ فقال له المهدي : أتهزأ
بخالي ؟ فقال يا أمير المؤمنين فما يكون جوابي لمن يرى شيخاً أعشى ينشد شعراً
فيسأله عن صناعته ؟ وقال جوارى المهدي للمهدي : لو أذنت لبشار يدخل الينا
يؤانسنا وينشدنا فهو محبوب البصر ، لا غيره عليك منه ، وأمره فدخل اليهن
واستظرفنه ، وقلن له : وددنا والله يا أبا معاذ انك أبونا حتى لا نفارقك ، قال ونحن
على دين كسرى ! فأمر المهدي أن لا يدخل عليهن . وكان المتنبي نظر الى هذا فقال
يا أخت معتنق الفوارس في الوغى * لأخوك ثم أرق منك وأرخم
يرنو اليك مع العفاف وعنده * أن المجوس تصيب فيما تحكم

كلمات مأثورة

قال علي بن عبيدة الريحاني : المودة تعاطف القلوب ، وائتلاف الأرواح ،
وحنين النفوس الى مثابة السرائر ، والاسترواح بالمستكنات في الغرائز ، ووخشة
الاشخاص عند تباين اللقاء وظاهر السرور بكثرة التزوار ، وعلى حسب مشاكلة

الجواهر يكون اتفاق الخصال . وقال : العتاب حدائق المتحايين ، وثمار الأوداء ودليل الظن ، وحرركات الشوق ، وراحة الواجد ، ولسان المشفق (قال بعض الكتاب) العتاب علامة الوفاء ، وخاصة الجفاء ، وسلاح الكفاء (وقال على ابن عبيدة) التجنى رسول القطيعة ، وداعى القلى ، وسبب السلو ، وأول التجافى ومنزل التهاجر . وقال : الصدق ربع القلب ، وزكاة الخلق ، وثمره المروءة ، وشعاع الضمير ، وعن جلالة القدر عبارته ، وإلى اعتدال وزن العقل ينسب صاحبه ، وشهادته قاطعة في الاختلاف ، وإليه ترجع الحكومات ، وقال : الكذب شعار الخيانة ، وتحريف العلم ، وخواطر الزور ، وتسويل أضغاث النفس ، واعوجاج التركيب ، واختلاف البنية ، وعن خول الذكر ما يكون صاحبه — وعلى بن عبيدة كثير الاغارة ، على ما كان غيره قد استناره

ذم الكذب

فقر في الكذب لغير واحد — بعض الفلاسفة : الكذاب والميت سواء ، لان فضيلة الحى النطق ، فاذا لم يوفق بكلامه ، فقد بطلت حياته . الحسن بن سهل : الكذاب اص ، لان اللص يسرق مالك ، والكذاب يسرق عقلك ، ولا تأمن من كذبك أن يكذب عليك ، ومن اغتاب غيرك عندك فلا تأمن أن يغتابك عند غيرك . قال ابراهيم بن العباس في هذا النحو

إني متى أحقد بحجة بك لا أضرب به سواكا

ومتى أطعمتك في أخ * يك أطعت فيك غداً أخا

حتى أرى متقسماً * يومى لذا وغداً لذا

حسب الكاذب بعقله سقماً وبقلبه خصماً — ابن المعتز : علامة الكذاب جوده

باليمن لغير مستحلف ، وقال

وفى اليمن على ما أنت فاعله * مادل انك فى الميعاد منهم

وقال: اجتنب مصاحبة الكذاب ، فان اضطرت اليه فلا تصدقه ، ولا تعلمه
 نك تكذبه ، فينتقل عن وده ، ولا ينتقل عن طبعه — يعترى حديث الكذاب
 من الاختلاف ، مالا يعترى الجبان من الارتعاد عند الحرب — لا تصح للكذاب
 رؤيا لانه يخبر عن نفسه في اليقظة بما لم ير ، قتره في النوم مالا يكون. وأنشد
 لا يكذب المرء إلا من مهاتته * أوعادة السوء أو من قلة الادب
 (ولأهل العصر) فلان منعفس في عيبه ، يكذب لذيله على جيبه ، يقول
 بهتاً وزوراً بحتاً ، قد ملأ قلبه رينا ، وقوله مينا ، يدين بالكذب مذهبا ،
 ويستشير الزور مركباً ، أقوليل يتمشى الزور في مناكبها ، ويبرز البهتان في مذاهبها
 وقال اعرابي لابنه وسمعه يكذب : يا بني عجبت من الكذاب المشيد بكذبه
 وانما يدل على عيبه ، ويتعرض للعقاب من ربه ، فالآثم له عادة ، والأخبار عنه
 متضادة ، إن قال حقاً لم يصدق ، وإن أراد خيراً لم يوفق ، فهو الجاني على نفسه
 بفعاله ، والدال على فضيحته بمقاله ، فما صح من صدقه نسب الى غيره ، وما صح
 من كذب غيره نسب اليه ، فهو كما قال الشاعر

حَسْبُ الكذوب من المها نة بعض ما يحكى عليه
 ما إن سمعت بكذبة * من غيره نسبت اليه

حزم الحسن بن سهل

كتب الحسن بن سهل إلى المأمون بعد أن زفت اليه بوران وتوهم القواد
 أن هذا التزويج قد أنسى الحسن حاله قبل ذلك : قد تولى أمير المؤمنين من
 تعظيم عبيده في قبول أمته ، شيئاً لا يتسع له الشكر عنه إلا بمعونة أمير المؤمنين
 أدام الله عزه في اخراج توقيعه بتزيين حالى في العامة والخاصة ، بما يراه فيه
 صواباً ان شاء الله. فخرج التوقيع: الحسن بن سهل زمام على ما جمع أمور الخاصة ،
 وكنف أسباب العامة ، وأحاط بالنفقات ، ونفذ بالولاة ، واليه الخراج والبريد
 واختيار القضاة جزاءً بمعرفته بالحال التي قربته منا ، واثابة لشكره ايانا على ما أولينا

خطب النكاح

قال يحيى بن أكنم أراد المأمون أن يزوج ابنته من الرضى فقال يا يحيى تكلم فأجلته أن أقول أنكحت ، فقلت يا أمير المؤمنين أنت الحاكم الأكبر ، والامام الاعظم ، وأنت أولى بالكلام ، فقال : الحمد لله الذى تصاغرت الامور بمشيئته ، ولا إله إلا هو إقراراً بربوبيته ، وصلى الله على محمد عند ذكره .

أما بعد فان الله قد جعل النكاح ديناً ، ورضيه حكماً ، وأنزله وحياً ، ليكون سبب المناسبة ، ألا وإنى قد زوجت ابنة المأمون من على بن موسى ، وأمهرتها أربعائة درهم ، اقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانتهاء إلى ما درج اليه السلف ، والحمد لله رب العالمين . قال الاصمعى : كانوا يستحبون من الخاطب الى الرجل حرمة الإطالة ، لتدل على الرغبة ، ومن المخطوب اليه الإيجاز ، ليدل على الاجابة — وخطب رجل من بنى أمية الى عمر بن عبد العزيز أخته فأطال فقال عمر : الحمد لله ذى الكبرياء ، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء .

أما بعد فان الرغبة منك دعتك إلينا ، والرغبة منا فيك أجابت ، وقد زوجناك على كتاب الله : إمساك بمعروف ، أو تسريح بإحسان — وخطب رجل إلى قوم فأتى بمن يخطب له فاستفتح بحمد الله وأطال وصلى على النبي عليه السلام وأطال ثم ذكر البدء وخلق السموات والأرض ، واقتصص ذكر القرون حتى ضجر من حضر ، والتفت الى الخاطب فقال : ما اسمك أعزك الله ؟ فقال والله قد أنسيت اسمى من طول خطبتك ، وهى طالق ان تزوجتها بهذه الخطبة ، فضحك القوم ، وعقدوا فى مجلس آخر

الكتاب والقلم

وقال ابن المعتز : الكتاب والجالابواب ، جرى على الحجاب ، مفهم لا يفهم ، وناطق لا يتكلم ، به يشخص المشتاق ، إذا أقعده الفراق ، والقلم مجهز لجيوش الكلام ، يخدم الارادة ، ولا يمل الاستزادة ، ويسكت واقفا ، وينطق سائراً ، على أرض بياضها مظلم ، وسوادها مضى ، وكأنه يقبل بساط سلطان ، أو يفتح نوار بستان . وهذا كقوله في القاسم بن عبيد الله قال الصولى لما عرض القاسم بن عبيد الله ليخلف أباه قال ابن المعتز

قلم ما أراه أم فلك يجرى * بما شاء قاسم وبسير
خاشع في يديه يلثم قرطاً * ساء كما قبل البساط شكور
ولطيف المعنى جليل نحيف * وكبير الافعال وهو صغير
كم مناياءكم عطايا وكم حنفي * وعيش تضم تلك السطور
نقشت بالذجا نهاراً فما أد * رى أخط فيهن أم تصوير
هكذا من أبوهم مثل عبيد الله ينمى الى العلى وبصير
عظمت منه الاله عليه * فهناك الوزير وهو الوزير

وقال بعض البلغاء : صورة الخط في الأبصار سواد ، وفي البصائر بياض .

وقال أبو الطيب المتنبي

دعاني اليك العلم والحلم والحجبي * وهذا الكلام النظم والنائل النثر
وما قلت من شعر تكاد بيوته * اذا كتبت ببيض من نورها الخير

وقال ابن المعتز في عبيد الله بن سليمان بن وهب

علم بأعقاب الأمور كأنه * بمختلصات الظن يسمع أو يرى
إذا أخذ القرطاس خلت يمينه * يفتح نوراً أو ينظم جوهرها

فأخبر صاحب سيف صاحب قلم ، فقال صاحب القلم : أنا أقتل بلا غرر ، وأنت تقتل على خطر . فقال صاحب السيف : القلم خادم السيف ، إن تم مراده ، وإلا إلى السيف معاده ، أما سمعت قول أبي تمام

السيف أصدق أنباء من الكتب * في حدّه الحدّ بين الجدّ واللعب
بيض الصفائح لاسود الصحائف في * متوّهن جلاء الشك والريب
وقال أبو الطيب

مازالت أضحك إبلى كما نظرت * الى من اختضبت أخفافها بدم
اسيرها بين أصنام أشاهدها * ولا أشاهد فيها عفة الصنم
حتى رجعت وأقلامي قوائل الى * المجد للسيف ليس المجد للقلم
اكتب بنا أبدأ بعد الكتاب به * فانما نحن للأسياف كالخدم
هذا مقلوب من قول علي بن العباس النوبختي وقد رواه أبو القاسم الزجاجي
لابن الرومي ، وانما وهم لاتفاق الاسمين

ان يخدم القلم السيف الذي خضعت * له الرقاب ودانت خوفه الامم
فالموت والموت لاشي يغالبه * مازال يتبع ما يجري به القلم
بذا قضى الله للأقلام مذبريت * إن السيوف لها ممد أرفقت خدم

وقال ابن الرومي

لعمرك ما السيف سيف الكي * بأخوف من قلم الكاتب
له شاهد ان تأملته * ظهرت على سرّه الغائب
أداة المنية في جانيه * فمن مثله رهبة الراهب
سنان المنية في جانب * وحدّ المنية في جانب
ألم تر في صدره كالسنان * وفي الردف كالمهف القاضب

وقال أبو الفتح البستي

إذا أقسم الابطال يوماً بسيفهم * وعدوه مما يكسب المجد والكرم

كفى قلم الكتاب مجداً ورفعةً * مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم
وقد قيل : صرير الأقلام ، أشد من صليل الحسام . قال الصولي أنشدني طلحة بن
عبيد الله

وإذا أمرٌ على المهارق كفه * بأنامل يحملن شخناً مرهفا
متقاصراً متطاولاً ومفضلاً * وموصلاً ومشتتاً ومؤلفاً
ترك العداة واجفاً أحشاؤها * وقلاعها قلعاً هنالك رجفاً
كلحية الرقشاء إلا أنه * يستنزل الأروى إليه تلطفاً
يرمى به قلماً يمتجّ لعابه * فيعود سيفاً صارماً ومثقفاً

وقال محمود بن أحمد الاصبهاني

أخرسٌ ينبيك بإطراقه * عن كل ماشئت من الأمر
يندرى على قرطاسه دمة * يبدى بها السر وما يدرى
كعاشق أخفى هواه وقد * نمت عليه عبرة تجرى
تبصره في كل أحواله * عريان يكسو الناس أو يعرى
يرى أسيراً في دواة وقد * أطلق أقواماً من الأسر
أخرق لولم تبه لم يكن * يرشق أقواماً وما يبرى
كالبحر إذ يجرى وكالليل إذ * يغشى وكالصارم إذ يفري

وقال أحمد بن جرار

أهيفُ مشوقٌ بتحريكه * يحل عقد السر إعلان
له لسانٌ مرهفٌ حده * من ربة الكرسف ريان
ترى بسيط الفكر في نظمه * شخصاً له حد وجهان
كأنما يسحب في إثره * ذيلًا من الحكمة سحبان
لولاه مانار منار الهدى * ولا سما للملك ديوان

ومن أجود ما قيل في صفة القلم قول أبي تمام لمحمد بن عبد الملك الزيات
لك القلم الاعلى الذى بشبّاته * تُصاب من الأمر الكلى والمفاصلُ
له رِيقَةٌ طَلٌّ ولكنَّ وقعها * بآثاره فى الشرق والغرب وابلُ
لُعابُ الأفاعى القاتلات لعبه * وأزى الجنى اشتارته أيدٍ عواسل
له الخلوات اللائى لولا نجيها * لما اختلفت للملك تلك المحافل
وقال الأمير تميم بن المعز

وذى عجب من طول صبرى على الذى * ألاقى من الأرزاء وهو جليلُ
يقولون ما تشكو؟ فقلت متى شكا * شبا السيف غضب الشفرتين صقيلُ
وان امرأً يشكو الى غير نافع * ويسخو بما فى نفسه الجهولُ
عذابى أن أشكو الى الناس إننى * عليلٌ ومن أشكو اليه عليلُ
ويعنى الشكوى الى الله علمه * بجملته ما ألقاه قبلَ أقول
سأسكت صبراً واحتساباً فأنى * أرى الصبر سيفاً ليس فيه فلول
وقال

يادهر ما أقساك من متلونٍ * فى حالتك وما أفلك منصفاً
أتروح للنكس الجهول ممهداً * وعلى اللبيب الحرسيفاً مرهفاً
واذا صفوت كدّرت شيمةً بالخلٍ * واذا وفيت نقضت أسباب الوفا
لا أرتضيك وان كرمت لأننى * أدرى بأنك لا تدوم على الصفا
زمنٌ إذا أعطى استردّ عطاءه * واذا استقام بدا له فتحرفاً
ماقم خيرك يازمان بشره * أولى بنا ماقل منك وما كفى

أحمد بن يوسف

وكان أحمد بن يوسف منصرفاً عن غسان بن عباد ، وجرت بينهما هنات بحضرة المأمون ، فقال يوماً بحضرة خاصة أصحابه : أخبروني عن غسان بن عباد فإني أريده لأمر جسيم ، وكان قد عزم على تقليده السند مكان بشر بن داود ، فتكلم كل فريق بما عنده في مدحه ، فقال أحمد بن يوسف : هو يا أمير المؤمنين رجلٌ محاسنه أكثر من مساويه ، لا يتطرف به أمر إلا تقدم فيه ، ومهما تخوف عليه فانه لن يأتي أمراً يعتذر منه ، لأنه قسم أيامه بين أفعال الفضل : فجعل لكل خلق نوبة ، اذا نظرت في أمره لم تدر أي حالته أعجب ، أما هدايه اليه عقله أم ما اكتسبه بأدبه ، فقال له المأمون : لقد مدحته على سوء رأيك فيه ، قال لأنني في أمير المؤمنين كما قال الشاعر

كفي ثمنا لما أسديت أني * نصحتك في الصديق وفي عدائي
واني حين تندبني لأمرٍ * يكون هواك أغلب من هواي
قال الصولي وقد روى هذا لغير أحمد ولعل أحمد استعاره ، فأعجب المأمون ذلك منه وشكره غسان بن عباد له ، وتأكدت الحال بينهما

وكان أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح مولى عجل بن لجيم على الطبقة في البلاغة ، ولم يكن في زمانه أكتب منه ، وله شعر جيد مرتفع عن أشعار الكتاب . ووزر للمأمون بعد أحمد بن أبي خالد ، وكان أول ما ارتفع به أحمد أن الخلع محمد بن الرشيد لما قُتل أمر طاهر بن الحسين الكتاب أن يكتبوا الى المأمون فأطالوا ، فقال طاهر أريد أخصر من هذا ، فوصف له أحمد بن يوسف وموضعه من البلاغة ، فأحضره لذلك ، فكتب : أما بعد فإن كان الخلع قسيم أمير المؤمنين في النسب والأحمة ، فقد فرق بينهما حكم الكتاب في الولاية والخدمة ، بمفارقة

عصمة الدين ، وخروجه عن الأمر الجامع للمسلمين ، تقول الله عز وجل فيما اقتبس من نبا نوح وابنه (انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح) ولا طاعة لأحد في معصية الله ، ولا قطيعة ما كانت القطيعة في ذات الله ، وكتابى إلى أمير المؤمنين وقد أنجز الله له ما كان ينتظر من سابق وعده ، والحمد لله الراجع إلى أمير المؤمنين معلوم حقه ، السكائد له فيمن ختر عهده ، ونقض عقده ، حتى رد به الألفة بعد فرقتها ، وجمع به الامة بعد شتاتها ، وأضاء به أعلام الدين بعد دُروسها ، وقد بعثت اليك بالدنيا وهى رأس الخلوع ، وبالأخرة وهى البردة والقضيب ، والحمد لله الآخذ لأمر المؤمنين حقه ، الراجع اليه تراث آبائه الراشدين

وكان أحمد ابن أبى خالد كثيراً ما يصف أحمد للمؤمن ويحثه عليه فأمره المأمون باحضاره ، فلما وقف بين يديه قال : الحمد لله يا أمير المؤمنين الذى استخضك فيما استحفظك من دينه ، وقلدك من خلافته ، بسوابغ نعمه ، وفضائل قسمه ، وعرفك من تيسير كل عسير حاولك عليه متمرّد ، حتى ذلك ، ما جعله تكملة لما حباك به من موارد أموره بنجح مصادرها ، حداً نامياً زائداً لا ينقطع أولاده ، ولا ينقضى أخراة ، وأنا اسأل الله يا أمير المؤمنين من أمام بلائه لديك ، ومننه عليك ، وكفايته ما ولأك واسترعأك ، وتحصين ما حاز لك ، والتمكين من بلاد عدوك ، ما يمنع به بيضة الاسلام ، ويعزّ بك أهله ، ويبيح بك حى الشرك ، ويجمع لك متباين الألفة ، وينجز بك فى أهل العناد والضلالة وعده ، انه سميع الدعاء ، فعّال لما يشاء . فقال المأمون أحسنت ، بورك عليك ناطقا وساكتا ، ثم قال بعد أن بلاه واختبره : يا عجباً لأحمد بن يوسف كيف استطاع أن يكتم نفسه !

وكتب الى المأمون يستجدى لزوار على بابه : ان داعى نداك ، ومنادى جدواك ، جمعا ببابك الوفود ، يرجون نائلك العتيد ، فمنهم من يمت بجرمة ، ومنهم من يدلى بسالف خدمة ، وقد أجحف بهم المقام ، فان رأى أمير المؤمنين أن ينعشهم بسببه ، ويحقق ظنهم بطوله ، فعل ، فوقع المأمون فى عرض كتابه :

اخير متبع وأموال الملوك مظان لطلاب الحاجات ، فاكتب أسماءهم وبين
مرتبة كل واحد منهم ليصير اليه على قدر استحقاقه ، ولا تكدرن معروفنا بالمطل
والحجاب ، فقد قال الشاعر

فانك لن ترى طرداً حرّاً * كالصاق به طرف الهوان

ولم تجلب مودة ذى وفاء * بمثل الود أو بذل اللسان

قال أحمد بن يوسف أمرني المأمون أن أكتب في زيادة قناديل شهر رمضان
فأعيا عليّ ولم أجد مثلاً أحتذى عليه ، فبت مغموماً فأثاني آت في النوم فقال
أكتب : فان فيها اضاءة المتهجدين ، ونفيا لمكان الريب ، وأنسا للسابلة ،
وتنزهاً لبيوت الله من وحشة الظلم ، فأخبرت بذلك المأمون فاستظرفه ، وأمر
أن تمضى الكتب عليه

وأهدى إلى المأمون في يوم نوروز طبق جزع عليه ميل من ذهب فيه
اسمه منقوش ، وكتب اليه : هذا يوم جرت فيه العادة ، بإلطف العبيد السادة ،
وقد بعثت الى أمير المؤمنين طبق جزع فيه ميل . فلما قرأ المأمون الرقعة قال أجب
هدية أحمد بن يوسف ؟ قالوا نعم . قال هي في داري أم داري فيها ، فلما رفع المنديل
استظرف الهدية واسترجع مهديها . وأهدى الى ابراهيم بن المهدي هدية وكتب
اليه : الثقة بك قد سهلت السبيل اليك ، فأهديت هدية من لا يحتشم ، الى من لا يفتنم .
وكتب الى بنى سعيد بن سلم : لولا أن الله عز وجل ختم نبوته بمحمد صلى الله عليه
وسلم وكتبه بالقرآن ، لنزل فيكم نبي تقمة ، وأنزل فيكم قرآن غدر ، وما عسيت أن
أقول في قوم محاسنهم مساوى السفل ، ومساوئهم فضائح الأئمة ، وألستهم معقولة
بالعي ، وأيديهم معقودة بالبخل ، وهم كما قال الشاعر

لا يكبرون وان طالت حياتهم * ولا تبديد مخازيهم وإن بادوا

ذم المغنين

وغنى مغن بحضرة أحمد بن يوسف ولم يكن محسناً فلم ينصتوا له ، وتحدثوا مع غنائه ، فغضب المغنى ، فقال أحمد بن يوسف : أنت عافاك الله تحمل الاسماع ثقلاً ، والقلوب مللاً ، والأعين قباحة ، والأنف تنانة ، ثم تقول اسمعوا منى ، وانصتوا إلى ! هذا اذا كانت أفهامنا مقفلة ، وآذاننا صدئة ، فإما رضيت بالعفو منا ، والا قت مذموماً عنا (١)

ألفاظ لأهل العصر في ذم المغنين - يترنم فيتعبد ولا يطرب ، اذا غنى عنى واذا أدى آذى ، يمت الطرب ، ويحيى السكر ، ضربه يوجب ضربه ، من عجائب غنائه انه يورد الشتاء في الصيف ، ماروى قط في دار مرتين . وحضر جحظة مجلساً فيه على بن بسام ففترق القوم المخاد ، فقال جحظة فإلى لم تعطوني مخدة ؟ فقال على بن بسام غن فالحاد كلها اليك تصير ! وفيه يقول ابن بسام

يلمن هجونا هفنا * أنت وبيت الله أهجانا

سيان ان غنى لنا جحظة * أو مر مجنون هفنا

وكان خالد يستبرد ، فبعث بعض الظرفاء غلامه يشتري له خمسة أرطال بلحاً فأتاه بخالد وقال : يا مولاي طلبت خمسة أرطال ، وهذا حمل ! وتغنى بحضرة محمود فقال : ويحك دعنا نغرق ! وقال بعض المحدثين في قريس المغنى

ألا فاسقنى قدحاً وافرأ * يعين على البلغم الهاج

أكلنا قريساً وغنى قريس * فنحن على شرف الفالج

ولقى أبو العباس المبرد برد الخيار المغنى في يوم ثلج بالجسر ، فقال أنت المبرد وأنا برد الخيار ، واليوم كما ترى ، اعبى بنا لايهلك الناس بالفالج بسببنا . وقال ابن عباد صاحب في مغن يعرف بابن عذاب

أقول قولاً بلا احتشام * يعقله كل من يعيه

ابن عذاب اذا تغنى * فأنى منه فى أبيه

شعر أحمد بن يوسف

ومن شعر أحمد بن يوسف

ضمير وجد بقلب صبّ * ترجم دمعي به فشاعا
فصار دمعي لسان وجدى * ضيّع سرى به فذاعا
لولا دموعي وفرط حبي * ما كان سرى كذا مضاعا

وقال وعامل بالفجور يأمر بالبر * كهاد يخوض في الظلم
أو كطبيب قد شفه سقمه * وهويداوى من ذلك السقم
يواعظ الناس غير متعظ * ثوبك طهر أولا فلا تلم
وقال اذا ما التقينا والعيون نواظره * فالسننا حرب وأبصارنا سلم

وقال في الحزن

كثير هموم القلب حتى كأنما * عليه سرور العالمين حرام
اذا قيل ما أضناك أسبل دمعته * فأخبر ما يلقى وليس كلام
وقال

كريم له نفس يلين بلينها * ليردع عن سلطانه سنن الكبير
اذا ذكّرته نفسه عظم قدرها * دعاه الى تسكينها عظم القدر
ووقع في كتاب رجل يحته على استتمام صنائعه عنده: مستم الصنعة من عدل
زيها ، وأقام أودها ، صيانةً لمعروفه ، ونصرةً لرأيه ، فان أول المعروف مستخف
وآخره مستثقل ، يكاد أول الصنعة يكون للهوى ، وآخرها للرأى ، ولذلك قيل:
ربّ الصنعة أشد من ابتدائها (١)

أصدقاء أبي العتاهية

وكان أبو العتاهية له صديق قبل ارتفاع حاله فأحس منه في حين وزارته
تغيراً فكتب إليه

أمنت إذ استغنيت من سورة الفقر * فصرت ترى الإخوان بالنظر الشَّرِّ
أبا جعفر إن الشريف يهينه * تتابعه دون الاخلاء بالوفر
فان تهت يوماً بالذى نلت من غنى * فان غنائى بالتجمل والصبر
ألم تر ان الفقر يرجى له الغنى * وان الغنى يخشى سلبه من الفقر
وروى أبو بكر يموت بن المزرع عن خاله الجاحظ قال : حجب أحمد بن
يوسف أبا العتاهية ثم عاد فقيل هو نائم فكتب إليه

لئن عدت بعد اليوم انى لظالم * سأصرف وجهى حيث تُبغى المكارم
متى يظفر الغادى اليك بحاجة * ونصفك محجوب ونصفك نائم
وقال في عداد الموتى وفي ساكنى الدن * يا أبو جعفر أخى وخليلى
ميت مات وهو فى ورق العيد * ش مقياً فى ظل عيش ظليل
لم يمت مِيتة الوفاة ولكن * مات عن كل صالح وجميل

أحمد بن يوسف والمأمون

وخاصم أحمد بن يوسف رجلاً بين يدي المأمون وكان صفا المأمون إليه
على أحمد ففطن لذلك فقال : يا أمير المؤمنين انه يستملى من عينيك ما يلقانى به ،
ويستبين بحركته ما تجننه له ، وبلوغ ارادتك أحب الى من بلوغ أملى ، ولذة
اجابتك أمتع عندي من لذة ظفري ، وقد تركت له ما نازعنى فيه ، وسلمت له
ما طالبنى به ، فاستحسن ذلك المأمون. ومن كلام أحمد بن يوسف (مجالسة البغضاء
تثير الهموم ، وتجلب الغوم ، وتؤلم القلب ، وتقذح فى النشاط ، وتطوى الانبساط)

صفات الثقلاء ✓

(ألفاظ لأهل العصر في صفات الثقلاء) فلان ثقيل الطلعة ، بغيض التفصيل والجملة ، بارد السكون والحركة ، قد خرج عن حد الاعتدال ، وذهب من ذات اليمين الى ذات الشمال ، يحكي ثقل الحديث المعاد ، ويمشي في القلوب والا كباد ، ولا أدري كيف لم تحمل الامانة أرض حملته ، وكيف احتاجت الى الجبال بعد ما أقلته ، كأن وجهه أيام المصائب ، وليالى النوائب ، وكأنما قربه فقد الجباب ، وسوء العواقب ، وكأنما وصله عدم الحياة ، وموت الفجأة ، وكأنما هجره قوة المنّة ، وريح الجنة ، يا عجبى من جسم كالخيال ، وروح كالجبال ، كأنه ثقل الدّين ، على وجع العين ، هو ثقيل السكون ، بغيض الحركة ، كثير الشؤم ، قليل البركة ، هو بين الجفن والعين قذاة ، وبين الأخص والنعل حصاة ، ما هو الا غداة الفراق ، وكتاب الطلاق ، وموت الحبيب ، وطلوع الرقيب ، ما هو الا أربعاء لا تدور فى صفر ، والكابوس فى وقت السحر ، وأثقل من خراج بلا غلّة ، ودواء بلا علة ، وأبغض من مثل غير سائر ، وأجمع للعيوب من بغلة أبى دلامة ، وحمار طيار ، وطيلسان ابن حرب ، وأيرأبى حكيمة ، وأنشد مشى فدعا من ثقله الحوت ربه * وقال الهى زيدت الارض ثانية

وأنشد: تحمل منه الارض اضعاف ما * يحمله الحوت من الارض^(١)

وأنشد: مشتمل بالبغض لا ينتهى * اليه لحظا مقلة الرامق
يظل فى مجلسنا قاعداً * أثقل من واش على عاشق

وقال الحمدونى

سألتك بالله الا صدقت * وعلمى بأنك لا تصدق
أتبغض نفسك من ثقلها * والا فأنت اذاً أحق

(١) اشارة الى الخرافة التى تزعم ان الارض يحملها حوت !

وكتب أبو عبد الرحمن العطوى الى بعض اخوانه
 اذا أنت لم ترسل وجئت فلم أصل * ملأت بعدر منك سمع لبيب
 أتيتك مشتاقاً فلم أر حاجياً * ولا صاحباً إلا بوجه قطوب
 كأني غريم مقتض أو كأني * طلوع رقيب أو نهوض حبيب
 وكان أبو عبيدة معمر بن المنى يستقل جليسا اسمه زنباع ، فقال له رجل
 يوما: ما الزنبعة في كلام العرب ؟ قال التثاقل ، ولذلك سمي جليسا زنباعا

جحظة البرمكي

وقدأكثر الناس في الثقلاء وأنا أستحسن قول جحظة ، وإن كان غيره قد
 تقدمه في مثله

يا لفظه النعي بموت الخليل * يا وقفة التوديع بين الحول
 يا شربة اليراج يا أجرة المنز * ل يا وجه العذول الثقيل
 يا طلعة النعش ويا منزلاً * أقفر من بعد الأنيس الحول
 يا نهضة المحبوب عن غصبة * يا نعمة قد آذنت بالرحيل
 ويا كتاباً جاء من مخلف * للوعد مملوءاً بعذر طويل
 يا بكرة الثكل الى حفرة * مستودع فيها عزيز الثكول
 يا وثبة الحافظ مستعجلاً * بصرفه القينات عند الاصيل
 ويا طبيياً قد أتى باكراً * على أخي سقم بماء البقول
 يا شوكة في قدم رخصة * ليس الى اخراجها من سبيل
 يا عشرة المجذوم في رحله * ويا صعود السعر عند المعيل
 يا ردة الحاجب عن قسوة * ونكسة من بعد برء العليل

وجحظة هذا هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن
 برمك ، وقال أبو الحسن على بن محمد بن مقلة الوزير سألت جحظة من لقبه بهذا

اللقب ؟ فقال ابن المعتز لقيني يوماً فقال لى : ما حيوان إن نكسوه أتنا آلة للفرأكب البحرية ، فقلت علق إذا نكس صار قلعا ، قال أحسنت يا جحظة ، فلزمنى هذا اللقب — وكان ناقيء العينين جداً ، قبيح الوجه ، ولذلك قال ابن الرومى

نُبئت جحظة يستعير جحوظه * من فيل شطرنج ومن سرطان
يارحمى لمناديه تحمّلوا * ألم العيون للذة الآذان
وكان طيب الغناء ، ممتد النفس ، حسن المسموع ، إلا أنه كان ثقیل اليد فى الضرب ، وكان حلو النادرة ، كثير الحكاية ، صالح الشعر ، ولا تزال تندر له الابيات الجيدة ، وهو القائل

جانبى أطيّب لذى وشرابى * وهجرت بعدك عامداً أصحابى
فاذا كتبت لى أنزّه ناظرى * فى حسن لفظك لم تجد بجواب
إن كنت تنكر ذاتى وتذالى * ونحول جسمى وامتداد عذابى
فانظر الى بدنى الذى موّهته * للناظرين بكثرة الاثواب

وقال واذا جفانى صاحب * لم أستعجز ماعشت قطعه .
وتركنه مثل القبو * رآزورها فى كل جمعه

وقال

ضاق على وجوه الرأى فى نفر • يلقون بالجحد والكفران إحسانى
أقلب الطرف تصعيداً ومنحدرأ * فما أقبل إنسانا بانسانى

وقال لقد مات اخوانى الصالحون * فالى صديق ومالى عماد
اذا أقبل الصبح ولّى السرور * وان أقبل الليل ولّى الرقاد

وقال يهجو رجلا

لا تعذلونى إن هجرت طعامه * خوفا على نفسى من المأكول
ففى أكلات قتلتته من بخله * ومتى قتلت قتلت بالمقتول

جحظة و خالد الكاتب

ومن حكاياته ما حدثني خالد الكاتب قال : جاءني يوما رسول ابراهيم بن المهدي فصرت اليه ، فرأيت رجلا أسود على فُرْش قد غاص فيها ، فاستجلسني وقال أنشدني من شعرك ، فأنشدته

رأت منه عيني منظرين كما رأت * من الشمس والبدر المنير على الارض
عشيّة حيانى بورد كأنه * حدود أضيفت بعضهم الى بعض
ونازعنى كأسا كأن حبابها * دموعى لما صد عن مقلتي غمضى
وراح وفعل الراح فى حركاته * كفعل نسيم الريح بالغصن الغض
فزحف حتى صار فى ثلثى الفراش ، وقال : يا قتي شهبوا الحدود بالورد ، وأنت
شبهت الورد بالحدود ، زدنى فأنشدته

عابت نفسى فى هوا * ك فم أجدها تقبل
وأطعت داعيها اليه * ك فم أطع من يعذل
لا والذي جعل الوج * ود الحسن وجهك تمثل
لا قلت ان الصبر عنة * لك من التصابي أجمل

فزحف حتى انحدر عن الفرش ثم قال لى زدنى فأنشدته

عش فحيبك سريعا قاتلى * والضنى ان لم تصلنى واصلى
ظفر الحب بقلب دنف * فيك والسقم بجسم ناحل
فهما بين ا كتئاب وضى * تركانى كالتضيب الذابل
وبكى العاذل لى من رحمة * فبكائى لبكاء العاذل

فنعر طربا وقال يا بليق كم معك لنفقتنا ، قال ثمانمائة وخمسون دينارا ،

قال اقسامها بينى وبين خالد فدفع الى نصفها . وأنشد جحظة أو غيره ولم يسم قائله

لا يبعد الله اخوانا لنا سلفوا * أفناهم حدنان الدهر والابد
نمدم كل يوم من بقيتنا * ولا يؤوب الينا منهم أحد

لطف الجواب

وكان أحمد بن يوسف جالسا بين يدي المأمون فسأل المأمون عن السكين فناولته أحمد السكين ، وقد أمسك بنصابها ، وأشار إليه بالحد ، فنظر إليه المأمون نظرا منكرا ، فقال : لعل أمير المؤمنين أنكر علي أخذني النصاب ، وأشارت إليه بالحد ، وإنما تفاءلت بذلك أن يكون له الحد على أعدائه ، فعجب المأمون من سرعة فطنته ، ولطيف جوابه . وقال بعض الكتاب : السكين مس الأقلام يشحذها إذا كتبت ، ويصقلها إذا كتبت ، ويطلقها إذا وقفت ، ويلمها إذا شعشت ، وأحسنها ما عرض صدره ، وأرهف حده ، ولم يفضل على القبضة نصابه

سكين كشاجم

وقال أبو الفتح كشاجم يرثي سكيناً سرقت له

يا قاتل الله كتاب الدواوين * ما يستحلون من أخذ السكاكين
لقد دهاني لطيف منهم ختل * في ذات حد كحد السيف مسنون
فأفقرت بعد عمران بموقعها * منها دواة قتي بالكتب مفتون
تبكي على مديّة أودي الزمان بها * كانت على جائر الأقلام تُعديني
كانت تقوم أقلامي وتحتها * نحتاً وتسخطها برياً قرضيني
وأضحك الطرس والقرطاس عن حُلل * ينوب للعين من نور البساتين
فان قشرت بها سوداء من صحفى * عادت كبعض خدود الخرد العين
جزع النصاب لطيفات شعائرها * محسّات بأصناف التحاسين
هيفاء مرهقة بيضاء مذهبة * قال الآله لها سبحانه كوني
لكن مَقْطَى أُمسى شامئاً جذلاً * وكان في ذلة منها وفي هُون
فصين حتى يضاهي في صيانتِه * جاهي لصونيه عن لا يدانيني
ولست عنها بسالٍ ماجييت ولا * بواجد عوضاً منها يسليني
ولو يَرُدُّ فداء ما جمعت به * منها فديناه بالدنيا وبالدين

صفات السكاكين ✓

ألفاظ لأهل العصر في صفات السكاكين — سكين كأن القدر سائقها ،
أو الأجل سابقها ، مرهقة الصدر ، خطفة الخصر ، يحول عليها فرند العتق ،
ويموج فيها ماء الجوهر ، كأن المنية تُبرق من حدها ، والأجل يلمع من متنها ،
ركبت في نصاب آبنوس ، كأن الحدق نفضت عليه صبيغها ، وحب القلوب كسته
لباسها ، أخذها حديدها الناصع بحظ من الروم ، وضرب لها نصابها الخالك بسهم
من الزنج ، فكأنها ليل من تحت نهار ، أو مجمر أبدى سنا نار ، ذات غرار ماض ،
وذباب قاض ، سكين ذات منسر بازى ، وجوهر هوائى ، ونصاب زنجى ، ان
أرضيت أولت متنا كالدهان ، وان اسخطت أثقت بناب الافعوان ، سكين
أحسن من التلاق ، وأقطع من الفراق ، تفعل فعل الاعداء ، وتنفع نفع الاصدقاء ،
هى أمضى من القضاء ، وأنفذ من القدر المتاح ، وأقطع من ظبة السيف الحسام
وألمع من البرق فى الغمام ، جمعت حسن المنظر ، وكرم الخبر ، وتملكت عنان
القلب والبصر ، ولم يحوجها عتق الجوهر إلى إمهاء الحجر

الاسترواح بذكر الصديق

قال محمد بن أنس للقاسم بن صبيح : مازلنا فى سمر نصل فصوله بتشوقك ،
فيذهب ذكرك ملل السامر ، ونعسة الساهر . فقال القاسم : مثلك ذكر صديقه
فأطراه ، واعتذر اليه فأرضاه ، ولو كنتم آذنتموني كنت كأحمدكم مسروراً بما به
سررتكم ، مفيضاً فيما فيه أفضتم

شروط المنادمة

قال بعض الظرفاء: شرط المنادمة قلة الخلاف ، والمعاملة بالانصاف ، والمساحة في الشراب ، والتغافل عن رد الجواب ، وإدمان الرضى ، وإطراح مامضى ، وإسقاط التحيات ، واجتناب اقتراح الأصوات ، وأكل ما حضر ، واحضار ما تيسر ، وستر العيب ، وحفظ الغيب . وقد أحسن أبو عبد الرحمن العطوى في قوله

حقوق الكاس والندمان خمس * فلوها التزين بالوقار
وثانيها مساحة الندامى * فكم حمت السباحة من ذمار
وثالثها وان كنت ابن خير البرية محمداً ترك الفخار
ورابعها وللندمان حق * سوى حق القراة والجوار
إذا حدثته فاكس الحديث الذى حدثته ثوب اختصار
فما حث النبيل بمثل حسن الأغنى والأحاديث القصار
وخامسة يدل بها أخوها * على كرم الطبيعة والنجار
حديث الأمس نساء جميعاً * فان الذنب فيه للعثار
ومن حكمت كأمسك فيه فاحكم * له بإقالة عند العثار

وقال حسان بن ثابت

نولها الملامة إن ألمنا * إذا ما كان مقت أولياء

بساط السلاف

وشرب اليزيدى عند المأمون فلما أخذت منه الكاس أقبل يعتز عليه بتعليمه إياه ، وأساء مخاطبته ، فلما أفلق من سكره عرف ماجرى ، فلبس أكفانه ووقف بين يدي المأمون فأنشده

أنا المذنب الخطيء والعفو واسع * ولو لم يكن ذنب لما عرف العفو
 ثملت فأبدت مني الكاس بعض ما * كرهت وما إن يستوى السكر والصحو
 ولا سيما إن كنت عند خليفة * وفي مجلس ما إن يجوز به اللغو
 فان تعف عني ألف خطوى واسعا * والا يكن عفو فقد قصر الخطو
 فقال المأمون: لا تريب عليك ، فالنبذ بساط يطوى بما عليه . وشرب كوران
 المغنى عند الشريف الرضى ، فافتقد رداءه وزعم أنه سرق . فقال له الشريف : ويحك
 من تهم ؟ أما علمت أن النبذ بساط يطوى بما عليه ؟ قال انشروا هذا البساط حتى
 آخذ ردائي واطووه الى يوم القيامة ! وكان أبو جعفر احمد بن جدار كاتب العباس
 ابن احمد بن طولون ينقل أخبار أبي حفص عمر بن أيوب كاتب احمد بن طولون
 على الشراب الى العباس ، فصار اليه أبو حفص فقال يا أبا جعفر انما مجلس المدام
 مجلس حرمة ، وداعية أنس ، ومسرح لبانة ، ومزاد هم ، ومرتع لهو ، ومعهد
 سرور ، وانما توسطته عند من لا يُتهم غيبه ، ولا يُخشى عتبه ، وقد اتصل بي
 ما تنبيه الى أميرنا أبي الفضل أعز الله أمره ، من أخبار مجالستي ، فلا تفعل ، وأنشده
 ولقد قلت للأخلاء يوماً * قول ساع بالنصح لو سمعوه
 إنما مجلس المدام بساط * المودات بينهم وضعوه
 فاذا ما انتهوا الى ما أرادوا * من نعيم ولذة رفعوه
 وهم أحرياء ان كان منهم * حافظ ما أتوه أن يمنعه
 فاعتذر ابن جدار وحلف ما فعل ، وقام من مجلسه . وأنشد أبو حفص
 كم من أخ أوجست منه سجية * فأنت بعد وداده بفراقه
 لم احمد الأيام منه خليفة * فتركته مستمتعا بخلاقه
 عول أبو حفص في أكثر كلامه على نقل كلام أبي العباس الناشئ في الشراب ،
 والابيات التي أنشد أولاه — أبو القاسم صاحب : قدماً حملت أوزار السكر ، على

ظهور الخمر ، وطوى بساط الشراب ، على ما فيه من خطأ أو صواب ، متابعة
العُتار ، تعذر في خلع العذار ، وتغنى عن الاعتذار — متابعة الارطال ، تبطل سورة
الابطال ، وتدع الشيوخ كالاطفال

أيام الشراب ✓

كتب اسحاق بن ابراهيم الموصلى الى بعض الجليّة يستدعيه : يومنا يوم ليل
الحواشى ، وطى النواحي ، وسأؤنا قد أقبلت ، ورعدت بالخير وبرقت ، وأنت
قطب السرور ، ونظام الأمور ، فلا تفردنا فنقل ، ولا تفرد عنا فنذل
وكتب بعض أهل العصر وهو السرى الموصلى الى أخ له يستدعيه الى مؤانسته
خلالك ما اختل الصديق سحائب * وبشرك ما هبت ريح مواهب
وأنت شقيق الروح تؤثر وصلها * اذا راعها بالهجر خل وصاحب
ونحن خلال القصف والعزف نجتى * ثمار ملاه كلهن أطايب
وعندى لك الريحان زين بساطه * بزهر كما زانت سناء كواكب
وجيش كما انجرت ذيول غلائل * مصندلة تحتال فيها الكواعب
وقد أطلقت فيه الشئائل وانثنت * مفندة عن جانبيها الجنائب
وحافظة ماء الحياة لفتية * حياتهم أن تستلذ المشارب
نسر بلها أخفى اللباس وانما * يلف بها أفوافه والسبائب
على جسد مثل الزبرجد لم تزل * تشاكله فى لونه وتناسب
اذا استودعت حرّ اللعجين سبائكها * تصوب فى احشائها وهو ذائب
وفوق رؤوس القوم غيم معلق * من الند لا يجرى ولا هو ذاهب
بوارقه خمر الكؤوس ورعده * أنامل بيض للطبول تلاعب
ولا عائق يثنى عنانك عن هوى * رعى جانب منه وأومض جانب
فبادر فان اليوم صاف من القذى * ويارب يوم بادرته النوائب

وقال ابن المعتز

لا شئ يُسلى همى سوى قدح * تدمى عليه أوداج ابريق
فى غيم يوم يزجى سحائبه * برق ابتسام ورعد تصفيق

وقال الحسن بن محمد الكاتب يصف طبلا

يا حبذا يومنا نلهو بملهية * تلهى بشئ لهرأسان فى جسد
قد شد هذا الى هذا كأنهما * من شدة الشدمقرونان فى صفد
نظل نلطم خديه اذا ضربت * بكل طاقمها لظما بلا حرد
فتسمع الصوت منه حين تضربه * كأنه خارج من ماضى أسد

الدعوة الى الراح

ومن ألفاظهم فى الاستدعاء : نحن فى مجلس قد أبت راحة أن تصفو لنا أو
تتناولها يمينك ، وأقسم غناؤه لاطاب أو تعيه أذناك ، فأما حدود نارنجيه فقد
احمرت خجلا لابطائك ، وعيون نرجسه قد حذقت تأميلا للقائك ، فبحياتى عليك
الا تعجلت ، وما تمهلت — نحن بغيبتك كعقد قد تغيبت واسطته ، وشباب قد
أخلقت جدته ، واذا غابت شمس السماء عنا ، فلا بد أن تدنو شمس الأرض منا .
أنت من ينظم به شمل الطرب ، وبلقائه يبلغ كل أرب ، طر إلينا طيران السهم
واطلع علينا طلوع النجم ، نب إلينا وثوب الغزال ، واطلع علينا طلوع الهلال ،
فى غرة شوال — كن إلينا أسرع من السهم الى ممره ، والماء الى مقره — جيشم
إلينا قدمك ، واخلع علينا كرمك ، وإن رأيت أن نحضرنا لتتصل الواسطة بالعقد
ونحصل بقربك فى جنة الخلد ، وتسهم لنا فى قربك الذى هو قوت النفس ، ومادة الأوس
ولهم فى استدعاء الشراب : قد تألف لى شمل اخوان كاد يفترق لعوز
المشروب ، واعتمدنا فضلك المعهود ، ووردنا بحرك المورد ، وأنا ومن ساحنى
(١٠ - نى)

الدهر بزيارته من اخواني وأوليائك ، وقوف بحيث يقف بنا اختيارك ، من النشاط والفتور ، ويرتضيه لنا ايثارك ، من الهم والسرور ، والامر في ذلك اليك ، والاعتماد في جمع شمل المسرة عليك ، فان رأيت أن تكني الى أولى الظنين بك فعلت — أطف المنن موقعا ، وأجلها في النفوس موضعا ، ما عمر أوطان المسرة ، وطرده عوارض الهم والفكرة ، وجمع شمل المودة والألفة * قد انتظمت في رفقة لي في سمط الثريا ، فان لم تحفظ علينا النظام ، باهداء المدام ، عدنا كبنات نعش والسلام * فرأيك في ارواء غلتنا بما ينقمها ، والطول على جماعتنا بما يجمعها

الكناية عن الشراب

ولهم في الكناية عن الشراب : قد نشط لتناول ما يستمد البشر ، وبشرح الصدر — قد استمطر سحابة الانس ، واستدر حلوبة السرور ، وقدح زند اللهو ، فهو يمرى دماء العناقيد ، ويفصد عروق الدنان ، وينظم عقد الندمان
كتب الحسن بن سهل الى الحسن بن وهب وقد اصطبغ في يوم دجن لم يطر : أما ترى تكافؤ هذا الطمع واليأس في يومنا هذا بقرب المطر وبعده ، كأنه قول كثير

واني وتهيامي بعزة بعد ما * تخليت مما بيننا وتخلت
لكل مرتجي ظل الغمامة كلما * تبوأ منها للمقيل اضمحلت

وما أصبحت أمنيقي إلا في لقاءك ، فليت حجاب النأي هتك بيني وبينك !
رقعتي هذه وقد دارت زجاجات أوقعت بعقلي ولم تتخيفه ، وبعثت نشاطا حركني للكتاب ، فرأيك في امطارى سرورا بسار خبرك ، إذ حرمت السرور بمطر هذا اليوم ، موقعا ان شاء الله * وكتب الحسن بن وهب : وصل كتاب الامير أيده الله وفي طاعم ، ويدي عاملة ، ولذلك تأخر الجواب قليلا ، وقد رأيت تكافؤ احسان هذا اليوم واساءته ، وما استوجب ذنبا استحق به ذما ، لانه اذا

أشمس حكي حسنك وضيائك ، وإن أمطر حكي جودك وسخاءك ، وإن غام أشبه ظلاك وفناءك ، وسؤال الأمير غنى نعمة من نعم الله عز وجل أعفى بها آثار الزمان السبيء عندي ، وأنا كما يحب الأمير صرف الله الحوادث عنه ، وعن حظي منه

غرائب الاخلاق

وذم رجل رجلاً فقال : دعواته ولأثم ، وأقداحه محاجم ، وكؤسه محابر ، ونوادره بواذر . وقال أبو الفتح كشاجم : كان عندي بعض المجان من النبيذيين فسمعتي وأنا أحمد الله جل ذكره في وسط الطعام لشيء خطر بيالي من نعم الله التي لا تحصى ، فنهض وقال : أعطى الله عهداً أن عاودت ، وما معنى التعميد هنا ، كأنك تعلمنا انا قد شبعنا . ثم مال الى الدواة والقرطاس وكتب ارتجالاً

وحمده الله يحسن كل وقت * ولكن ليس في أولى الطعام
لأنك تحشم الاضياف فيه * وتأمروهم بأسراع القيام
وتؤذنهم وما شبعوا بشبع * وذلك ليس من خلق الكرام

بعد المتاب

وكتب المريبي الى بعض اخوانه وقد ترك النبيذ
إن كنت تبت عن الصهباء تشربها * نسكا فما تبت عن برِّ واحسان
تب راشداً واسقنا منها وإن عدلوا * فيما فعلت فقل ما تاب اخواني
وقال بعض النبيذيين وقد ترك الشرب

تحاموني لتركي شرب راح * أفت مكانها الماء القرأح
وما انفردوا بها دوني لفضل * اذا ما كنت أكثرهم مزاحا
وأرفعهم على وتر وصنج * وأطرفهم وأظرفهم مزاحا
اذاشقوا الجيوب شققت جيبي * وإن صاحوا علوتهم صياحا

فضل الصهباء

فقر للنبيذيين — ما جشمت الدنيا بأظرف من النبيذ — ما للعقار والوقار —
إنما العيش مع الطيش — الراح ترياق سم الهم — النبيذ ستر فانظر مع من تهتكه .
اشرب النبيذ ما استبشعته ، فاذا استطبته فدعه — لولا ان الخمرور يعلم قصته
لقدم وصيته — الصاحي بين السكارى كالخى بين الموتى ، يضحك من عقلم ،
ويأكل من نقلهم — أحق ما يكون السكر اذا تعاقل — التبذل على النبيذ
ظرف ، والوقار عليه سخف — حد السكر أن أن تغرب الهموم ، ويظهر السر
المكتوم * وقال الحسن بن وهب لرجل رآه يعبس عند الشراب : ما انصفتها ،
تضحك في وجهك ، وتعبس في وجهها ! وقال الطائي

اذا ذاقها وهى الحياة رأيته * يُعبس تعبس المقدم للقتل

وقد أحسن الشيخ صدر الدين حيث قال

وأن أقطب وجهي حين تبسم لى * فعند بسط الموالى يحفظ الأدب

وترك رجل النبيذ فقيل له لم تركته ، وهو رسول السرور الى القلب ؟ قال
ولكنه رسول بأس يبعث الى الجوف فيذهب الى الرأس * وقيل لبعضهم
ما أصباك بالخر ؟ فقال انها تسرج فى يدى بنورها ، وفى قلبى بسرورها . كأن
الناشئ نظر الى هذا الكلام فقال

راح اذا علت الا كف كؤسها * فكأنها من دونها فى الراح

وكأنما الكاسات مما حولها * من نورها يسبحن فى ضحاح

لو بث فى غسق الظلام ضياؤها * طلع المساء بغرة الاصبح

نفضت على الاجسام ناصع لونها * وسرت بلدتها الى الأرواح

الييت الاول كقول البحترى

ينفى الزجاجة ضوءها فكأنها * فى الكف قائمة بغير إناء

والناشيء في هذا المعنى

وَمُدَامَةٍ يَخْفَى النَّهَارُ لِنُورِهَا * وَتَذُلُّ أَكْنَافُ الدِّجِ لِضِيَّائِهَا
صَبَّتْ فَاحْدَقَ نُورُهَا بِزَجَاجِهَا * فَكَأَنَّهَا جَعَلَتْ إِنْاءَ إِنَائِهَا
وَتَرَى إِذَا صَبَّتْ بَدَتْ فِي كَأْسِهَا * مَتَقَاصِرُ الْأَرْجَاءِ عَنْ أَرْجَائِهَا
وَتَسْكَدُ إِنْ مَزَجْتَ لِرَقَّةِ لَوْنِهَا * تَمْتَازُ عِنْدَ مَزَاجِهَا مِنْ مَائِهَا
صَفْرَاءُ تُضْجِي الشَّمْسُ إِنْ قَيْسَتْ بِهَا * فِي ضَوْئِهَا كَاللَّيْلِ فِي أَضْوَائِهَا
وَإِذَا تَصَفَّحْتَ الْهَوَاءَ رَأَيْتَهُ * كَدَّرَ الْأَدِيمَةَ عِنْدَ حَسَنِ صَفَائِهَا
تَزْدَادُ مِنْ كَرَمِ الطَّبَاعِ بِقَدْرِ مَا * تَوْدَى بِهِ الْأَيْلِمُ مِنْ أَجْزَائِهَا
لَا شَيْءٌ أَعْجَبَ مِنْ تَوَلَّدَ بِرَّيْهَا * مِنْ سَقَمِهَا وَدَوَائِهَا مِنْ دَائِهَا
وَقَالَ

أَنْ رَمَتْ وَصَفَ الرَّاحِ فَأَتَ بِمَا * فِيهَا مِنَ الْأَوْصَافِ مِنْ قُرْبِ
هِيَ مَاءٌ يَأْقُوتُ وَإِنْ مَزَجْتَ * فِي كَأْسِهَا بِالْبَارِدِ الْعَذْبِ
فَكَأَنَّهَا وَحَبَابُهَا ذَهَبٌ * كَلَّمَتْهُ بِاللَّؤْلُؤِ الرُّطْبِ
وَلَأَهْلَ الْعَصْرِ : الدُّنْيَا مَعْشُوقَةٌ رِيْقُهَا الرَّاحُ . أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى مِنْ قَوْلِ ابْنِ

الرُّومِيِّ فِي صَاعِدِ بْنِ مَخْلَدٍ

قَيَّ هَاجِرَ الدُّنْيَا وَحَرَّمَ رِيْقُهَا * وَهَلْ رِيْقُهَا إِلَّا الرَّحِيقُ الْمَوْرَدُ
وَلَوْ طَمِعَتْ فِي عَطْفِهِ وَوَصَالِهِ * أَبَاحَتْهُ مِنْهَا مَرِشَقًا لَا يَصْرَدُ
الْخَمْرُ أَشْبَهَ شَيْءًا بِالدُّنْيَا لِاجْتِمَاعِ اللَّذَاتِ وَالْمَرَارَةِ فِيهَا . الْخَمْرُ مُصْبَاحُ السَّرُورِ
وَلَكِنَّهَا مِفْتَاحُ السَّرُورِ — لِكُلِّ شَيْءٍ سِرٌّ ، وَسِرُّ الرَّاحِ السَّرُورُ — لَا يَطِيبُ
الْمَدَامُ الصَّافِي ، إِلَّا مَعَ النَّدِيمِ الْمُصَافِي

مجالس الانس وآلات اللهو

ومن ألفاظهم في صفات مجالس الانس وآلات اللهو وذكر الخمر — مجلس راحه ياقوت ، ونوره ورد ، ونارنجه ذهب ، ونرجسه دينار ودرهم يحملها زبرجد . عندنا أترج كانه من خلقك خلق ، ومن شمائك سُرق ، ونارنج ككرات من سفن ذهبت ، أو ندى أبكار خلقت ^(١) — مجلس أخذت فيه الأوتار تتجاوب ، والاقداح تتناوب — أعلام الانس خافقة ، وألسن الملاهي ناطقة — نحن بين بدور ، وكسات تدور ، وبروق راح ، وشموس أقداح — قد نشأت غمامة الند ، على بساط الورد — مجلس قد تفتحت فيه عيون النرجس ، وفاحت مجامير الاخرج ، وفتقت فارات النارنج ، ونطقت ألسن العيدان ، وقامت خطباء الأوتار ، وهبت رياح الاقداح ، وطلعت كواكب الندمان ، وامتدت سماء الند * مجلس من رآه حسب الجنان قد اصطفت عيونها ، فجعلت في قدر من الارض ، وتخيرات فصوصها ، فنقلت الى مجلس الانس واللهو — قد فض اللهو ختامه ، ونشر الانس أعلامه — قد هبت للانس ريح برقها الراح ، وسحابها الاقداح ، ورعودها الأوتار ، ورياضها الاقمار — قد فرغنا للهو والدهر عنا في شغل . جل هذا من قول بعض أهل العصر

كم جوّى مثله رسمٌ ممثّل * ودم قد طلّ اثناء طلّ
ولال كلّ اخد بها * لعب البين برّيات الكلل
حبدا عيش الليالى باللوى * لو تجافى الدهر عنا وغفل
إذ فرغنا فيه للهو وقد * بانّت الأقدار عنا في شغل
وأدرنا ذهباً في لهب * كلما أخذ بالماء اشتعل

قد اقتعدنا غارب الانس ، وجرينا في ميدان اللهو — عمدنا الى اقداح اللهو فأجلناها ، ولما كب السرور فامتطيناها — قد امتطينا غوارب السرور بالاقداح — مدامة تُورد ريح الورد ، وتحكى نار ابراهيم في اللون والبرد ، ولست أدري

(١) السفن بالفتح جلد سمك خشن يسفن به الخشب فيلين

أشقيق ، أم عقيق ، أم رجيق ، أم حريق — راح كأن الديوك صبت أحداقها فيها —
راح كأنما اشتقت من الرّوح والراحة . قال ابن الرومي

والله ما ندرى لأية علة * يدعوها في الراح باسم الراح

أريحها أم رَوْحها تحت الحشى * أم لارتياح نديمها المرتاح

راح كالنار ، والنّور ، والنّور ، أصفى من البلور ، ومن دمع المهجور — روح
نور لها من الكأس جسم ، كأنها شمس في غلالة سراب — شراب أكاد أقول هو
أصفى من مودتي لك ، ومن نعم الله عندي فيك ، وأطيب من اسعاف الزمان
بلقاءك — مدامة قد سبك الدهر تبرها فصفا * كأس كأنها نور ضميره نار ، راح
كياقوتة في درة أصفى من ماء السماء ، ودمع العاشقة المرهاء ^(١) ، أحسن من الدنيا
المقبلة ، والنعم المكملة ، أحسن من العافية في البدن ، وأطيب من الحياة في
السرور ، أرق من نسيم الصّبَا ، وعهد الصّبَا ، أرق من دمع محب ، وشكوى
صب ، أرق من دموع العشاق ، مرتها لوعة الفراق — مزج نار الراح بنور الماء —
راح كأنها معصورة من وجنة الشمس ، في كأس كأنها مخروطة من فلقة البدر ،
كأسها ملء اليد ، وريحها ملء البلد ، تصب على الليل ثوب النهار ، كأنها في
الكأس معنى دقيق ، في ذهن لطيف ، كأن الراح من خده معصورة ، وملاحة
الصورة عليها مقصورة . وهذا من قول الطائي * كأنها من خده تُعَصَّرُ * وقال
عبد السلام بن رغبان الملقب بديك الجن الشاعر المشهور

معتقة من كف ظبي كأنما * تناولها من خده فأدارها

تمشت الصهباء في عظامهم ، وترقت الى هامهم ، وماست في أعطافهم ،
ومالت بأطرافهم — سارت فيهم الكؤوس ، ونالت منهم سورة الخندريس ،
— شربت عقولهم ، وملكت قلوبهم

خمریات أبی نواس

وقال أبو نواس ، وهو أستاذ الناس في هذا الشأن

صفة الطول بلاغة القدم * فاجعل صفاتك لابنة الكرم
تصف الطول على السماع بها * أفندو العيان ككتاب العلم
واذا وصفت الشيء متبعا * لم تخل من غلط ومن وهم

وقال الكأس أهواها وان رزأت * بلغ المعاش وقلت فضلى (١)
صفراء مجدها مرابها * جلت عن النظراء والمثل
ذخرت لآدم قبل خلقته * فتقدمته بخطوة القبل
فاعذر أخاك فانه رجل * مرنت مسامعه على العذل

وقال فتسللت بشرب عقار * نشأت في حجر أم الزمان
فتناساها الجديدان حتى * هي أنصاف شطور الدنان
واقترعنا مرة الطعم بها * نزق البكر ولين العوان
واحسبنا من رحيق عتيق * وشديد كامل في ليان
لم يخفها منزل القوم حتى * نجمت مثل نجوم السنان
أو كعرق السام تنشق منه * شعب مثل انفراج البنان

وقال

وخدين لذات معال صاحب * يقات منه فكاهة ومزاحا
قال ابغى المصباح قلت له ائتمد * حسبي وحسبك ضوءها مصباحا
فسكبت منها في الزجاجة شربة * كانت له حتى الصباح صباحا
وهذا كقوله

وَحَمَّارٌ أَتَيْتُ عَلَيْهِ لَيْلًا * قَلَّائِصٌ قَدْ تَعَبْنِ مِنَ السَّقَارِ

فترجم والنكرى في مقلتيه * كمخمور شكى ألم الخمار
أبن لي كيف صرت الى حربي * وجفن الليل مكتحل بقار
فقلت له ترفق بي فاني * رأيت الصبح من خلل الديار
فكان جوابه أن قال كلا * وما صبح سوى ضوء العقار
وقام الى الدنان فسد فاهها * فعاد الليل مسدول الازار

سورة الكأس

وقال بعض المحدين

ما زال يشربها وتشرب عقله * خبلا وتؤذن روحه برواح
حتى اثنتى متوسداً بيمينه * سكرًا وأسلم روحه للراح
وقال الصنوبري وذكر شرباً (١)

نازعتهم كأساً تحال نسيما * مسكاً تضيوع في الاناء عتيقا
شقت قناع الفجر لما غادرت * كف النديم قناعها مشقوقا
صبغت سواد دجاء حمرة لونها * فكأنه سبج أعيد عتيقا

وقال أبو الشيص

وكأس كسي الساقى لنا بعد هجمة * حواشيها ما ميج من ريقة العنب
كأن اطراد الماء في جنباتها * ترثع ماء الدر في سبك الذهب
سقتني بها والليل قد شاب رأسه * غزال ببناء الزجاجاة محتضب

وقال أبو عدى الكاتب

وليس لها حد تحيط بوصفه * لغات ولا جسم يباشره لمس
ولكنه كالبرق أومض ماضياً * فلم يبق منه غير ما نذر النفس

(١) الشرب بالفتح هم القوم يشربون

ساقى المدام

وقال ابن المعتز

ألا فاستقنيها قد مشى الصبح في الدُّجَا * عُقاراً كمثل النار حمراء قرقفا
فناولني كأساً أضاءت بنانه * تدفَّقُ ياقوتاً ودرأً مجوفا
ولما أريناها المزاج تسعَّرت * وخِلت سناها بارقا قد تكشفا
يطوف بها ظبي من الانس شادنٌ * يقلب طرفاً فاسق اللحظ مدنفا
عليم بأسرار المحبين حاذقٌ * بتسليم عينيه اذا ما تخوفا
فظل ينجيني تقلُّب طرفه * بأطيب من نجوى الاماني وأطفنا

ذكر يات الشباب

وقال

ألا عَج على دار السرور فسلِّم * وقل أين لذاتي وأين تكلمي
وقل ما حلت بالعين بعدك لذةٌ * سواك وان لم تعلمي ذاك فاعلمي
وصفراء من صبغ المزاج برأسها * اذا مزجت إكليل در منظم
قطعت بها عمر الدجي وشربتها * ظلامية الاحشاء نورية الدم

رسائل البديع

كتب أبو الفضل بديع الزمان الى أبي عدنان بن محمد الضبي يعزيه عن
بعض أقاربه

أذا ما الدهر جرَّ على أناسٍ * حوادثه أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا
أحسن ما في الدهر عمومُه بالنوائب ، وخصوصه بالرغائب ، فهو يدعو الجفلى^(١)

(١) الجفلى : الدعوة العامة

إذا ساء ، ويخص بالنعمة إذا شاء ، فليفكر الشامت ، فإن كان أفلت ، فله أن يشمت ،
ولينظر الانسان في الدهر وصروفه ، والموت وصنوفه ، من فاتحة أمره ، الى
خاتمة عمره ، هل يجد لنفسه ، أثراً في نفسه ، أم لتدبيره ، عوناً على تصويره ،
أم لعمله ، تقديماً لأمله ، أم لحيله ، تأخيراً لأجله ؟ كلا بل هو العبد لم يكن شيئاً
مذكوراً ، خلُق مقهوراً ، ورزق مقدوراً ، فهو يحيا جبراً ، ويهلك صبراً ، ولينأمل
المراء كيف كان قبلاً ، فإن كان العدم أصلاً ، والوجود فصلاً ، فليعلم الموت عدلاً .
فالعاقل من رقع من جوانب الدهر ، ما ساء بما سر ، ليذهب ما نفع بما ضر ، فإن
أحب أن لا يحزن فليتنظر بمنة ، هل يرى الا محنة ، ثم ليعطف يسرة ، هل يرى الا
حسرة ؟ ومثل الشيخ الرئيس أطال الله بقاءه من فطن لهذه الاسرار ، وعرف هذه
الديار ، فأعد لنعيمها صدراً لا يملؤه فرحاً ، ولبؤسها قلباً لا يطيره ترحاً ، وصحب
البرية من برأى يعلم ان المتعة حداً ، وللعارية رداً ، ولقد نعى الى أبو قبصة قدس الله روحه ،
وبرد ضريحه ، فعرضت على آمالي قعوداً ، وأمانى سوداً ، وبكيت ، والسخرى جوده
بما يملك ، وضحكت ، وشر الشدائد ما يضحك ، وعضضت الأصبع حتى أدميته ،
وذمت الموت حتى تمنيته ، والموت أطال الله بقاء الشيخ الرئيس خطب قد عظم
حتى هان ، وأمر قد خشن حتى لان ، ونكر قد عم حتى عاد عرفاً ، والدنيا قد
تنكرت حتى صار الموت أخف خطوبها ، وخبثت حتى صار أقل عيوبها ، ولعل
هذا السهم قد صاب آخر ما في كنانتها ، وأنسكأ ما في خزانها ، ونحن معاشر التبعية
نتعلم الأدب من أخلاقه ، والجميل من أفعاله ، فلا نحته على الجميل وهو الصبر ،
ولا نرغبه في الجزيل وهو الاجر ، فلير فيهما رأيه ان شاء الله

كرائم النفوس

وله الى بعض اخوانه جواباً عن كتاب كتبه يهنيه بمرض أبي بكر الخوارزمي
وكانت بينهما مقارعة ، ومنازعة ، ومنافرة ، ومهاجرة ، ولهما مجالس مستظرفة قهره

البديع فيها وبهره ، وبكته ، حتى أسكته ، ليس هذا موضعها ، لكنني أذكر بعد هذه الرسالة بعض مكاتبات جرت بينهما إذ كان ما لهما من الابتداء والجواب أخذنا بوصل الحكمة وفصل الخطاب

«الخر أطل الله بقاءك لاسيما إذا عرف الدهر معرقتي ، ووصف أحوال هصقي ، إذا نظر علم ان نعم الدهر مادامت معدومة فهي أماني ، وان وجدت فهي عواري ، وأن محن الايام وان طالست فستنقد ، وان لم تصب فكان قد ، فكيف يشمت بالحنة ، من لا يأمنها في نفسه ، ولا يعدمها في جنسه ، والشامت ان أفلت فليس يفوت ، وان لم يمت فسيموت ، وما أقبح الشماتة ، بمن أمن الإماتة ، فكيف بمن يتوقعها ، بعد كل لحظة ، وعقب كل لفظة ، والدهر غرثان طعمه الخيار^(١) وظمان شربه الاحرار ، فهل يشمت المرء بانياب آكله ، أم يسر العاقل بسلاح قاتله ؟ وهذا الفاضل شفاء الله : ان ظاهرناه بالعداوة قليلا ، فقد باطنناه ودأ جميلا ، والحر عند الحمية لا يصطاد ، ولكنه عند الكرم ينقاد ، وعند الشدائد تذهب الاحقاد ، فلا تتصور حالتى الا بصورتها من التوجع لعلته ، والتحزن لمرضته ، وقاه الله المكروه ، ووقانى سماع المحذور فيه ، بمنه وحوله ، ولطفه وطوله »

بين الهمداني والخوانساري

قال البديع في سياقة أخباره مع أبي بكر الخوارزمي
أولها أنا وطئنا خراسان ، فما اخترنا الا نيسابور دارا ، والآن جوار السادة جوارا ، لاجرم ان احططنابها الرحل ، ومددنا عليها الطنب ، وقديما كنا نسمع بحديث هذا الفاضل فتشوقه ، وبخبره على الغيب فتعشقه ، ونقدّر انا اذا وطئنا أرضه ، ووردنا بلده ، يخرج لنا في العشرة ، عن القشرة ، وفي المودة ، عن الجليدة ، فقد كانت كلمة الغربة جمعتنا ، ولحمة الأدب نظمتنا ، وقد قال شاعر القوم غير مدافع أجارتنا إنا غريبان هاهنا * وكل غريب للغريب نسيب

فأخلف ذلك الظن كل الاخلاف ، واختلف ذلك التقدير كل الاختلاف ، وكان قد اتفق علينا في الطريق من العرب اتفاق ، لم يوجب استحقاق ، من برّة برّوها ، وفضة فضّوها ، وذهب ذهبوا به ، ووردنا نيسابور براحة ، أنقى من الراحة ، وكيس أخلى من جوف حمار ^(١) وزى أوحش من طلعة المعلم ، بل اطلاعة الرقيب ، فما حللنا إلا قصبة جواره ، ولا وطننا الاعتية داره ، وهذا بعد رقعة قدمناها ، وأحوال أنس نظمناها ، ونسخة الرقعة : أنا بقرب الأستاذ أطال الله بقاءه : كما طرب النشوان مالت به الخمر ، ومن الارتياح للقائه : كما انتفض العصفور بلله القطر ، ومن الامتزاج بولائه : كما التقت الصهباء والبارد العذب ، ومن الابتهاج لمزاره : كما اهتزت تحت البارج الغصن الرطب ، فكيف نشاط الأستاذ سيدي لصديق طراً إليه من ما بين قصبتى العراق وخراسان ، بل عتبتى نيسابور وجرجان ، وكيف اهتزازه لضيّف

رث الشئائل مخلق الأثواب * بكرت عليه مغيرة الأعراب

وهو أيده الله ولى انعامه ، بانفاذ غلامه ، الى مستقرى ، لأفضى اليه بما عندى ان شاء الله . فلما أخذتنا عينه سقانا الدردى من أول دنه ، وأجنانا سوء العشرة من با كورة فنه ، من طرفٍ نظر بشطره ، وقيام دفع فى صدره ، وصديق استهان بقدره ، وضيف استخف بأمره ، لكننا أقطعناه جانب أخلاقه ، وولينا خطة نفاقه ، فواصلناه إذ جانب ، وقاربناه إذ جاذب ، وشرّبناه على كدورته ، ولبسناه على خشونته ، ورددنا الأمر فى ذلك الى زى استغته ، ولباس استرنه ، وكاتبناه نستمد وداده ، ونستلين قياده ، ونقيم مناديه ، بما هذه نسخته : الأستاذ أبو بكر والله يطيل بقاءه أزرى بضيفه أن وجهه يضرب اليه باط القلّة ، فى أطمار الغربة ، فعمل فى رتبته أعمال المصارفة ، وفى الاهتزاز اليه أصناف المضايقة ، من إجماء بنصف الطرف ، وإشارة بشطر الكف ، ودفع فى صدر القيام عن التمام ، ومضغ للكلام ، وتكلف لرد السلام ، وقد قبلت ترتيبه صعرا ، واحتملته وزرا ، واحتضنته

(١) جوف حمار ، أو جوف العير ، اسم لواء مقفر

نكرا ، وتأبطته شرا ، ولم آلهُ عذرا ، فان المرء بالمال ، وثياب الجمل ، ولست مع هذه الحال ، وفي هذه الاسمال ، أتقرّز من صف النعال ، فلو صدقته العتاب ، وناقشته الحساب ، اقلت ان بوادينا ثاغية صباح ، وراغية رواح ، وناسا يجرون المطارف ، ولا يمنعون المعارف

وفيهم مقامات حسان وجوههم * وأندية ينتابها القول والفعل
فلو طوّحت بأبي بكر أيده الله اليهم مطارح الغربة ، لوجد منزل البشر رحيبا ، ومحط الرحل قريبا ، ووجه المضيف خصيبا ، فرأى الاستاذ أبي بكر أيده الله في الوقوف على هذا العتاب الذي معناه ودّ ، والمر الذي يتلوه شهد ، موفقا ان شاء الله (فأجاب بما نسخته) وصلت رقعة سيدي ورئيسي أطال الله بقاه الى آخر السكباچ ^(١) وعرفت ما تضمنه من خشن خطابه ، ومؤلم عتابه ، وصرفت ذلك منه الى الضجرة التي لا يخلو منها من مسّه عسر ، أو نبا به دهر ، والحمد لله الذي جعلني موضع أنسه ، ومظنة مشتكي ما في نفسه ، أما ما شكاه سيدي ورئيسي من مصانعي إياه في القيام ، فقد وفيته حقه أيده الله سلاما وقياما ، على قدر ما قدرت عليه ، ووصلت اليه ، ولم أرفع عليه الا السيد أبا البركات أدام الله عزه ، وما كنت لأرفع أحداً على مَنْ أبوه الرسول ، وأمه البتول ، وشاهداه التوراة والانجيل ، وناصراه التأويل ، والتنزيل ، والبشير به جبريل وميكائيل ، فأما القوم الذين صدر عنهم سيدي فيكما وصف : حسن عشرة ، وسداد طريقة ، وجمال تفصيل وجملة ، ولقد جاورتهم فأحمدت المراد ، ونلت المراد

فان كنت قد فارقت نجداً وأهله * فما عهد نجد عندنا بذيئ
والله يعلم نيتي للأحرار كافة ، وليسيدي سر بنهم خاصة ، فان أعاني الدهر على ما في نفسي بلغت له ما في النية ، وجاوزت به مسافة القدر والأمنية ، وان قطع على طريق عزمي بالمعارضة ، وسوء المناقضة ، صرفت عنائي عن طريق الاختيار ، بيد الاضطرار

فما النفس الا نقطة بقرارة * اذا لم تكدر كان صفواً غديرها
وبعد فحبذا عتاب سيدي اذا استوجبنا عتبا ، واقرفنا ذنبا ، فأما أن يسلفنا
العريضة فنحن نصونه عن ذلك ونصون أنفسنا عن احتماله ، ولست أسومه أن يقول
(استغفر لنا ذنوبنا انا كننا خاطئين) ولكن أسأله أن يقول (لا تثريب عليكم
اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) فحين ورد الجواب وعين العذر رمية
تركناه بعره ، وطويناه على غره ، وعمدنا الى ذكره فسحونا ، ومن صحيفتنا
مخونا ، وصرنا الى اسمه فأخذناه ونبدناه ، وتنكبنا خطته ، وتجنبنا خطته ،
فلا طرنا اليه ، ولا طرنا به ، ومضى على ذلك الاسبوع ، ودبت الأيام ، ودرجت
الليالي ، وتطاوت المدة ، وتصرم الشهر ، وصرنا لا نعيير الاسماع ذكره ، ولا
نودع الصدور حديثه ، وجعل هذا الفاضل يستزيد ، ويستعيد ، بألفاظ تقطعها
الاسماع من لسانه ، وتؤديها الى ، وكلمات تحفظها الألسنة من فمه ، وتعيدها على
فكاتبنا بما هذه نسخته : أنا أرد من الاستاذ سيدي أطل الله بقاه شرعة وده
وان لم تصف ، وألبس خلعة بره وان لم تصف ، وقصارى أن أكيله صاعا عن
مد ، فاني وان كنت في الأدب ، دعى النسب ، ضيق المضطرب ، سيئ المنقلب
أمت الى عشرة أهله بنية ، وأنزع الى خدمة أصحابه بطريقة ، ولكن بقي أن
يكون الخليط منصفا في الوداد ، اذا زرت زار ، وان عدت عاد ، وسيدي أبقاه
الله ناقشني في القبول أولا ، وصارمني في الاقبال آخرا ، فأما حديث الاستقبال
وأمر الانزال والانزال^(١) ، فنطاق الطمع ضيق عنه ، غير متسع لتوقعه منه ، وبعد
فكلفة الفضل بينة ، وفروض الود متعينة ، وأرض العشرة لينة ، وطرقها
هينة ، فلم اختار قعود التعالي مركبا ، وصعود التعالي مذهبا ، وهلا زاد الطير عن
شجر العشرة ، وذاق الحلو من ثمرها ، فقد علم الله شوفي اليه قد قد الفؤاد برحا
الى برج ، ونكاه قرحا الى قرح ، ولكنها مرة مرة ، ونفس حرة ، لم تقد إلا
بالاعظام ، ولم تلق الا بالجلال والا كرام ، واذا استعفاني من معاتبته ، فأعفي نفسه

(١) الأتزال : جمع نزل وهو ما يقدم للضيف

من كُلف الفضل يتجشمها ، فليس الا غصص الشوق أتجرعها ، وحلل الصبر
أندرّعها ، ولم أعْرِه من نفسي ، وأنا لو أعرت جناحي طائر لما طرت الا اليه ،
ولا وقعت الا عليه

أحبك يا شمس النهار وبدره * وان لامني فيك السهي والفرقد
وذاك لان الفضل عندك باهر * وليس لأن العيش عندك بارد

فلما وردت عليه الرقة حشد تلاميذه وخدمه ، وجشم للايجاب قدمه ، وطلع
علينا مع الفجر طلوعه ، ونظمت حاشيتنا دار الامير أبي الطيب ، فقلنا الآن
تشرق الحشمة وتنور ، ونوجد في العشرة ونغور ، وقصدناه ساكرين لما أناه ،
وانتظرنا عادة بره ، وتوقعنا مادة فضله ، فكان خلبا شمناه ، وآلا وردناه ،^(١)
وصرفنا الأمر في تأخره ، وتأخرنا عنه ، الى ما قاله ابن المعتز

إنّا على البعاد والتفرق * نلتقي بالذكر ان لم نلتق
وأنشدنا قول ابن عسرى

أحبك في البتول وفي أيها * ولكني أحبك من بعيد

وبقينا نلتقي خيالا ، ونقع بالذكر وصالا ، حتى جعلت عواصفه تهب ،
وعقاربه تدب

والجلس طويل جداً (قلت) ان كنت خرجت لطول هذا الكلام عن ضبط
الشرط ، فلعلي أسامح فيه لفضله ، وعدم مثله ، وهو وان كان في باب الاتصال ،
فهو بتقدير الانفصال ، لقيام كل رسالة بذاتها ، وانفرادها بصفاتها (وكتب الى
رئيس هراة عدنان بن محمد يصف ماجرى بينه وبين الخوارزمي) ما ألوم هذا
الفاضل على بساط شرطواه ، وموقد حرب اجتواه ، ولكني ألومه على مانواه ، ثم
لم يتبع هواه ، ورامه ، ثم لم يبلغ آثامه ، وأقول قد ضرب فأين الايجاع ، وأندر
فأين الايقاع ، وهذه بوارقه ، فأين صواقعه ، وذلك وعيده ، فأين عديده ،
وتلك بنوده ، فأين جنوده ، وأنشد

(هذى معاهده فأين عهوده)

وما أهول رعدة ، لو أمطر بعده ! اللهم لا كفران ، ولعن الله الشيطان ، فانه
أشفق لغريب أن يظهر عواره ، وان طار طواره ^(١) ، وان كان قصد هذا القصد
فقد أساء الى نفسه من حيث أحسن الى ، وأجحف بفضله من حيث أبقى على ،
وأوهم الناس أنه هاب البحر أن يخوضه ، والأسد أن يروضه ، وشجعني على
لقائه ، بعد ما برعني بإيمائه ، فبينما كنت أنشد * إن جنبي على الفراش لناب *
اذ أنشدت * طاب ليلى وطاب فيه شرابي * وبينما أنا أقول * مالم قلبي كأنه ليس
مني * إذ قلت * أين من كان موعداً لي بآني * فلو أن هذا الفاضل قضى حقنا
بالزيارة عند قدومنا أو الاستزارة ، لكان في الضرب أحسن ، وفي طريق المعاشرة
أذهب . لا ولكنه واعد بالمباراة أولاً ، وهددنا بالمسائل ثانياً ، وأخلف بالتخلف
ثالثاً ، فأبلغ وجدى اليه ، واعرض شوقي عليه ، وقل له ان كنت ندمت على
النضال ، فلا تندم على الإفضال ، فان طويتنا حيث الجهاد ، فانشرنا حيث الوداد ،
وان لم تلقنا في باب المكاشرة ، فأتنا من باب المعاشرة

خطاب البديع الى سهل بن محمد

(وله الى الامام أبي الطيب سهل بن محمد) قد كان الشيخ يعدني عن هذه
الحضرة عدات أشم لها الأنف ، لا ذهاباً بتلك الفواضل عنها ، لكن استحالة
من هذا الزمان أن يوجد بها ، فحين أشرفت على الحضرة ماجت الى أمواج
الشرف منها ، وخلص الى نسيم الكرم عنها ، وأتحفتني على رسم الاجلال بركوب
شامخ ، ومركب ذهب سابغ ، وجنيب شرف زائد ، وسرت بحمد الله محفوفاً
بأعيان الكتاب ، وعميون الرجال ، حتى شافهت بساط العز ، مستقبلاً ملك الشرق
أدام الله علوه ، فنجذب ضبعي عن أرض الخدمة ، الى جوار ولي النعمة ، حرس الله
مكانه ، فاهتز اهتزازات سمة الاكرام ، وتجاوز اسم الاعظام الى القيام ،

(١) الطوار بالفتح الحوم حول الشيء

قبلت من يمينه مفتاح الارزاق ، وفتح الآفاق ، ولحقت منه ثقاب العقاب ،
 وخاطبني بمخاطبات نشدت بها ضالة الكرام ، وهلم جرا الى ما تبعها من جميل
 الأنزال ، وسنى الاجزال ، وطرات من الشيخ العميد على شخص يسعه الخاتم ،
 ولا يسعه العالم ، ويهتز عند المكارم كالغصن ، ويثبت عند الشدائد كالركن ،
 وسلطان يحلم حلم السيف مغمدا ، ويفضض مجرداً ، فهو عند الكرم لين كصفحته ،
 وعند السياسة خشن كشفرته ، وملك يأتي الكرم نية ، والفضل سجية ، ويفعل
 الشر كلفة أو خطية ، فهو ضرورى لأنه نفوع بذاته . عطار دقلقه ودواته ،
 والمرخ سيفه وقنانه ، عيبه لا عيب فيه ، فيصرف عين الكمال عن معاليه ،
 وصادفت من الشيخ الموفق أيده الله ملكاً يشاهد عياناً ، وجبلاً قد سمى انساناً ،
 وحسناً قد ملئ احساناً ، وأسداً قد لقب سلطاناً ، وبجراً قد أمسك عناناً ، وخططت
 رحلى بفناء الأمير الفاضل أبى جعفر أدام الله عزه فوجدت حكى فى ماله أنفذ
 من حكمه ، وقسمى من غناد أوفر من قسمه ، واسمى فى ذات يده مقدماً على اسمه ،
 ويذى الى خزائنه أسرع من يده ، وان قصدت أن أفرد لكل مدحاً ، وأعبر
 الجملة شرحاً ، أطلت ، فهلم جرا الى ما افتتحت الكتاب لأجله ، وورد للخوارزمى
 كتاب يتقلب فيه على جنب الخرد ، ويتقل على جمر الضجر ، ويتأوه من خمار
 الخجل ، ويتعثر فى أذيال الكلال ، ويدكر أن الخاصة قد علمت لأينا كان الفلج
 فقلت است البائن أعلم ، والخوارزمى أعرف ، والاخبار المتظاهرة أصدق ،
 وحلبة السباق أحكم ، وما مضى بيننا أشهد ، والعود إن نشط أحمد ، ومتى استزاد
 زدنا ، وان عادت العقرب عدنا ، وله عندي اذا ما شاء ، كل ما ساء
 وهى طويلة فيها هنات صنت الكتاب عنها ، وقد أعاد البديع معنى قوله
 فى صدر حكايته مع الخوارزمى فقال فى رقعة كتبها الى أبى سعيد الاسماعيلي وقد
 وقفت به الضرورة على تلك الصورة من سلب العرب ماله :

كتابہ الی أبی سعید الاسماعیلی

کتابی بل رقتی اُطال اللہ بقاء الشیخ ، وقد بکرت علی مغیرة الأعراب ،
کمالہل ، وریعة بن مکدم ، وعتیبة بن الحارث بن هشام ، وأنا أحمد اللہ الی
الشیخ الفاضل ، وأذم الدهر ، فما ترک لی من فضة الا فضها ، ولا ذهب الا ذهب
به ، ولا علق الا علقه ، ولا عقار الا عقره ، ولا ضیعة الا أضاعها ، ولا مال
الا مال الیه ، ولا سبد الا استبد به ، ولا لبد الا لبد فیه ، ولا بزة الا بزها ،
ولا عاریة الا ارجعها ، ولا ودیعة الا انتزعها ، ولا خلیة الا خلعها ، وأنا داخل
نیسابور ولا حلیة الا الجلدة ، ولا بُرد الا القشرة ، واللہ ولی الخلف ، یعجلہ ،
والفرج یسهلہ ، وهو حسبی ونعم الوکیل

ولیس البدیع بأبی عذرة هذا الخطاب وستری نظیر هذا المعنی فی هذا الكتاب

المقامة الفزارية

❦ ومن انشائه فی مقامات أبی الفتح الاسکندری ❦ قال جدثی عیسی بن
هشام قال : کنت فی بعض بلاد بنی فزارة مرتحلاً نجیبة ، وقائداً جنیبة ، یسبحان
سبحا ، وأنا أهم بالوطن : فلا اللیل یتنینی بوعیدد ، ولا البعد یدنینی ببیده ، وظللت
أخبط وورق النهار ، بعصا التسیار ، وأخوض بطن اللیل ، بحوافر الخیل ، فبینما أنا
فی لیلۃ یضل بها الغطاط^(١) ، ولا یبصر بها الوطواط ، أسبح ولا ساج الا السبع ، ولا
بارح الا الضبع ، إذ عنّ لی راكب تام الآلات ، یطوی منشور الفلوات ، فأخذنی
منه ما یأخذ الأعزل من شاکی السلاح ، لکنی تجلّدت فقلت أرضک لا أمّ لک !
فدونک شرط الحداد ، وخرط القتاد ، وخصم ضخم وحمیة أزدیة ، وأنا سلم ان
شئت وحرب ان أردت ، فقل من أنت ، قال ساما أصبت ، وخیرا أجت ، قلت فمن
أنت ؟ قال نصیح ان شاورت ، فصیح ان حاورت ، ودون اسمی لثام ، لا یعطه الاعلام .
قلت فما الطعمة ؟ قال أجوب جیوب البلاد ، حتی أقع علی جفنة جواد ، ولی فؤاد یخدمه

(١) الغطاط بالفتح هو القطا

لسان ، وبيان يرقه بنان ، وقصاراي كريم ينفض الى حقييته ، ويخفف لي جنيته ،
 كابن حرة طلع الى الأمس ، طلوع الشمس وغرب غنى بغروبها ، لكنه غاب ولم
 يغب تذكاره ، وودع وشيعتي آثاره ، ولا ينبئك عنها ، أقرب منها ، وأوما الى
 ما كان يلبسه ، فقلت شحاذ ورب الكعبة أخاذ له في الصنعة نفاذ ، بل هو فيها
 أستاذ ، ولا بد أن ترشح له وتسح عليه ، وقلت له يا فتى قد أجليت عبارتك فأين
 شعرك من كلامك ؟ فقال وأين كلامي من شعري ! ثم استمد غريزته ورفع عقيرته
 بصوت ملاً الوادى وأنشأ يقول

وأروع أهداء لي الليل والفلا * وخمس تمس الارض لكن كلاولا
 عرضت على نار المكارم عوده * فكان معماً في السوابق مخولا
 وخادعته عن ماله فخدعته * وساهلته في بره فتسهلا
 ولما تجالينا وأحمد منطقي * بلاني في نظم القريض بما بلا
 فما هز الا صارما حين هزني * ولم يلتقي الا الى السبق أولا
 فلم أره الا أغر محجبا * وما تحته الا أغر محجلا

فقلت : على رسلك يا فتى ، ولك مما يصحبنى حكماً . فقال الجنيبة ، قلت : ان ، وما
 عليها . ثم قبضت بجمعي عليه ، وقلت لا والله الذي ألهيها لمسا ، وشقهها من واحدة
 خمسا ، لا تزايلنا أو نعلم علمك ، فحذر لثامه عن وجهه فاذا والله شيخنا أبو الفتح
 الاسكندري فما لبثت ان قلت

توشحت أبا الفتح * بهذا السيف مختالا
 وما تصنع بالسيف * اذا لم تك قتالا

كلكم لآدم !

وعلى ذكر قوله إن وما عليها قال أبو عبيدة : وفد عبد الله بن الزبير الأسدي
 على عبد الله بن الزبير بن العوام فقال يا أمير المؤمنين ان بيني وبينك رحما من
 قبل فلانة الكاهلية : هي أختنا ، وقد ولدتكم ، وأنا ابن فلان ، ففلانة عمتي ، فقال

ابن الزبير هذا كما ذكرت ، وان فكرت في هذا أصبت ، الناس كلهم يرجعون الى أب واحد ، وأم واحدة ، فقال يا أمير المؤمنين ان نفقتي قد ذهبت ، قال ما كنت ضمننت لأهلك انها تكفيك الى أن ترجع اليهم ، قال يا أمير المؤمنين ان ناقتي قد نقت ودبرت ، فقال له أنجد بها يبرد خفها ، وارفعها بسبت ، واخصفها بهلب ، وسر عليها البريدين ، قال يا أمير المؤمنين انما جئتكم مستحملا ، ولم آتكم مستوصفا ، لعن الله ناقة حملتني اليك ، قال ابن الزبير : ان ورا كبتها ! نخرج وهو يقول

أرى الحاجات عند أبي خبيب * نكدن ولا أمية في البلاد
من الأعياص أو من آل حرب * أغر كغرة الفرس الجواد
ومالي حين أقطع ذات عرق * الى ابن الكاهلية من مفاد
وقلت لصحبتى أدنوا ركابى * أفارق بطن مكة في سواد
فبلغ شعره هذا عبد الله بن الزبير فقال لو علم ان لى أما أحسن من عمته
الكاهلية لنسبني اليها ، وكان ابن الزبير يكنى أبا بكر وأبا خبيب

فرس ابن الزيات

قال الصولى أخذ المعتصم من محمد بن عبد الملك الزيات فرسا أشهب أحمر ، كان عنده مكينا ، وكان به ضنينا ، فقال يرثيه
قالوا جزعت فقلت إن مصيبة * جلت رزيتها وضاق المذهب
قال أبو بكر هكندا أشدني ابن المعتز على أن ان بمعنى نعم وأشد النحويون
قالوا كبرت فقلت إن وربما * ذكر الكبير شبابه فتطربا
كيف العزاء وقد مضى لسبيله * عنا فودعنا الأحم الأشهب
دبّ الوشاة فباعدوه وربما * بعد الفتى وهو الحبيب الأقرب
لله يوم غدوت فيه ظاعنا * وسلبت قربك أى علق أسلب
نفسى مقسمة أقام فريقها * ومضى لطيته فريق يُجنب

الآن إذ كملت أدائك كلها * ودعا العيون اليك حسن معجب
 وغدوت طنان اللجام كأنما * في كل عضو منك صنّج يُضرب
 وكأن سرجك إذ علاك غمامة * وكأنما تحت الغمامة كوكب
 أنساك ؟ لا زالت اذاً منسية * نفسى ولا برحت بمثلك تنكب
 أضمرت منك اليأس حين رأيتنى * وقوى حبالى من حبالك تُقضب
 يا صاحبيّ لمثل ذا من أمره * صاحب الفتى في دهره من يصحب
 إن تسعدا فصنيعة مشكورة * أو تحذلا فصنيعة لا تذهب
 عوجا فقولاً مرحباً وتزودا * نظراً وقلّ لمن تحب المرحب
 منع الرقاد جوى تضمّنه الحشى * مما أكابده وهم منصب

مساوى المزاح

قال الحجاج بن يوسف لابن القرية : ما زالت الحكماء تكره المزاح ، وتنهى عنه ، فقال : المزاح من أدنى منزلته الى أقصاها عشرة أبواب : المزاح أوله فرح ، وآخره ترح ، المزاح نقائص السفهاء كالشعر نقائص الشعراء ، والمزاح يوغر صدر الصديق ، وينفر الرفيق ، والمزاح يبدي السرائر ، لأنه يظهر المعابر ، والمزاح يسقط المروءة ، ويبدي الخفى ، لم يجزّ المزح خيراً ، وكثيراً ما جرّ شراً ، الغالب بالمزاح واطر ، والمغلوب به نائر ، والمزاح يجلب الشتم صغيره ، والحرب كبيره ، وليس بعد الحرب الا عفو بعد قدرة * فقال الحجاج حسبك ، الموت خير من عفو معه قدرة — وذكر المزاح بحضرة خالد بن صفوان فقال : يُنشق أحدكم أخاه مثل الخردل ، ويُفرغ عليه مثل الرجل . ويرميه بمثل الجندل ، ثم يقول انما كنت أمزح ! أخذ هذا المعنى محمود بن الحسين الوراق فقال

تلقى الفتى يلقي أخاه وخدنه * فى لحن منطقته بما لا يُغفر
 ويقول كنت مماًزحاً وملاًعباً * هيهات نارك فى الحشى تتسعر

أو ما علمت وكان جهلك غالباً * أن المزاح هو السباب الأصغر
(فقر في هذا النحو لأهل العصر وغيرهم) المزاح تذهب بالمهابة ، وتورث
الضعينة ، الافراط في المزاح مجون ، والاقتصاد فيه ظرف ، والتقصير عنه ندامة .
أوكد أسباب القطيعة المراء والمزاح (ابن المعتز) من كثر مزاحه لم يخل من
استخفاف به أو حقد عليه (قال أيوب بن القرية) الناس ثلاثة : عاقل ، وأحمق ،
وفاجر ، فالعاقل الدين شريعته ، والحلم طبيعته ، والرأى الحسن سجيته ، إن سئل
أجاب ، وإن نطق أصاب ، وإن سمع العلم وعاد ، وإن حدث روى . وأما الأحمق
فإن تكلم عجل ، وإن حدث وهل ، وإن استنزل عن رأيه نزل ، فإن حمل على
القبیح حمل ، وأما الفاجر فإن ائتمنته خانك ، وإن حدثته شانك ، وإن وثقت به
لم يرعك ، وإن استكتم لم يكنم ، وإن تعلّم لم يعلم ، وإن حدث لم يفهم ، وإن فقه
لم يفقه

زجر الطير

قال أبو حية النميري

جرى يوم رحنا عامرين لأرضنا * سنيحٌ فقال القوم مرّ سنيحُ
فهاب رجال منهم فتعيقوا * فقلت لهم جارٌّ إلى ربيعُ
عقابٌ بأعقاب من الدار بعد ما * نأت نأيةً بالظاعنين طريحُ
وقالوا حمامات فحمّ لقاؤها * وطلّح فنيلت والمطى طليحُ
وقال صحابي هدهدٌ فوق بانه * هدى وبيانٌ بالنجاح يلوحُ
وقالوا دمّ دامت موائق بيننا * ودام لنا حلو الصفاء صريحُ
لعيّناك يوم الدين أسرعوا كفاً * من الفنّ الممطور وهو مروّحُ
ونسوة شحشاحٍ غيورٍ يخفنه * أخي ثقةً يلتهن وهو مشيحُ
يقلن وما يدرين أنى سمعته * وهنّ أبواب الخيام جنوحُ
أهذا الذي غنى بسمراء مؤهناً * أتاح له حسن الغناء مُمّيحُ

إذا ماتغى أن من بعد زفرة * كما أن من حرّ السلاح جريح
وقائلة يادهم ويحك إنه * على ما به من عنّة لمليح
فلو أن قولاً يجرح الجلد قد بدا * بجلدى من قول الوشاة قروح
وهذا من غريب الزجر مليح التفاؤل . قال أبو العباس محمد بن يزيد أنشدنى
اعرابى فى قصيدة ذى الرمة التى أولها

ألا يا اسلمى يادارمى على البلى * ولا زال منها لآبجر عائك القطر
يتين لم يروها الرواة فى ديوانه وهما
رأيت غراباً ساقطاً فوق قضبة * من القُضْب لم ينبت لها ورقٌ خضر
فقلت غراب لا غتراب وقضبة * لقضب النوى هذى العيافة والزجر
وقال آخر

دعا صرّد يوماً على غصن بانه * وصاح بذات البين منها غرابها
فقلت أنصريد وشحطٌ وغربة * فهذا لعمرى نأياها واغترابها

النهى عن الطيرة

وقد أكرت العرب من ذكر الطيرة والزجر وكانت تقتدى بذلك وتجربى
على حكمه حتى ورد النهى فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لا عدوى
ولا طيرة . وقد قال الاول

لعمرك ما تدرى الضوارب بالخصى * ولا زاجرات الطير ما الله صانع
وقال ضائبى بن الحارث البرجمى :

وما عاجلات الطير تدرى من الفتى * نجاحاً ولا عن ريثمن نجيب
ولا خير فيمن لا يوطن نفسه * على نائبات الدهر حين تنوب
وربّ أمور لا تضيرك ضيرة * وللقلب من مخشاهن وجيب
وقال الكميّ بن زيد الأسدى

ولا أنا ممن يزجر الطير همّه * أصاح غراب أم تعرض ثعلب

ولا السانحات البارحات عشية * أمر سليم القرن أم مر أعضب
وقال شاعر قديم

لا يمنعك من بعا * الخير تعقاد التمام
ولا التشاؤم بالعطا * س ولا التيامن بالمقاسم
فلقد غدوت وكنت لا * أغدو على واق وحام
فاذا الاشائم كالايا * من والايامن كالأشائم
وكذاك لا خير ولا * شر على أحد بدائم
قد خط ذلك في الزبو * ر الأوليات القدام

ولقد أحسن ابن كناسة في رثاء ولده يحيى أنشده أبو العباس ثعلب
تيممت فيه الفال حتى أرزئته * ولم أدر أن الفال فيه يفيل
فسميته يحيى ليحيا فلم يكن * الى رد أمر الله فيه سبيل

جنازة عزة

وروى المدائني قال خرج كثير من الحجاز يريد مصر فلما قرب منها نزل
بمنزل فاذا هو بغراب على شجرة بان ينتف ريشه وينعب ، فأسرع الرحيل ،
ومضى لوجهه ، فلقيه رجل من بني نهد فقال يا أخا الحجاز مالي أراك كاسف اللون ،
قال ما علمت الا خيراً ، قال فهل رأيت في ظريقك شيئاً أنكرته ، قال لا والله
الا في منزلي هذا فاني رأيت غراباً ينتف ريشه على بانه وينعب ، قال أما انك
تطلب حاجة لا تدركها ، فقدم مصر والناس منصرفون من جنازة عزة ، فقال
رأيت غراباً ساقطاً فوق بانه * ينتف أعلى ريشه ويطيأه
فقلت ولو أني أشاء زجرته * بنفسى للنهدي هل أنت زاجره
فقال غراب لا غتراب من النوى * وفي البانين من حبيب تجاوره
فما أعيف النهدي لأدر دره * وأزجره للطير لا عز ناصره
ثم أتى قبر عزة فاناخ به ساعة ثم رحل وهو يقول

أقول ونضوى واقف عند رأسها * عليك سلام الله والعين تسفح
فهذا فراق الحق لأن تُزيرني * بلادك فتلاه الذراعين صيدح
وقد كنت أبكي من فراقك حية * وأنت لعمري اليوم أنأى وأنزح

الذنب للمطايا

وقال جرير

بان الخليط برامتين فودّعوا * أو كلما نعبوا لبين تجزع
ان السوانح بالضحى هيّجنى * فى دار زينب والحمام الوقّع
وقال عوف الراهب خلاف هذا
غلط الذين رأيتهم بجهالة * يلحون كلهم غراباً ينقع
ما الذنب إلا للاباعر انها * ممايشت جميعهم ويفرق
ان الغراب ييمنه تدنو النوى * وتشت الشمل الجميع الأينق

وقد تبعه فى هذا المذهب أبو الشيص فقال

ما فرق الاحباب به * د الله الا الايل
والناس يلحون غرا * ب البين لما جهلوا
وما على ظهر غرا * ب البين تطوى الرّحل
ولا اذا صاح غرا * ب فى الديار احتملوا
وما غراب البين الا * ناقة أو جمل

وما أملح ما قال القائل

زعموا بأن مطيهم عون النوى * والمؤذّنات بفرقة الاحباب
ولو انها حتفى لما أبغضتها * ولها بهم سبب من الاسباب

تطير ابن الرومي

وكان على بن العباس الرومي مفرط الطيرة ، شديد الغلو فيها . قال على بن عبد الله بن المسيب : وكان يحتج لها ويقول ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب الفأل ، ويكره الطيرة ، أفتراه كان يتفاعل بالشئ ، ولا يتطير من ضده ؟ ويقول ان النبي صلى الله عليه وسلم مرّ برجل وهو يرحد ناقة ويقول ياملعونة ، فقال لا يصحبنا ملعون ، وان عليا رضى الله عنه كان لا يغزو غزاة والقمر في القرب ، ويزعم ان الطيرة موجودة في الطباع ، قائمة فيها ، وان بعض الناس هي في طباعهم أظهر منها في بعض ، وان الأكثر في الناس اذا لقي ما يكرهه قال : على وجه من أصبحت اليوم . فدخل علينا يوم مهرجان سنة ثمان وسبعين وقد أهدى الى عدة من جوارى القيان ، وكانت فيهن صبية حواء ، وعجوز في إحدى عينها نكتة ، فتطير من ذلك ، ولم يظهر لى أمره ، وأقام باقى يومه ، فلما كان بعد مدة يسيرة سقطت ابنة لى من بعض السطوح ، وجفاه القاسم بن عبيد الله فجعل سبب ذلك المعنيين الغنيتين ، وكتب الى

أيها المتهجى بحولٍ وعُورٍ * أين كانت منك الوجوه الحسان
قد لعمري ركبت أمرا مهينا * ساءنى فيك أيها الخُلصانُ
فَتَحَكَّ المهرجان بالحوْل والعُو * رِ أَرانا ما أعقب المهرجانُ
كان من ذاك فقدك ابنتك الحر * ة مصبوغة بها الا كفانُ
وتجافى مؤمِّل لى جليلٍ * لَجَّ فيه الجفاء والهجران
وعزیز علىَّ تقريع خلٍ * لا يدانيه عندى اخلانُ
غير انى رأيت إذ كاره الحز * موأشعاره شعاراً يُصانُ
لأَهاوُنْ بطيرة أيها النظا * ر واعلم بأنها مُعنوان
قف إذا طيرة تلقنك وانظر * واستمع ثم ما يقول الزمان

فلما غاب من أمورك عنوا * ن ميين وللزمان لسان
لا تمكن بالهوى تكذب بالاخبا * ر حتى تهين مالا يهان
لا يقدر الهوى الى نصره الاخبا * ر حتى يقدم البرهان
ان عقي الهوى هو عقي وعقي * طول تلك المهونات هوان
لا تصدق عن النبيين الا * بحديث يلوح فيه البيان
خبر الله ان مشامة كا * نت لقوم وخبر القرآن
أفزور الحديث تقبل أم ما * قله ذو الجلال والفرقان
أترى من يرى البشير بشيرا * يترى في النذير يوسنان
فدع الهزل والتضحك بالطيرة والنصح مضمن مجان
وقد فرق حذاق أهل النظر في المقال ، بين الطيرة والقال ، فقالوا : الطيرة
كانت العرب ترجع الى ماتمضيها ، وتجري على تقضيها ، وكان الذي يهيم بهم اذا
مارأى ما يتطير منه رجع عنه ، وفي ذلك ما يصرف عن الاحالة على المقادير
الجارية بيد ممضيها ، النازلة على حكم قاضيها ، والقال لا يرد المرید عما يريد
انما يقوى منته ، ويسر مهجته ، وليس هذا موضع تطويل ، في ايراد الدليل

عتابه لابن عبید الله

وفي جفاء القاسم بن عبید الله إياه يقول معانبا
ألم اترني أقرضتك الود طائعا * ولم تر قبلي معسراً قط أقرضا
لعمري لقد صوّرت أبيض مشرقاً * فلم لا تريني وجه نعلك أبيضاً
فيا ويح مولاك استغاث بمشرب * فاشرف فاستشفي شفاء فأقرضا (١)
ولولا اعتقادي أنك الخير كله * لأزمت توديعاً قضى الله ما قضا
واني وان دارت عليّ دوائر * لأعرض عن صدّ عني وأعرضا

(١) أقرض : شرب من الفرضة وهي المشرع

وما زلت عرّافاً إذا الزاد رابى * بنخبثٍ وعيافاً إذا الماء عرمضا^(١)
وهذا البيت كقول الآخر
وانى الماء المحالط للقذى * إذا كثرت وُرّاده لعُيُوفُ

تعازيه فى البنات

وفى ابنة المسيبى يقول ابن الرومى
٩ اخا ثقى أعزز علىّ بنسكبة * منك بها صرف القضاء المقدّر
أصبت وما للهرء من حكم ربه * محيدٌ وأمر الله أعلى وأقهر
وقد مات من لا يخلف الدهر مثله * عليك من الأسلاف والحق يبهر
تعزيت عمن أثمرتك حياته * وشك التعزى عن ثمارك أجدر
لأن اختيال الدهر فى ابن وفى ابنة * يسيرٌ وكرُّ الدهر شيخيك أعسر
تعذر أن نعتاض من أمهاتنا * وآبائنا والنسل لا يتعذر
فلا تهلكن حزنًا على ابنة جنة * مضت وهى عند الله تحيا وتُحبر
لعلّ الذى أعطاك ستر حياتها * كساها من اللحد الذى هو أستر
فكم من أخى حرية قد رأيتُهُ * بنار ذوى الاصهار يكوى ويصهر
فلا تتمم لله فيها ولاية * ولا نظراً فالله للعبد أنظر
وأنت وان أبصرت رشك مرة * فذو النظر الاعلى برشدك أبصر

ومن مליح تعازيه عن أبيه قوله لعل بن يحيى المنجم
لا تبعدن كريمة أودعتها * صهراً من الاصهار لا يخزيكا
إني لأرجو أن يكون صداقها * من جنة الفردوس ما يرضيك
لا تياسن لها فقد زوجتها * كفؤاً وضمنت الصداق مليكا

خير الاصهار

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر
لكل أبي بنت يرجى بقاؤها * ثلاثة اصهار اذا ذكر الصهر
فبيت يغطيها وبعل يصونها * وقبر يوارىها وخيرهما القبر
وقال عقيل بن علقمة وكان أغير العرب
إني وإن سيق إلى المهر * ألف وعبدان وذو دة عشر
أحب أصهارى إلى القبر

الغبة في موت البنات

ومنه أخذ عبيد الله قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد دخل علينا ابن
خلف البهراني فأنشدنا

لولا أميمة لم أجزع من العدم * ولم أجب في الليالي حنيس الظلم
وزادني رغبة في العيش معرقى * أن اليتيمة يحفوها ذوو الرحم
أحاذر الفقر يوما أن يلم بها * فيهلك السر عن لحم على وضم
تهوى حياتي وأهوى موتها شققا * والموت أكرم نزال على الحرم
وكانت أميمة بنت أختها وكان قد تبناها ثم غابت غيبة فسألناه عنها فأنشد
أمت أميمة مغمورا بها الرجم * لدى صعيد عليه التراب مرتكم
ياشقة النفس ان النفس والهة * حرى عليك ودمع العين منسجم
قد كنت أخشى عليها أن يؤخرها * عن الحمام فيميدى وجهها العدم
فالآن نمت فلا هم يورقى * تهد العيون اذا ما أودت الحرم
فالآن نمت فلا هم يورقى * بعد الهدوء ولا وجد ولا حلم
لموت عندي أباد لست أنكرها * أحيا سرورا وبى مما أتى ألم

ابن الرومي والاختفش

عاد ذكر ابن الرومي وكان أبو الحسن علي بن سليمان الاختفش غلام أبي العباس المبرد في عصر ابن الرومي شابا مترفا ، ومليحاً مستظرفاً ، وكان يعيث به ، فيأتيه بسحر فيقرع الباب ، فيقال له من ؟ فيقول قولوا لأبي الحسن مرة بن حنظلة ، فيطير لقوله ، ويقم الايام لا يخرج من داره ، وذلك كان سبب هجائه اياه فمن أول معاتبه به

- قولوا لنحوينا أبي حسن * إن حسامي متى ضربت مضاً
وان نبلى اذا هممت بأن * أرمى نصلتها بجمر غضاً
لا تحسبن الهجاء يحفل بالرف * مع ولا خفض خافض خفضاً
ولا تحلّ عودتي كباديتي * سأسعط السهم من أبي الحضضاً
أعرف في الاشقياء بي رجلاً * لا ينتهي أو يصير لي غرضاً
يليح لي صفحة السلامة والسلم ويخفي في قلبه مرضاً
أضحى مغيطاً على أن غضب الله عليه ونلت منه رضا
وليس تجدى عليه موعظتي * إن قدر الله حينه وقضاً
كأنني بالشقي معتدراً * اذا القوافي أذقنه المضضاً
- ينشدني العهد يوم ذلك ولعم * مدخضاب أذاله فنضاً
لا يأمنن السفينه بادرتي * فاني عارض لمن عرضاً
عندي له السوط ان تلوم في السير وعندي اللجام ان ركضاً
أسمعت إنباضتي أباحسن * والصفح لاشك نصيح من محضاً
وهو معافى من السهاد فلا * يحمل فيمسي فراشه قرضاً
- أقسمت بالله لا غفرت له * إن واحد من عروقه نبضاً

فاعتذر اليه ، وتشفع عنده بجماعة من أهل بغداد ، وكان الاختفش أكثر الناس اخواناً فقبل عذره ، ومدحه بقصيدته التي يقول فيها

ذُكر الأخفش القديم فقلنا * إن للأخفش الحديث لفضلا
 وإذا ما حكمت والروم قومي * في كلام مُعَرَّب كنتُ عذلا
 أنا بين الخصوم فيه غريبٌ * لأرى الزُّور للمحابة أهلا
 ومتى قلت باطلا لم ألقب * فيلسوفا ولم أسمَّ هرِّقلا

الأخفش القديم هو أبو الخطاب ، وكان أحد استاذي سيبويه ، وهو من
 المتقدمين في النحو ، ويعرف بالأخفش الكبير ، وكان في عصر سيبويه أبو الحسن
 سعيد بن مسعدة ، وهو الأخفش الصغير ، وهو الذي قال : كان سيبويه يعرض
 ما وضع من النحو على ، ويرى أني أعلم منه ، وكان في وقته ذلك أعلم مني
 ثم عاد على بن سليمان إلى أذاه ، واتصل به أن رجلا عرض عليه قصيدة من
 شعره فطعن عليها ، فقال قصيدته التي يقول فيها

أعتقت عبيدً في القريض معا * عبدة والعجل من بني عبده
 أن أنا لم أرم بالاساءة من * زاع عن القصد أو أبى سدده
 قلت لمن قال لي عرضت على * الأخفش ما قلته فما حمده
 قصرت بالشعر حين تعرضه * على مبين العمى إذا انتقده
 أنشدته منطقي ليشهده * فغاب عنه عَمَى وما شهده
 ما بلغت بي الخطوب رتبة من * تفهم عنه الكلاب والقردة
 ولأنا المفهم البهائم والطير سليمان قاهر المردة
 فإن يقل أني حفظت فكالدو * تر جهلاً بكل ما اعتقده
 سأسمع الناس ذمه أبداً * ماسمع الله حمد من حمده

علقمة بن عبدة

عبدة بن الطيب ، وعلقمة بن عبدة العجل ، وكانا شاعرين مجيدين ، وقال
علقمة بن عبدة لرجل ورأى آخر يعتذر اليه وهو معبس في وجهه : اذا اعتذر اليك
المعتذر فتلقه بوجه مشرق ، وبشر مطلق ، لينبسط المتدال ، ويؤمن المتنصل

طيرة ابن الرومي

ولابن الرومي في الأخفش إفحاش صنت الكتاب عنه . قال علي بن ابراهيم
كاتب مسروق البلخي : كنت بداري جالسا فاذا حجارة سقطت بالقرب مني ،
فبادرت هاربا ، وأمرت الغلام بالصعود الى السطح ، والنظر الى كل ناحية ، من
أين تأتينا الحجارة ، فقال امرأة من دار ابن الرومي الشاعر قد تشوفت ، وقالت
اتقوا الله فينا ، واسقونا جرة من ماء ، والا هلكنا ، فقد مات من عندنا عطشا
فتقدمت الى امرأة عندنا ذات عقل ومعرفة أن تصعد اليها وتخطبها ، ففعلت
وبادرت بالجرة وأتبعها شيئا من الماء كول ، ثم عادت الى فقالت ذكرت المرأة
ان الباب عليها مقفل من ثلاث بسبب طيرة ابن الرومي ، وذلك أنه يلبس ثيابه
كل يوم ، ويتعوذ ثم يصير الى الباب ، والمفتاح معه ، فيضع عينه على ثقب
في خشب الباب ، فتقع عينه على جاره له كان نازلا بازائه ، وكان أحذب يقعد كل
يوم على بابه ، فاذا نظر اليه رجع وخلع ثيابه ، وقال : لا يفتح أحد الباب ، فمعتبت
لحديثها ، وبعثت بخادم كان لى يعرفه ، فأمرته بأن يجلس بازائه ، وكانت العين تميل
اليه ، وتقدمت الى بعض أعوانى أن يدعو الجار الأحذب ، فلما حضر عندي
أرسلت وراء غلامى لينهض الى ابن الرومي ، ويستدعيه الحضور ، فأتى الجالس
ومعى الأحذب إذ وافى أبو حذيفة الطرسوسى ومعه برذعة الموسوس صاحب
المعتضد ، ودخل ابن الرومي فلما تخطى عتبة باب الصحن عثر فاقطع شسع نعله ،

فدخل مذعورا ، وكان اذا فاجأه الناظر رأى منه منظرا يدل على تغير حال ،
فدخل وهو لا يرى جاره المتطير منه ، فقلت له : يا أبا الحسن أ يكون شيء في خروجك
أحسن من مخاطبتك للخادم ، ونظرك الى وجهه الجميل ؟ فقال قد لحقني ما رأيت
من العثرة لأني فكرت أن به عاهة ، وهي قطع أنثيه ، قال برزعة وشيخنا يتطير ؟
قلت نعم ويفرط ، قال ومن هو ؟ قلت على بن العباس . قال الشاعر ؟ قلت نعم
فأقبل عليه وأنشده

ولما رأيت الدهر يؤذن صرفه * بتفريق ما بيني وبين الحباب
رجعت الى نفسي فوطنتها على * ركوب جميل الصبر عند النوائب
ومن صعب الدنيا على جور حكمها * فأيامه محفوفة بالمصائب
نخذ خلسة من كل يوم تعيشه * وكن حذرا من كامنات العواقب
ودع عنك ذكر الفال والزجروا طرح * تطير جار أو تفاؤل صاحب
فبقى ابن الرومي باهتا ينظر اليه ، ولم أدر انه شغل قلبه بحفظ ما أنشده ،
ثم قام أبو حذيفة وبرزعة معه ، فخلف ابن الرومي لا يتطير أبدا من هذا ولا من
غيره ، وأوما الى جاره فقلت وهذا الفكر أيضا من التطير ، فأمسك ، وعجب
من جودة الشعر ومعناه ، وحسن مأثاه ، فقلت له ليتنا كتبناه ! قال اكتبه فقد
حفظته ، وأملأه على

خوفه من ركوب البحر

ومن شدة حذره ، وعظيم تطيره ، قوله لأبي العباس بن ثوبة وقد ندبه
الى الخروج اليه وركوب دجلة

حضضت على حطبي لنارى فلا تدع * لك الخير تحذيري شرور المحاطب
ومن يلق مالا قيت في كل مجتئى * من الشوك يزهد في الثمار الأتاب
أذا قنت الاسفار ما كره الغنى * الى وأغراني برفض المطالب

ومن نكبة لاقيتها بعد نكبة * رهبت اعتساف الارض ذات المناكب
فصبرى على الاقتار أيسر مطلباً * على من التغيرير بعد التجارب
لقيت من البر التباريح بعدما * لقيت من البحر ايضاض الذوائب
سقيت على ربي به ألف مطرة * شعفت لبغضيها بحب المجادب
ولم أبغها بل ساقها لمكيدنى * تلاعب دهر جدّى كالملاعب
أبى أن يغيث الارض حتى إذا رمت * برحلى أتاها بالغيوث السواكب
سقى الارض من أجلى فأضحت ممدلة * تمايل صاحبها تمايل شارب
فلت الى خان مرث بناؤه * تميل غريق الثوب لهفان لاغب
فمازلت فى جوع وخوف ووحشة * وفى سهر يستغرق الليل واصب
يؤرقنى سقف كائن تحته * من الوكف تحت المدجّنات الهواضب
يظل اذا ما الطين أثقل مته * تصرّ نواحيه صرير الجنادب
وكم خان سفر خان فانتقض فوقهم * كما انتقض صقر الدجن فوق الأراب
وما زال ضاحى البر يضرب أهله * بسوطى عذاب جامد بعد ذائب
فان فاته قطرٌ وتلج فانه * رهين بساف تارة وبجاصب
فذاك بلاء البر عندى شاتياً * وكم لى من صيف به ذى مثالب
ألا رب نار بالفضاء اصطليتها * من الصّح بوى لفحها بالحواسب^(١)
فدع عنك ذكر البرّ إني رأيتُهُ * لمن خاف هول البحر شر المهارب
وما زال يبغينى الختوف مواربا * يحوم على قتلى وغير موارب
فطوراً يغادبنى بلص مصلّت * وطوراً يمسينى بورد الشوارب
وأما بلاء البحر عندى فانه * طوانى على روع مع الروح واقب
ولو ناب عقى لم ادع ذكر بعضه * ولكنه من هوله غير ثائب
ولم لا ولو أقيت فيه وصخرة * لوافيت منه القعر أول راسب

ولم أتعلم قط من ذى سباحة * سوى الغوص والمضغوف غير مغالب
 - وأيسر اشفاقى من الماء أنى * أمر به فى الكوز مرّ الجانب
 - وأخشى الردى منه على كل شارب * فكيف بأمنيه على نفس راكب
 أخذه من قول أبى نواس وقد رأى التمساح بمصر أخذ رجلاً
 أضمرت للنيل هجرانا ومقلية * مذ قيل لى انما التمساح فى النيل
 فن رأى النيل رأى العين عن كشب * فما أرى النيل الا فى البراقيل^(١)

رجع

أظل اذا هزته ريج ولاألت * له الشمس أمواجاً طوال الغوارب
 كأنى أرى فيهن فرسان بهمة * يليحون نحوى بالسيوف القواضب^(٢)
 فان قلت لى قد يركب اليم طامياً * ودجلة عند اليم بعض المذانب^(٣)
 فلا عذر فيها لا مرئ هاب مثلها * وفى اللجة الخضراء عذر لهائب
 لدجلة حبّ ليس ليم انها * تراءى بحلم تحته جهل وائب
 تطامن حتى تطمن قلوبنا * وتغضب من مزح الرياح اللواعب
 ولليم انذار بغوص متونه * وما فيه من آذيه المتراب^(٤)
 وهى طويلة وفيما مر كفاية تنبئ عنه وتدل عليه ، ولو مدت أطناب الاختيار
 لتبع هذا النحو من شعره لخرجت عن غرض الكتاب

العيافة والزجر

ومن مليح العيافة والزجر ما رواه الصولى قال : كان لأبى نواس اخوان
 لا يفارقهم ، اجتمعوا يوماً فى موضع أخفوه عنه ، ووجهوا اليه برسول معه ظهر
 قرطاس أبيض ، لم يكتبوا فيه شيئاً ، فخرموه بزير^(٥) ، وختموه بقار ، وتقدموا الى

(١) البراقيل : أوانى الشراب (٢) يليحون : يشيرون (٣) المذانب : القنوات
 (٤) الآذى : الموج (٥) الزير : الوتر

رسولهم ليرمى بالكتاب من وراء الباب ، فلما رآه استعلم خبرهم ، وعلم أنه من فعلهم ، فتعرف موضعهم وآثارهم ، فأتاهم فأنشدهم

وجدت كتابكم لما أتاني * يمر بسائح الطير الجوارى

نظرت إليه مخزوماً بزير * على ظهر ومختوماً بقارٍ

فقلت الزير ملهيةٌ وهو * وملت القار من دون العُقار

وملت الظهر أهيف قرطيا * يحيل العقل منه باحورار^(١)

فهمت اليكم طرباً وشوقاً * فما أخطأت داركم بدار

فكيف تروني وترون وجدى * ألت من افلاسفة الكبار

وقال الطائي :

أنضعضت عبرات عينك أن دعت * ورقاء حين تضعضع الإيظلامُ

لا تشجن لها فان بكاءها * ضحك وان بكاءك استغرامُ

هن الحام وان كسرت عيافة * من حائهن فانهن حمام

أحمد ابن المديبر

وروى يموت ابن المزرع قال كان أحمد بن المديبر اذا مدحه شاعر فلم يرض شعره قال لغلامه امض به الى المسجد الجامع فلا تفارقه حتى يصلى مائة ركعة ، ثم خله ، فتحاماه الشعراء ، الا الأفراد المجيدين ، فجاءه أبو عبد الله الحسين بن عبد السلام المصرى المعروف بالجل ، فاستأذنه فى النشيد فقال قد عرفت الشرط قال نعم وأنشده

أردنا فى أبى حسن مديحا * كما بالمدح ينتجع الولاية

فقلنا أكرم الثقلين طراً * ومن كفاه دجلة والفرات

فقالوا يقبل المدحات لسكن * جوائزه عليهن الصلاة

فقلت لهم وما نفى صلاتي * عيالى إنما الشأن الزكاة

(١) قرطيا : يلبس القرطى وهو لباس رقيق

فيأمر لي بكسر الصاد منها * فتصيح لي الصلاة هي الصلّات
فضحك واستظرفه ، وقال من أين أخذت هذا ، قال من قول أبي تمام الطائي:
هن الحمام فان كسرت عيافة * من حائهن فانهن حمام
فأحسن صلته

أبو الفضل الميكالي

(وقال) الامير أبو الفضل الميكالي لقوم من أهل مرو انخلعوا عن طاعته
يارا كبا أضحي ينجب بعنسه * ليؤم مرو على الطريق المهيع
أبلغ بها قوما أثاروا فتنة * ظلت لها الالكباد رهن تقطع
إذا قدموا ظاهما على سلطانهم * بالغدر والخلع الذميم المفضع
وبجل عقد لوائه واباحة * لجنابه وحرمة المتمنع
أبلغهم أني اتخذت لفعلهم * فالأله في القوم أسوأ موقع
أما اللواء وحله فمخير * عن حل عقد بينهم مستجمع
والخلع يخبران ستخلع عنهم الارواح بالقتل الأشد الأشنع
والعدريني أن تغادر في الوغى * اشلاؤهم لنسوره والأضبع
والفرقتان فشاهد معنهما * بتفرق لجميعهم وتصدع
فقسمعوا لمقاتي وتأهبوا * بدميم بغيكم لشر المصرع
فالله ليس بغافل عن أمركم * حتى تحل بكم عقوبة موجع

عبد الوهاب الثقفي

قال أبو عثمان الجاحظ: سمعت النظام ، وذكر عبد الوهاب الثقفي ، قال :
هو أحلى من أمن بعد خوف ، وبرء بعد سقم ، ومن خصب بعد جيب ، وغنى
بعد فقر ، ومن طاعة المحبوب ، وفرج المسكروب ، ومن الوصال الدائم ،
والشباب الناعم

الجاحظ وابن أبي دؤاد

وكان الجاحظ ماثلاً عن ابن أبي دؤاد الى محمد بن عبد الملك الزيات ، فلما نكب محمد ابن عبد الملك أدخل الجاحظ على ابن أبي دؤاد مقيداً ، فقال له أحمد : والله ما أعلمك الا متناسياً للنعمة ، كفوراً للصنعة ، معدداً للمساوى ، وما فتئ باستصلاحك ، ولكن الأيام لأتصلح منك ، لفساد طويتك ، ورداءة دخيلتك ، وسوء اختيارك ، وتغالب طباعك . فقال الجاحظ : خفف عليك ، أصلحك الله ، فوالله لأن يكون لك الأمر على خير من أن يكون لى عليك ، ولأن أسىء وتحسن ، أحسن فى الأحداث من أن أحسن قسىء ، ولأن تعفو عني على حال قدرتك على ، أجل بك من الانتقام منى . فغفا عنه

عقبة ابن أبي سفيان

قال سعد القصر مولى عقبة بن أبي سفيان : خطب عقبة الناس فى الموسم سنة احدى وأربعين والناس اذ ذاك حديثو عهد بالفتنه فقال : قد وكينا هذا المقام الذى يضاعف فيه للمحسن الأجر ، وللمسىء الوزر ، ونحن على سبيل قصد ، فلا تمدوا الاعناق الى غيرنا ، فانها تقطع دوننا ، فرب متمن أمر احتفه فى أمنيته ، فاقبلوا منا العافية ، ما قبلناها منكم ، وأنا أسأل الله أن يعين كلاً على كل . فناداه اعرابى من ناحية المسجد : أيها الخليفة ، فقال لست به ولم تبعه ، قال يا أخاه ، قال سمعت قفل ، فقال : والله لأن تحسنوا وقد أسأنا خير من أن تسيئوا وقد أحسننا ، فان كان الاحسان منكم فما أولاً كم بآتمامه ، وان كان منا فما أولاً كم بمكافأتنا عليه ، وأنا رجل من بنى عامر بن صعصعة يمت بالعمومة ، ويختص بالخوالة ، كثر عياله ، ووطئه زمانه ، وفيه أجر ، وعنده شكر . فقال له عقبة : أستغفر الله منك ، وأستعين به عليك ، وقد أمرت لك بغناك ، فليت اسراعى اليك ، يقوم بإبطائى عنك !

الجاحظ وابن الزيات

قال الجاحظ تشاغلنا مع الحسن بن وهب أخى سليمان بن وهب بشرب
النبيذ أياماً ، فطلبني محمد بن عبد الملك لمؤانسته ، فأخبر باتصال شغلي مع الحسن
ابن وهب ، فتنكر لي ، وتلوّن عليّ ، فكتبته اليه رقعة نسختها : أعاذك الله
من سوء الغضب ، وعصمك من سرف الهوى ، وصرف ما أعارك من القوة الى
حب الانصاف ، ورجح في قلبك ايثار الأناة ، فقد خفت أيدك الله أن أكون
عندك من المنسويين الى نزق السفهاء ، ومجانبة سبل الحكماء ، وبعد فقد قال
عبد الرحمن بن حسان بن ثابت

وإن امرءاً أمسى وأصبح سالماً * من الناس إلا ما جنى لسعيد

وقال الآخر:

ومن دعا الناس الى ذمه * ذموه بالحق وبالباطل
فان كنت اجتبرأت عليك ، أصلحك الله ، فلم أجتري إلا لأن دوام تغافلك
عني شبيه بالاهمال الذي يورث الإغفال ، والعفو المتتابع يؤمن من المكافأة ،
ولذلك قال عيينة بن حصن بن حذيفة لعثمان رحمه الله: عمر كان خيراً الى منك
أرهنى فأقتاني ، وأعطاني فأغناني ، فان كنت لاتهب عقابي أيدك الله لخدمة فيه
لا ياديك عندي ، فان النعمة تشفع في النعمة ، وإلا تفعل ذلك لذلك فعدي حسن
العادة ، والافعل ذلك لحسن الاحدوثة ؛ والافأت ما أنت أهله من العفو دون
ما أنا أهله من استحقاق العقوبة ، فسبحان من جعلك تعفو عن المتعمد ، وتتجافى
عن عقاب المصير ، حتى اذا صرت الى من هفوته ذكر ، وذنبه نسيان ، ومن
لا يعرف الشكر الا لك والانعام الا منك ، هجمت عليه بالعقوبة ، واعلم أيدك الله
أن شين غضبك على كزبن صفحك عني ، وإن موت ذكرى مع انقطاع سببي
منك ، كحياة ذكرك مع اتصال سببي بك ، وأعلم ان لك فطنة عليم ، وغفلة
كريم ، والسلام

كلام على بن أبي طالب

قال على بن أبي طالب رضى الله عنه : أعجب ما فى الانسان قلبه ، وله مواد من الحكمة ، وأضداد من خلافتها ، فان سئح له الرجاء أذله الطمع ، وان هاجه الطمع أهلكه الحرص ، وان ملكه اليأس قتله الاسف ، وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ ، وان أسعد بالرضا نسي التحفظ ، وان أتاه الخوف شغله الخدر ، وان اتسع له الامن استلبته الغرّة ، وان أصابته مصيبة فضحه الجزع ، وان استفاد مالا أطغاه الغنى ، وان عضته فاقة بلغ به البلاء ، وان جهد به الجوع قعد به الضعف ، وان أفرط فى الشيع كظته البطنة ، فكل تقصير به مضر ، وكل افراط له قاتل

عبد الرحمن بن حسان

البيت الذى أنشد الجاحظ لعبد الرحمن بن حسان فى أبيات يقول فيها متى ما يرى الناس الغنى وجارُهُ * فقيرٌ يقولوا عاجزٌ وجليدٌ وليس الغنى والفقير من حيلة القى * ولكن أحاط قُسمت وجدود وان امرأ يمسى ويصبح سالماً * من الناس الا ما جنى لسعيد

محمد بن حازم

والبيت الذى أنشده بعده لمحمد بن حازم الباهلى فى أبيات يقول فيها : إن كنت لا ترهب ذمى لما * تعلم من صفحى عن الجاهل فاخش سكوتى آذناً منصتاً * فيك لمسموع خنى القائل فسامع الشرّ شريك له * ومُطعم المأ كولا كلاً كل مقالة السوء الى أهلها * أسرع من منحدر سائل

ومن دعا الناس الى ذمه * ذموه بالحق وبالباطل
فلا تهرسج ان كنت ذا إربة * حروب أخى التجربة الغافل
فان ذا العقل اذا هجته * هجت به ذا خبل خابل
تبصر في عاجل شداته * عليك غب الضرر الآجل

ابن الزيات

وفى ابن الزيات يقول الجاحظ :

بدا حين أترى لآخوانه * ففئل منهم شبة العدم
وأبصر كيف انتقل الزمان * فبادر بالعرف قبل الندم

مرض الجاحظ

قال بعض البرامكة كنت أتقلد السند فاتصل بي أنى صُرفت عنها ،
وكنت كسبت ثلاثين ألف دينار ، نخفت أن يفجأني الصارف ، ويسعى اليه بالمال ،
فصغته عشرة آلاف اهليلجة فى كل اهليلجة ثلاثة مثاقيل ، وجعلتها فى رحلى ،
ولم أبعده أن جاء الصارف فركبت البحر ، وانحدرت الى البصرة ، فخبرت ان بها
الجاحظ وأنه عليل ، فأحببت أن أراه قبل وفاته ، فصرت اليه ، فأفضيت الى باب
دار لطيف ، فقرعته فخرجت الى خادم صفراء ، فقالت من أنت ؟ فقلت رجل
غريب أحب أن يدخل الى الشيخ فيسر بالنظر اليه ، فأدت ما قلت ، وكانت
المسافة قريبة لصغر الدهليز والحجرة ، فسمعتة يقول : قولى له ، وما تصنع بشق مائل ،
ولعاب سائل ، ولون حائل ؟ فأخبرتني فقلت لا بد من الوصول اليه ، فقال هذا
رجل قد اجتاز بالبصرة ، فسمع بي ، وبعلى ، فقال أراه قبل موته ، لأقول قد
رأيت الجاحظ ، فدخلت فسامت فردّ ردا جميلا واستدنانى ، وقال من تكون
أعزك الله ؟ فانتسبت له ، فقال رحم الله أباك ، وقومك الأسخياء ، الأجواد ،
الكرام ، الأمجاد ، فلقد كانت أيامهم روض الأزمنة ، ولقد انجبر بهم خلق ،

فسقياً لهم ورعياً ، فدعوت له ، وقلت أنا أسأل الشيخ أن ينشدني شيئاً من الشعر
أذكره به ، فأنشدني

لئن قُدمت قبلي رجال فطالما * مشيت على رِسلي فكنت المقدماً^(١)
ولكن هذا الدهر تأتى صروفه * فتُبرم منقوضاً وتنقض مُبرما
ثم نهضت فلما قاربت الدهليز صاح بي فقال : يا قتي ، أرايت مغلوجاً ينفعه
الاهليلج ، فقلت لا ، قال فأنا ينفعني الاهليلج الذي معك ، فأنفذ إلي منه ،
فقلت السمع والطاعة ، وخرجت مفرط التعجب من وقوعه على خبري ، حتى
كأن بعض أحيائي كاتبه يخبرني حين صغته ، فأنفذت إليه مائة اهليلجة

المقامة الجاحظية ✓

(مقامة من انشاء البديع تتعلق بذكر الجاحظ)

قال حدثنا عيسى بن هشام قال : جمعتني مع رققة وليمة ، وأجبت إليها للحديث
المأثور فيها عن رسول الله صل الله عليه وسلم لو دعيت الى كراع لأجبت ، ولو
أهدى الى ذراع لقبلت ، فأفضى بنا المسير الى دار قد فرش بساطها ، وبسطت
أنماطها ، ومد سماطها ، وقوم قد أخذوا الوقت بين آس مخضود ، وورد منضود ،
ودن مفضود ، ونأي وعود ، فصرنا اليهم وصاروا إلينا ، ثم عكفنا على خوان
قد ملئت حياضه ، ونورت رياضه ، واصطفت جفانه ، واختلفت ألوانه ، فمن حالك
بازائه ناصع ، ومن قان في تلقائه فاقع ، ومعنا على الطعام رجل تسافر يده على
الخوان ، وتسفر بين الألوان ، وتأخذ وجوه الرغفان ، وتفقأ عيون الجفان ،
وترعي أرض الجيزان ، يزحم اللقمة باللقمة ، ويهزم المضغة بالمضغة ، وهو مع ذلك
ساكت لا ينبس ، ونحن في الحديث نجري معه حتى وقف بنا على ذكر الجاحظ
وخطابته ، ووصف ابن المقفع وذرايته ، ووافق أول الحديث آخر الخوان ،
وزلنا عن ذلك المكان ، فقال الرجل : أين أنتم من الحديث الذي فيه كنتم ؟

فأخذنا في وصف الجاحظ ، واسنّه ، وحسن سننه في الفصاحة ، وسننّه فيما عرفناه
فقال يا قوم ، لكل عمل رجال ، ولكل مقام مقال ، ولكل دار سكان ، ولكل زمان
جاحظ ، ولو انتقدتم ، لبطل ما اعتقدتم . فكلُّ كشر له عن ناب الانكار ،
وشم بأنف الاكبار ، وضحكت اليه ، لأجلب ما لديه ، وقلت أفدنا وزدنا ، فقال ان
الجاحظ في أحد شقِّ البلاغة يقطف ، وفي الآخر يقف ، والبليغ من لم يقصر
نظمه عن نثره ، ولم يزر كلامه بشعره ، فهل ترون للجاحظ شعرا رائعا ؟ قلنا لا ،
قال فهلوا الى كلامه : فهو بعيد الاشارات ، قريب العبارات ، قليل الاستعارات ،
منقاد لعريان الكلام يستعمله ، نفور من مُعناصِه يهمله ، فهل سمعتم له بكلمة غير
مسموعة ، أو لفظة غير مصنوعة ؟ فقلت لا ، فقال هل تحب أن تسمع من الكلام
ما يخفف عن منكبيك ، وينم على مافي يديك ؟ فقلت إي والله ، قال فأطلق لي
عن خنصرك ، ما يعين على شكرك ، فأنته ردائي فقال

لعمري الذي ألقى إلى ثيابه * لقد كسبت تلك الثياب به مجدا
وقد قرّته راحة الجود بزة * فما ضربت قدحا ولا نصبت نردا
أعد نظراً يامن كساني ثيابه * ولا تدع الأيام تهدمني هذا
وقل للألى إن أسفروا أسفروا ضحى * وإن طلّعو في غمة طلّعو سعدا
صلوا رحم العلما وبلّوا لهاتها * فخير الندى ماسح وابله نقدا
قال عيسى بن هشام فارتاحت الجماعة اليه ، واثالت الصلات عليه ،
وقلت لما تانسنا ، من أين مطلع هذا البدر ؟ فقال

اسكندرية دارى * لو قرّ فيها قرارى
لكن ليلى بنجد * وبالبحار نهارى

أردشير بن بابك

تظلمت رعية أردشير بن بابك اليه في سنة محبذة لعجزهم عن الخراج ،
وسأله أن يخففه عنهم ، فكتب لهم مانسخته : من أردشير المزيّد بالبهاء ، ابن الملوك

العطاء ، الى الفقهاء الذين هم حفظة البيضة ، والكتاب الذين هم ساسة المملكة
وذوى الحرث الذين هم عمرة البلاد ، أما بعد فإننا نحمد الله تعالى حمد الصالحين ،
وقد وضعنا عن رعيننا بفضل رأفتنا أتاوتنا الوظيفة عليهم سنتنا هذه ، ونحن كاتبون
مع ذلك نعلمهم بوصية تنفع الكل : لا تستشعروا الحقد لئلا يغلب عليكم العدو ،
ولا تحبوا الاحتسار لئلا يشملكم القحط ، وكونوا للغرباء مؤوين ، لتؤووا غدا
في المعاد ، وتزووجوا في القرابة فإنه أحسن للرحم ، وأثبت للنسب ، ولا تعدوا
هذه الدنيا شيئا فإنها لا تبقى على أحد ، ولا ترفضوها مع ذلك فإن الآخرة لا تنال إلا بها

بزر جمهر

وقيل لبزر جمهر أى الاكتساب أفضل ؟ قال : العلم والأدب كثران
لا ينفدان ، وسراجان لا يطفآن ، وحلتان لا تبليان ، من نالهما أصاب الرشاد ،
وعرف طريق المعاد ، وعاش رفيعا بين العباد (وقال) أنوشروان لبزر جمهر
لما ظفر به : الحمد لله الذى أظفرنى بك ، قال له فكافئه بما يجب كما أعطاك ما تحب
قال وبم كافئه يافاسق ؟ قال بالعفو عمن أظفرك به اليوم ، كما تحب أن يعفو عنك
غدا . ونظير هذا الكلام قد تقدم لعللى رضى الله عنه

خير الملوك

وقيل لكسرى أى الملوك أفضل ؟ قال الذى اذا حاورته وجدته عليا ،
واذا خبرته وجدته حكيما ، واذا غضب كان حليما ، واذا ظفر كان كريما ، واذا
استمنح منح جسيما ، واذا وعد وفى ، وان كان الوعد عظيما ، واذا شكى اليه وجد رحيم

بين الميكالى والثعالبي

(كتب الأمير أبو الفضل الميكالى الى أبى منصور عبد الملك بن محمد بن
اسماعيل الثعالبي) كتابى وأنا أشكو اليك شوقا لوعالجه الاعرابى لما صبا الى رمل
عالج ، أو كابده الخلى لاثنى على كبد ذات حرق ولواعج ، وأذم زمانا يفرق فلا

يحسن جمعاً ، ويحرق فلا ينوى رقعا ، ويوجع القلب بتفريق شمل ذوى الوداد ،
ثم يبخل عليهم بما يشفى الصدور والأكباد ، قاسى القلب فلا يلين لاستعطاف ،
جائر الحكم فلا يميل الى انصاف ، وكم أستعدي على صرفه وأستنجد ، وأتلفى
غیظا عليه وأنشد

متى وعسى يثنى الزمان عنانه * بعثرة حال الزمان عثور
فتدرك آمال وتقتضى مآرب * وتحدث من بعد الأورامور

وكلاً ، فما على الدهر عتب ، ولا له على أهله ذنب ، وانما هى أقدار تجري
كما شاء مجريها ، وتنفذ كالسهم الى مراميها ، فهى تدور بالمكروه والمحبوب ،
على الحكم المقدور المكتوب ، لا على شهوات النفوس ، واردة القلوب ،
واذا أراد الله تعالى أذن فى تقريب البعيد النازح ، وتسهيل الصعب الجامح ،
فيعود الأُنس بلقاء الإخوان كأنهم لم يزل معهوداً ، ويجدد للمذاكرة والمؤانسة
رسومها وعهوداً ، اذه الملبى به ، والقادر عليه

من الميكالى الى أبيه

وله الى أبيه : لو ملكت عنان اختياري ، وأسعفتى ببعض ما أقترحه
القدر الجارى ، لما غبت عن حضرتي آنسها الله ساعة من دهرى ، كلاً أعد
ساعات بعدى عنها واخلى لبابها من أيام عمرى ، ولكنى أبداً ما نالها فى زمرة
الخدم والعبيد ، جامعاً بها بين حاشيتي العز المديد ، والشرف العتيق ، لا سيما
فى هذا الوقت ، وقد أشرقت البلاد بنور طلعتي التى هى فى ظلمة الدهر صباح ،
وعز مطالعتي التى فيها لصدور ذوى الشناشجى وزند الآمال اقتداح ، ومعاودة
ظله التى أضحت الشمس من حساده ، والزمان من عدد ساكنيه وعتياده ، الا
أن الحريص كما علمه مولانا مخلى عن أعذب موارد ، ومنوع بالعوائق عن أكرم
مطالعه ومقاصده

ومنه الى بعض اخوانه

وله يستفتح مكاتبة بعض اخوانه : انا وان لم تتقدم بيني وبينه المكاتبة وعادة
المساجلة والمفاوضة ، من فرط حرصى على افتتاحها وتعاطيها ، واعتراض العوائق
دون المراد والغرض فيها ، فان قلبي بوده مغمور ، وضميري على مصافاته مقصور ،
فاعتداده لفضائله التي أصبح فيها أو حدى العنان ، وزاحم فيها منسكب العنان ،
واستأثر فيها بالغرر والاضاح ، ما أوفى بها على غرة الصباح ، حتى تشاهدت بها
ضماير القلوب ، وتهادت أنباءها ألسنة البعيد والقريب ، اعتداد من يجمع بالاعتداد
لها بين شهادة قلبه ولسانه ، ومن ينظم فى اجلال قدرها صفقة اسراره واعلانه ،
فهو يتنسم الريح اذا هبت من ناحيته شوقا ونزاعا ، ويستحلى الوارد والصادر خبر
سلامته انصيا بالود اليه وانقطاعا

شذور من كلامه

(شذور من كلامه فى أثناء رسائل شتى) أياديه التي غمرتني سجالها ، واتسع
عندى مجالها ، وأعياء شكرى عفوها وانثيالها ، تناولت فيها المتى دانية القطوف ،
واجتليت أنوار العيش مأمونة الكسوف ، ليس يكاد يبرد غليل شوقي وحنيني ،
أو ترجع نافرة انسى وسكوني ، أو تخلو من الاهتمام والفكرة فيه خواطرى وظنوني
الا بالتقاء يدنو أمدّه ، ويقرب مواعده ، وتعلو على الفراق يده ، فنعاهد العيش
طلقاً غزيراً ، ونجتني ثمر المتى غضا نصيراً ، ونجتلى وجه الزمان مشرقاً منيراً ،
فوائده لها عندى أثر الغمام أو أنفع ، ومحل السماء أو أرفع ، حالى فى مفارقة حضرته
حال بنات الماء قد نصب عنها الفدير ، وبنات الأرض أخطأها النوء المطير —
لهفى على دهر الحداثة اذ غصن شبابى غض وريق ، ونقل شرابى عض وريق ،
— كلام أحلى من ريق النحل ، وأصفى من ريق الوبل — من تسود قبل وقته وآلته
فقد تعرض لمقته وإذالته . نظمّه له

ان من يلتمس الصد * رَ بلا وقت وآله
 لحقيق أن يُلقَى * كل مقت وإذاله
 الشكل للكتاب ، كالحلى للكعب — لو كان الشباب فضة لكان الشيب له
 خبثاً — النعمة عروس مهرها الشكر ، وثوب صونه النشر — الخضاب تذكرة
 الشباب — لا تقاس المهوى بالمرقى ، ولا الاقدام بالترقى ، ولا البحور بالسواقي —
 كم أبلاني من عرفٍ جزيل لا يبلى الدهر جدّة ردائه ، وقضاني من دين تأميل
 لا يقضى الشكر حق نعمائه — الشكر للنعمة نتاج ، والكفران لها رتاج ، وكلما
 زدت النعمة شكرياً ، زادت طيباً ونشراً

نماذج من شعره

(قطعة من شعره في تجنيس القوافي) قال في أبيه :

مبتدعاً في شمائل المجد خيماً * ما اهتدينا لأخذه واقتباسه
 فهو فظ بالمال وقت نداء * وجواد بالعفو في وقت باسه
 وقال فيه :

إذا ما جاد بالأموال نثي * ولم تدركه في الجود الندامة
 وإن هجست خواطره بجمع * لريب حوادثٍ قال الندي مه^(١)
 وقال فيه :

ولما تنازع صرف الزمان * فزعنا الى سيد نابه
 إذا كشر الدهر عن نابه * كشفنا الحوادث عنا به
 وقال فيه :

ان نابنا خطب قارأوه * تغنى عن الجيش وتسريه
 وان دجا ليل بدا نوره * للركب نجما فهو يسرى به

(١) مه : اسم فعل بمعنى اكفف

وقال يفتخر

وكم حاسد لي انبرى فانثى * لعضة نفس شجاها شجاها

ومن أين يسمو لنيل العلى * وما بث مالا ولا راش جاها

ومنها قوله

وسائلة تسائل عن فعلى * وعمّا حاز في الدنيا جمالى

فقلت الى المعالى حنّ قلبى * وفى سبيل المسكارم لج مالى

وللعلياء نهجٌ مستقيمٌ * فمالى تاركاً ذا النهج مالى

إذا أسرجت في نحر سبابى * فعلى والنجار فألجمالى

وقال في نوع من هذا الجنس

ومن يسرّ فوق الارض يطلب غايةً * من المجد يسرى فوق جمجمة النسر

ومن يختلف في العالمين نجارهُ * فإنّامن العلياء نجرى على نجر^(١)

ومن يتجر في المال يكسب ربحهُ * فبالمال نشرى رابح الحمد والنهر

وعلى نحو هذا الخذو يقول أبو الفتح البستي

أبا العباس لا تحسب بآنى * لشيء من حلى الاشعار عار

ولى طبع كسلسال المجارى * زلال من ذرى الاحجار جارى

إذا ما أكتبت الادوار زناداً * فلى زند على الادوار وارى

وقال أبو الفتح البستي أيضاً

بسياف الدولة اتسقت أمور * رأيناها مبددة النظام

سما وحى بنى سام وحام * فليس كمثله سام وحام

أدب الحاجب

قال بعض الملوك لحاجبه : انك عيني التي أنظر بها ، وجنتي التي أستنيم اليها ، وقد وليتك بابي ، فما ترك صانعاً برعيتي ؟ قال أنظر اليهم بعينك ، وأحلمهم على قدر منازلهم عندك ، وأضعهم لك في ابطائهم عن بابك ، ولزومهم خدمتك ، مواضع استحقاقهم ، وأرتبهم حيث جعلهم ترتيبك ، وأحسن ابلاغك عنهم ، وابلاغهم عنك . قال قد وفيت بما عليك قولاً ، ان وفيت به فعلاً ، والله ولي كفايتك ومعونتك

مراتب الوافدين على الملوك

قال المهدي للفضل بن الربيع : إني قد وليتك ستر وجهي وكشفه ، فلا تجعل الستريني وبين خواصي سبباً لضغفهم بقبح ردك ، وعبوس وجهك ، وقدم أبناء الدعوة فانهم أولى بالتقديم ، وثن بالآولياء ، واجعل للعامة وقتاً إذا دخلوا أعجلهم ضيقه عن التلبث ، وصرفهم عن التمكنث

الحسن بن سهل

وقال الحسن بن سهل : اذا كان الملك محتجباً عن الرعية ولم ينزل الوزير نفسه منزلة تكون وسائل الناس اليه أنفسهم واستحقاقهم دون الشفاعات والحرمان ، حتى يختص الفاضل دون المفضول ، ويرتب الناس على أقدارهم وأوزانهم ومعرفتهم ، امتزج التدبير ، واختلت الامور ، ولم يميز بين الصدور والأعجاز ، والنواصي والاذناب ، وكان الناس فوضى ، ووهت أسباب الملك ، وانتقضت مرائره ، وشاعت سرائره ، وإن أقرب ما أرجو به صلاح ما أتولاه استماعي من المنتسمين بأنفسهم ، المتوسلين بأفهامهم ، المتوصلين بكفايتهم ، وابتدال نفسي لهم ، وصبري

عليهم ، وتصفح ما توسلوا به وانتحلوه : من العقول ، والآداب ، والحماية والكفاية . فمن ثبتت له دعواه أنزلته تلك المنزلة ، ولم أتحيفه حقه ، ولا نقصته حظه ، ومن قصر عما ادّعى كانت منزلته منزلة المقصرين ، ولم أخيب أمله من مقدار ما يستحقه

حكمة مأثورة

وقال بعض البلغاء : اذا أسدل الوالى على نفسه ستر الحجاب ، وهى عمود تدبيره ، واسترخت عليه حمائل الحزم ، وازدلفت اليه وفود الذم ، وتولى عنه رشد الراجى ، ونال أموره خلل الانتشار ، وآفة الاهمال ، وتسرع اليه العائبون بلواذع ألسنتهم ، وديبب قوارضهم

سعيد بن عبد الملك

وحجب سعيد بن عبد الملك عن عبيد الله بن سليمان فكتب اليه : سرت الى بابك أعزك الله عند ما حدث من أمرك ، فلم يقض لقاؤك ، وعلمت أن ثققت بما عندي قد مثلت لك حالى من السرور بنعمة الله عندك ، وأرتك موضعى من الاعتداد بكل ما خصك ، ووصل اليك ، فوكلت العذر الى ذلك ، ثم إنا نأتيك مميمين بطلعتك ، مشتاقين الى رؤيتك ، فيحجبنا عنك ملاحظ ، وهو كما علمت زئيم الصنعة ، لئيم الطبيعة ، يحجب عنك الكرام ، ويأذن عليك للثام ، كلما نجمت له يد بيضاء ، أتبعها يدا سوداء ، فإن رأيت أعزك الله أن تصرفه عن باب مكارمك فعلت ان شاء الله

وصف فتى ماجد

وقال أبو السمط بن أبي حفصة

فتى لا يبالى المدحون بنوره * الى بابه أن لا تضى الكواكب
له حاجب فى كل خير يعينه * وليس له عن طالب العرف حاجب

أخذ البيت الأول من قول جده مروان بن أبي حفصة الاكبر
الى المصطفى المهدي خاضت ركابنا * دجى الليل يخبطن الشريج المحمدا
يكون لها نور الامام محمد * دليلاً به تسرى اذا الليل اظلمها
وقال ادريس بن أبي حفصة وذكر ابلا

ها امامك نور تستضيء به * ومن رجائك فى أعناقها حادى
لها أحاديث من ذكراك تشغلها * عن الرتوع وتلهيها عن الزاد
وأصله قول عمرو بن شأس الأسدى
اذا نحن أدلجنا وأنت أماننا * كفى لمطايانا بوجهك هاديا
أليس يزيد العيس خفة أذرع * وان كن حسرى أن تكون أمانيا^(١)

النجاة باسم الحبيب

وقال بعض أهل العصر

وليل وصلنا بين قطريه بالشرى * وقد جد شوق مطمع فى وصالك
أربت علينا من دجاء حنادس * أعدن الطريق النهج وعر المسالك
فناديت يا أسماء باسمك فأنجلت * وأسفر منها كل أسود حالك
بنا أنت من هاد نجونا بذكره * وقد نشبت فينا أكف الممالك
منحتك اخلاصى وأصفيتك الهوى * وان كنت لما تخطرني ببالك

ضوء الحساب

وقال القطامى

ذكرتم ليلاً فنور ذكركم * دجى الليل حتى انجاب عنه دياجره
فوالله ما أدرى أضوء مسجّر * لذكركم أم يسجر الليل ساجره

وقال القينى

وانى من القوم الذين هم هم * اذا مات منهم سيد قلم صاحبه

نجوم سماء كلما انتقض كوكبٌ * بدا كوكب تأوى إليه كواكبُه
أضاءت لهم أجسامهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ناقبه
وقال الحطيئة

تمشى على ضوء أحساب أضان لنا * كما أضاءت نجوم الليل للساوى
وقد رددته فى موضع آخر فقال

هم القوم الذين اذا ألت * من الأيام مظلمة أضوا
وكلام القاسم بن حنبل المدنى من هذا حيث يقول

من البيض الوجوه بنى سنان * لو انك تستضى بهم أضوا
فلو ان السماء دنت لمجد * ومكرمة دنت لهم السماء
هم حازوا من الشرف المعلى * ومن كرم العشيرة حيث شاؤا
وقال بعض المتقدمين

اذا أشرقت فى جنح ليل وجوههم * كفوا خابط الظلماء فقد المصباح
وان ناب خطب أو ألت ملة * فكم ثم من آسى جراح وجراح

وقال أبو بديل الوضاح بن محمد التيمى فى المستعين

وقائلة والليل قد نشر الدجى * فغطى بها ما بين سهل وقرود^(١)
أرى بارقاً يبدو من الجوسق الذى * به حل ميراث النبى محمد
أضاءت له الآفاق حتى كأنما * رأينا بنصف الليل نور ضحى غد
فظل عذارى الحى ينظمن تحته * سلوكاً من الجزع الذى لم يسرد
فقلت هو البدر الذى تعرفونه * والا يكن فالنور من وجه أحمد

(١) القردود : ما ارتفع من الأرض والجمع قراديد

حث الشوق

وقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة في معنى قول عمرو بن شاس في حث

الاشتياق

خليليّ ما بال المطايا كأنما * تراها على الاعقاب بالقوم تنكص
فقد أتعب الحادي سُرَاهنَّ وانحني * بهنَّ فما بالوا عَجُولٌ مقلّص
وقد قَطَّعتْ أعناقهنَّ صبايَةً * فأعينها مما تكلف تشخص
يزدن بنا قرباً فيزداد شوقنا * إذا ازداد قرب الدار والبعد ينقص
وقال بعض الرجاز وذكر ابلا

أنَّ لها لسائقاً خدلجاً * لم يدلج الليلة فيمن أدلجا

يريد امرأة يحبها فيحثه ما يجده من الشوق على اجتهاد مطايها بالسوق . كما أنشد

اسحق الموصلي

صب يحث مطايه بذكركم * وليس ينساكم إن حل أو سارا
لو يستطيع طوى الأيام نحوكم * حتى يبيع بعمر القرب أعمارا
يرجو النجاة من البلوى بقر بكم * والقرب يلهب في أحشائه نارا
هذا البيت يناسب أبيات ابن أبي ربيعة . يقول كلما دنا ازداد حرصا على اللقاء

اسحق الموصلي

وشخص اسحق الموصلي الى الواقع بسر من رأى وأهله ببغداد فتصيّد
الواقع وهو معه الى نواحي عكبراء فلما قرب من بغداد قال
طربت الى الاصيدية الصغار * وهاجك منهم قرب المزار
وكلّ مسافر يزداد شوقاً * اذا دنت الديار من الديار
ولحنه وغناه الواقع فاستحسنه وأطربه فصرفه الى بغداد على ما أحب ، وكان
اسحق قال أولا

وكل مسافر يشتاق يوماً * إذا دنت الديار من الديار
فعاثوا قوله يوماً ، وقالوا هي لفظة قلق في هذا الموضع ، لم تحل بمركزها ،
ولا لها هنا موقع ، قال فضعوا مكانها مثلها لا خيراً منها فما استطاعوا ذلك ، فغيرها
إلى ما أنشدت أولاً
وقال أبو نواس

أما الديار فقلما لبثوا بها * بين اشتياق العيس والركبان
وضعوا سياط الشوق فوق رقابها * حتى طلعت بها على الاوطان

مخلد بن بكار

وقال مخلد بن بكار الموصلي
أقول لنضو أنفد السير نيتها * ولم يبق منها غير عظم مجلد^(١)
خدي بي ابتلاك الله بالشوق والهوى * وشاقك تحنان الحمام المغرد^(٢)
فمرت سريعاً خوف دعوة عاشق * تشق بي المومة في كل فدفد
فلما وئت في السير ثبيت دعوتي * فكانت لها سوطاً إلى ضحوة الغد
وكان مخلد حلو الطبع وهو القائل يمدح رجلاً

يطالع النجم على صعدته * فإذا واجه نحرأ أفلا
معرشاً أن ظمئت أرواحهم * أوردوهن مجاجات الطلا
تحسن الألوان منهم في الوغى * حين تستنكر للرعب الخلى
سخط عبد الله يدني الاجلا * ورضاه يتعدى الاملا
يعشب الصلداً اذا ساله * واذا حارب روضاً أمحلا
حل بالبأس ابن عمرو منزلاً * طال حتى قصرت فيه العلى
خط رحلى في ذراه جوده * وتمشى في نداه الخيزلى^(٣)

(١) أى الشحم (٢) خدي : سيري (٣) الخيزلى : مشية في تناقل

جودة الخط

سئل بعض الكتاب عن الخط متى يستحق أن يوصف بالجودة ، فقال : اذا اعتدلت أقسامه ، وطالت ألفه ولامه ، واستقامت سطورہ ، وضاهى صعودہ حدورہ ، وفتحت عيونه ، ولم تشبه راؤه ونونه ، وأشرق قرطاسه ، وأظلمت أنفاسه ، ولم تختلف أجناسه ، وأسرع الى العيون تصوّره ، والى العقول ثمره ، وقدرت فصوله ، واندجت أصوله ، وتناسب دقيقه وجليله ، وخرج من نبط الوراقين ، وبعد عن تصنع المحدرين ، وقام لصاحبه مقام النسبة والحلية ، كان حينئذ كما قال صاحب هذا الوصف فى صفة خط

اذا ما تجلّ قرطاسه * وساوره القلم الأرقش
تضمن من خطه حلة * كنعش الدنانير بل أنقش
حروف تعيد لعين الكليل * نشاطا ويقرؤها الاخفش

شكوى وراق

قال أبو هفان سألت وراقاً عن حاله فقال : عيشى أضيق من محبرة ، وجسمى دق من مسطرة ، وجاهى أرق من الزجاج ، ووجهى عند الناس أشد سوادا من الخبر بالزاج ، وحظى أخفى من شق القلم ، ويدائ أضعف من قصبة ، وطعامى أمر من العفص ؛ وشرابى أحر من الخبر ، وسوء الحال ألزم لى من الصمغ ؛ فقلت له عبرت عن بلاء بلاء !

شعر الحمدونى

وقال الحمدونى

ثنان من ادوات العلم قد ثنتا * عنان شأوى عمارت من همى
أما الدواة فأدمى جرمها جسدى * وقلم الخط تحريف من القلم
وحبّرت لى صحف الحرف محبرة * تندودعنى سوام المال والنعم

والعلم يعلم انى حين آخذهُ * لعصمتى نافرِ خلوٍ من العِصمِ
والحمدونى فى الحرفة أشعار مستظرفة ، وكان مليح الافئدان ، حلو التصرف
وهو اسماعيل بن ابراهيم بن حمدويه ، وحمدويه جده وهو صاحب الزنادقة
فى أيام الرشيد ، والحمدونى القائل

من كان فى الدنيا له شارةٌ * فنحن من نظارة الدنيا
نرمقها من كُشِب حسرةً * كأننا لفظ بلا معنى

وقال

قد قلت اذ خرجوا الى يستمطروا * لا تقنطوا واستمطروا بئيا
لو فى حزينٍ هممت بغسلها * غطى ضياء الشمس جوَّ سحب
فكانها العباس يستسقى به * عمرٌ فيرويههم دعاء بحباب

حرفة الادب

وقال آخر فى المعنى الأول

لما أجدتُ حروف الخط حرقى * عن كل حظ وجاءت حرفة الادب
أقوتُ منازلُ مالى حين وُطِنها * مخيما سَفَطُ الاقلام والمكتب

وقال يعقوب الخزيمى

ما زددت فى أدبى حرفاً أسرُّه * الانزيت حرقاً نحتته شومُ
كذلك من يدعى حذقا بصنعتِه * أئى توجه فيها فهو محرومُ
ولما قتل المقتدر أبا العباس بن المعتز وزعم انه مات حتف أنفه قال

على بن محمد بن بسام

لله درك من مَيَّت بمضيعةٍ * ناهيك فى العلم والاداب والحسب
ما فيه لو ولا ليت فينقصه * وانما أدركته حرفة الادب

فتنة وحرمان!

قال ابن الرومي

ياليث أهل البيت اذحرموا * عصموا من الشهوات والفتن
لكنهم حرموا وما عصموا * فقلوبهم مرضى من الحزن
وهم أطب على بليتهم * من غيرهم بمضاضة الشجن
وقال جعفر بن محمد: ان الله وسع أرزاق الحق ليعتبر العقلاء ويعلموا أن
الدنيا لا ينال ما فيها بعقل ولا حيلة، إلا أن كسب المال بالخط، وحفظه بالعقل

ابراهيم النظام

قال ابراهيم بن سيار النظام: الذهب لئيم لأن الشكل يصير الى شكاه،
وهو عند اللئام أكثر منه عند الكرام. قال المتنبي وأخذ هذا المعنى
وشبهه الشيء منجذب إليه * وأشبهنا بدنيانا الطغام
وكان النظام له نظر بوجوه التصرف، وكان السلطان يصله بالكثير، وكان
محظوظا، فإذا اجتمع له مال حبس لنفسه بلغة وفرق الباقي في أبواب المعروف،
فقليل له في ذلك فقال: من حق المال على أن أطلبه من معدنه، وأصيب به الفرصة
عند أهله، ومن حق عليه أن يقيني سوء نفسه، ويصون عرضي بإبتداله، ولا
يفعل ذلك إلا بأن أسمح به، ألا ترى ذا الغنى ما أذوم نصبه، وأقل راحته،
وأخس من ماله حظه، وأشد من الأيام حذره، وأغرى الدهر بثلبه ونقصه، ثم
هو بين سلطان يرعاه، وذوى حقوق يسبون، وأكفاء ينافسونه، وولد يريدون
فراقه، قد بعث عليه الغنى من سلطانه العناء، ومن أكفائه الحسد، ومن أعدائه
البغي، ومن ذوى الحقوق الذم، ومن الولد الملال. وذو البلغة قنع، فدام له السرور
ورفض الدنيا، فسلم من المحذور، ورضى بالكفاف، فتنسكبته الحقوق

أفكار الوراقين

قال الصولي أنشدني محمد بن أحمد بن اسحاق :

أدمى البكا جفنيّ والمآقي * فظَلْتُ ذاهمٌ وذا احتراقِ
ما إن أرى في الأرض والآقي * أدنى ولا أشقى من الوراقِ
إذا أتى في القمُص الأخلاقِ * رأيتَه مطيرة العشاقِ^(١)
يفرح بالأقلام والأوراقِ * كفرحة الجنديّ بالارزاقِ

وقال بعض الوراقين :

إذا كنت بالليل لأكتبُ * وطول النهار أنا ألعِبُ
فطوراً يبطلني مأكلُ * وطورا يبطلني مشربُ
فإن دام هذا على ما أرى * فبيني أوّل ما يخرب
وقيل لوراق : ما تشتهي ؟ فقال قلما مشاقا ، وحبراً براقا ، وجلوداً رقاقا .
وكل امرئ أمنيته على ما يطابق غريزته ، ويوافق نحيزه

أمانى الشعراء

قال علي بن جبلة العكوك قال الأصمعي سئل امرؤ القيس : ما أطيب لذات الدنيا ؟ قال بيضاء رُعبوبة ، بالحسن مكبوبة ، بالشحم مكروبة ، بالمسك مشبوبة .
وسئل الأعشى عن ذلك فقال : صباء صافية ، تمزجها ساقية ، من صوب غادية
وسئل طرفة عن ذلك فقال : مركب وطى ، وثوب بهى ، ومطعم شهى . قال العكوك فحدثت بهذا أبادُلف فقال

أطيب الطيبات قتل الأعدى * واختيالٌ على متون الجيادِ
ورسول يأتي بوعد حبيبٍ * وحييب يأتي بلا ميعادِ

(١) القمص جمع قميص ، والاخلاق جمع خلق بفتح الحين وهو البالي

وحدثت بذلك حميدا الطوسي فقال :

فلولا ثلاث هن من لذة الفتى * وجدك لم أحفل متى قام عودى
فمنهن سبق العاذلات بشربة * كئيت متى ماعل بالماء تزبد
وكرى اذا نادى المضاف مجنبا * كسيد الغضى ذى السورة المتورد
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب * بيهكنة تحت الخباء الممدد
الشعر لطفة بن العبد ، وحدثت بذلك يزيد بن عبد الله فقال ما أدري ما قالوا ،
واسكنى أقول

فاقبل من الدهر ما أتاك به * من قر عينا بعيشه نفعه

فكان أسد هم :

الاضبط بن قريع

والبیت للأضبط بن قريع أنشده أبو العباس ثعلب. قال وبلغنى أن هذه

الآيات قيلت قبل الاسلام بدهر طويل

لكل ضيق من الأمور سعة * والصبح والمساء فلاح معه

ما بال من سره مصابك لا * يملك شيئا من أمره وزعه

أزود عن حوضه ويدفعى * ياقوم من عاذرى من الخدعه

حتى اذا ما انجلت عمايته * أقبل يلحى وغيه فجعه

قد يجمع المال غير آكله * ويأكل المال غير من جمعه

ويقطع الثوب غير لابسه * ويلبس الثوب غير من قطعه

فاقبل من الدهر ما أتاك به * من قر عينا بعيشه نفعه

وصل حبال البعيدان وصل الحب * ل وأقص القريب ان قطعه

ولا تعاد الفقير علك أن * ترك يومما والدهر قد رفعه

هذا البيت شبيه بما روى عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى

الله عليه وسلم كثيراً ما يستنشدنى قول اليهودى

ارفع ضعيفك لا يَجْزُ بك ضعفه * يوما فتدركه العواقب قد نما
 يجزيك او يثني عليك وان من * اثنى عليك بما فعلت كمن جزى
 فأنشده فيقول انى فِطْنُ لها . وكان الاضطبط سيد بنى سعد ، وكانوا يشتمونه
 ويؤذونه ، فانتقل الى حى من العرب فوجدهم يؤذون ساداتهم ، فقال حيث مأوجه
 ألق سعدا ! فذهبت مثلاً ، قال الطائى
 فلا تحسبنَ هنداً لها الغدر وحدها * سجيةً نفس كل غانيةٍ هندُ

وصف محبرة

قال بعض الكتاب يصف محبرة
 ولقد مضيت الى المحدث أنفأ * واذا بحضرته طباء رُتُعُ
 واذا طباء الانس تكتب كل ما * يُملَى وتحفظ ما يقول وتسمعُ
 يتجاذبون الخبر من مملومة * بيضاء تحملها علائق أربعُ
 من خالص البلور غير لونها * فكانها سبجٌ يلوح ويلمع
 إن نكسوها لم تسلم ومليكيها * فيما حوته عاجلا لا يطمع
 ومتى أملوها لرشف رضاها * أدّاه فوها وهى لا تمنعُ
 وكأنها قلبى يضمن بسرّه * أبداً ويكتب كل ما يستودعُ
 يمتاحها ماضى الشبابة مذلق * يجرى بميدان الطروس فيسرعُ
 رجلاه رأسه عنده لكنه * يلقاه برد حفاة ساعة يقطعُ
 وكأنه والخبر يخضب رأسه * شيخ لوصل خريدة يتصنعُ
 لم لا ألاحظه بعين جلاله * وبه الى الله الصحائف ترفعُ
 وقال أبو الفتح كشاجم

محبرة جاد لى بها قرء * مستحسن الخلق مرتضى الخلق
 جوهرة خصتى بجوهرة * ناطت له المسكرات فى عنقى

بيضاء والخبر في قرارتها * أسود كالمسك جدّ منفتح
مثل بياض العيون زينه * مسودّ ماشابه من الحدق
كأنما حبرها اذا نشرت * أقلامنا ظله على الورق
كحلّ مرّته العيون من مقلّ * نجّل فأوفت به على يقق
خرساء لكنها تكون لنا * عوناً على علم أفصح النطق
وقال عبد الله بن أحمد: القلم امرأة، ما لم يكتحل بأمد الدواء^(١)

العلم قبل المال

وكتب ابراهيم بن العباس كتاباً فاراد محو حرف فلم يجد منديلاً فحاه بكمه ،
فقيل له في ذلك فقال : المال فرع ، والعلم أصل ، وانما بلغنا هذه الحال ، واعتقدنا
هذه الاموال ، بهذا القلم والمداد ، ثم قال

اذا ما الفكر أضمر حسن لفظ * وأداه الضمير الى العيان
ووشاه ونمنه مسدّ * فصيح بالمقال وباللسان
رأيت حلى البيان منورات * تضاحك بينها صور المعاني

آلات الكتابة

(ألقاها لاهل العصر في أوصاف آلات الكتابة والدوي والاقلام)
الدواة من أنفع الادوات ، وهي للكتابة عتاد ، وللخاطر زناد — غدير
لا يردّه غير الافهام ، ولا يمتح بغير أرشية الاقلام^(٢) — دواة أنيقة الصنعة ، رشيقة
الصبغة ، مسكية الجلد ، كافورية الحلية — غدير تفيض ينابيع الحكمة من أقطاره ،
وتنشأ سحب البلاغة من قراره — دواة تداوى مرض عُفَاتك ، وتدوى قلوب

(١) أمره : فسدت عينه من قلة الكحل

(٢) الارشية جمع رشاء وهو حبل الدلو

عدائك ، على مرفع يؤذن بدوام رفعتك ، وارتفاع النوائب عن ساحتك ، ومداد
كسواد العين ، وسويداء القلب ، وجناح الغراب ، ولعاب الليل ، وألوان دهم
الخليل . وهذا من قول ابن الرومي

حبر أبي حفص لعاب الليل * كأنه ألوان دهم الخليل

قال العاصر : مداد ناسب خافية الغراب ، واستعار لونه من شرخ الشباب ،
وأقلام حجة المحاسن ، بعيدة من المطاعن ، تعاصى الكاسى ، وتمانع الغامر القاسى ،
أنابيب ناسبت رماح الخط فى أجناسها ، وشاكت الذهب فى ألوانها ، وضاهت
الحديد فى لمعانها ، كأنها الأميال استواء ، والآجال مضاء ، بطيئة الحفا ، قوية
القوى ، لا يشظيها القط ، ولا يتشعب بها الخط ، أقلام بحرية موشية الليط ^(١) ، رائقة
التخطيط ، قلم معتدل الكعوب ، طويل الأنبوب ، باسق الفروع ، روى ينبوع ،
هو أولى باليد من البنان ، وأخفى للسر من اللسان ، هو للأنامل مطية ، وعلى
الكتابة معونة مرضية ، نعم العدة القلم ، يقلم أظافير الدهر ، ويملك الأقاليم بالنهى
والامر ، ان أردت كان مسجوناً لا يمل الإيسار ، وان شئت كان جواداً جارياً
لا يعرف العثار ، لا ينبو إذا نبت الصفاح ، ولا يحجم إذا أحجمت الرماح
قال أبو الفتح كشاجم يصف محبرة ومقلمة وأقلاماً وسكينا

جسمى من اللهو وآلات الطرب * ومن عتاد وثرء ونشب
ومن مدام ومثان تصطبب * وهمة طمّاحة الى الرتب
مجالس مصونة من الرّيب * معمورة من كل علم وأدب
تكاد من حر الحديث تلهب * شعراً وأخباراً ونحواً يقتضب
ولغة تجمع ألفاظ العرب * وفقر كالوعد فى قلب الحب
أو كئآت الرزق من غير طلب * أجل وحسبى من دروى تلتخب
محلّيات بلجين وذهب * محبرة يزهى بها الخبر الألب

مثقوبة آذانها وفي الثقب * مثل شنوف الخرد البيض العرب
تضمن قطراً فيه للكتب عُشْب * أسود يجري بعمان كالشهب
لا تنضب الحكمة إلا ان نضب * نيطت الى يسرى يدى بسبب
كالقرط في الجيد تدلى فاضطرب * تصحبها والاخوات تصطحب
كأنه يودع نبلا من قصب * لم يعلمها ريش ولم تحمل عقب
لا تضحك الأوراق حتى ينتحب * ترمى بها يمنائى أعراض الكتب
رمياً متى أقصد به السمّت أصب * ومدية كالغضب مامس القصب
غضبي على الأفلام من غير سبب * تسطو بها في كل حين وتشب
وانما ترضيك في ذاك الغضب * فتلك آلاى وآلاى تحب
والظرف في الآلات مما يستحب * لاسيما ما كان منها للأدب

عمال المأمون

تظلم رجل الى المأمون من عامل له فقال : يا أمير المؤمنين ، ما ترك لى فضة
الافضها ، ولا ذهباً الا ذهب به ، ولا غلة الا غلها ، ولا ضيعة الا أضاعها ، ولا
علقاً الا علقه ، ولا عراضاً الا عرض له ، ولا ماشية الا امتشها ، ولا جليلاً الا
أجله ، ولا دقيقاً الا أدقه . فعجب من فصاحته وقضى حاجته

قال عمرو بن سعد بن سلم : كانت نوبة أنوبها في حرس المأمون فكنت
فى نوبى ليلة فخرج متفقدا من حضر فعرفته ولم يعرفنى ، فقال من أنت قلت
عمرو عمرك الله ، ابن سعيد أسعدك الله ، ابن سلم سلمك الله . فقال تكاؤنا منذ
الليلة ؟ قلت الله يكلؤك قبلى ، وهو خير حافظا وهو أرحم الراحمين

فقال المأمون

ان أخاك الحق من يسعى معك * ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا صرف الزمان صدعك * بدد شمل نفسه ليجمعك

الورد والرجس ✓

وقال علي بن العباس الرومي

خجلت خدود الورد من تفضيله * خجلا توردها عليه شاهد
لم يخجل الورد المورد لونه * الا وناحله الفضيلة عاند
للرجس الفضل الممين اذا بدا * بين الرياض طريقه والتالد
وكان ابن الرومي متعصباً للرجس، كثير الدم للورد، وكتب الى أبي الحسن
ابن المسيب

أدرك ثقاتك إنهم وقعوا * في نرجس معه ابنة العنب
فهم بجال لو بصرت بها * سبحت من عجب ومن عجب
ريحانهم ذهب على درر * وشرابهم در على ذهب
في روضة شتوية رضعت * در الحيا حلبا على حلب
واليوم مدجون فخرته * فيه بمطلع ومحتجب^(١)
ظلت تسامرنا وقد بعثت * ضواً يلاحظنا بلا لهب
كان كسرى أنو شروان مستهتراً بالرجس، وكان يقول هو ياقوت أصفر،
بين درأبيض، على زمرد أخضر. نقله بعض المحدثين فقال

وياقوتة صفراء في رأس درة * مركبة في قائم من زبرجد
كمثل بهي الدر عقد نظاهها * نثير فرند قدأطاف بعسجد
كان بقايا الطل في جنباتها * بقية دمع فوق خد مورد

رجع ابن الرومي

فصل القضية أن هذا قائد * زهر الربيع وان هذا طارد
شتان بين اثنين هذا موعد * بتصرم الدنيا وهذا واعد

(١) حرة اليوم شمس

فاذا احتفظت به فأمتع صاحب * بحياته لو أن حياً خالد
 ينهى النديم عن القبيح بلحظه * وعلى المدامة والسماع مساعد
 اطلب بعقلك في الملاح سمية * أبداً فانك لا محالة واجد
 والورد ان قشت فرد في اسمه * ما في الملاح له سمي واحد
 هذى النجوم هي التي ربينها * بحيا السحاب كما يربي الوالد
 فانظر الى الولدين من أدناهما * شبهاً بوالده فذاك الماجد
 أين الخدود من العيون نفاسة * ورياسة لولا القياس الفاسد
 وقد ناقضه جماعة من البغداديين وغيرهم في هذا المذهب وذهبوا الى تفضيل
 الورد فما دانوه وما استطاعوه . قال احمد بن يونس الكاتب راداً عليه
 يا من يشبه نرجساً بنواظر * دُعج تنبّه ان فهمك راقد
 ان القياس لمن يصح قياسه * بين العيون وبينه متباعد
 والورد اصدق للخدود حكاية * فعلام تجحد فضله يا جاحد
 ملك قصير عمره مستأهل * تخليده لو أن حياً خالد
 ان قلت ان الورد فرد في اسمه * ما في الملاح له سمي واحد
 فالشمس تُفرد باسمها والمشتري * والبدر يُشرك في اسمه وعطارد
 أو قلت إن كواكبها ربينها * بحيا السحاب كما يربي الوالد (١)
 قلنا أحقهما بطبع أبيه في * الجدوى هو الزاكي النجيب الراشد
 زهر النجوم تروقنا بضياها * ولها منافع جمّة وعوائد
 وكذلك الورد الأنيق يروقنا * وله فضائل جمّة وفوائد
 وخليفة ان غاب ناب بنفعه * وبنفعه أبداً مقيم راكد
 ان كنت تنكر ما ذكرنا بعدما * وضحت عليه دلائل وشواهد
 فانظر الى المصفر لوناً منهما * وافطن فما يصفر الا الحاسد

صفات الانوار والازهار

نبذ من النظم والنثر في صفات التّور والزهر — قال علي بن الجهم
لم يضحك الورد الا حين أعجبه * حسن الرياض وصوت الطائر الغرد
بدا فأبدت لنا الدنيا محاسنها * وراحت الراح في أنوارها الجُدد
وقابلته يد المشتاق تُسِنْدُهُ * الى الترائب والاحشاء والسكبد
كأن فيه شفءاً من صبابته * أو مانعاً جفن عينية من السهد
بين النديمين والخلين مصرعه * وسيره من يد موصولة بيد
ما قابلت طلعة الريحان طلعتة * الا تيننت فيه ذلة الحسد
قامت بحجته ريح معطرة * تشفى القلوب من الأوصاب والكمد
لا عذب الله الا من يعذبه * بمسمع بارد أو صاحب نكيد

وصف الورد

وكان أزدشير بن بابك يصف الورد ويقول : هو در أبيض ، وياقوت أحمر ،
على كراسي زبرجد أخضر ، وتوسطه شذور من ذهب أصفر ، له رقة الحجر ،
ونفحات العطر . أخذه محمد بن عبد الله بن طاهر فقال
كأنهن يواقيت يطيف بها * زمرّد وسطه شذر من الذهب
فاشرب على منظر مستظرف حسن * من خمرة مزة كالجر في الذهب^(١)

المتوكل وابن الضحاك

وقال يزيد المهلبى أحب المتوكل ان ينادم الحسين بن الضحاك الخليع البصرى
وأن يرى ما بقى من ظرفه وشهوته لما كان عليه ، فأحضره وقد كبر وضعف ،
فسقاه حتى سكر ، وقال لخادمه شفيع : اسقه ، فسقاه وحياء بوردة ، وكانت على
شفيع أنوار موروثة ، فد الحسين يده الى درع شفيع ، فقال المتوكل : اتخمش غلامى
بحضرتى ؟ كيف لو خلوت به ! ما أحوجك يا حسين الى أدب ! وكان المتوكل غمز

(١) مزة : لذينة الطعم

شفيها على العتب به ، فقال الحسين ياسيدي أريد دواة وقرطاسا ، فأمر له بهما فكتب
وكالوردة البيضاء حيا بأحر * من الورد يسعى في قراطق كالورد
له عبثات عند كل تحية * بكفيه يستدعي الخلى الى الوجد
تمنيت أن أسقى بكفيه شربة * تذكري ماقد نسيت من العهد
سقا الله عيشا لم أتم فيه ليلة * من الدهر إلا من حبيب على وعد
ثم دفع الرقعة الى شفيح ، وقال ادفعها الى مولاك ، فلما قرأها استملحها ،
وقال : لو كان شفيح ممن تجوز هبته لو هبته لك ، ولكن بجاتي يا شفيح الا كنت
ساقية بقية يومه ! وأمر له بال كثير حمل معه لما انصرف ، قال يزيد المهلبى
فصرت الى الحسين بعد انصرافه من عند المتوكل بأيام فقلت : ويحك أندري
ما صنعت ؟ قال لا أدع عادتي بشئ ، وقد قلت بعدك

لا رأى عطفة الأحب * لة من لا يصرح
أصغر الساقين أش * كل عندي وأملح
لو تراه كالظبي يس * نوح طورا ويبرح
خلت غصنا على كئيد * ب بنور يؤشح

قال الصولى وكان الاول من أبيات الحسين من قول العباس بن الأحنف
بيضاء فى حمر الثياب كوردة * بيضاء بين شقائق النعمان
تهتز فى غيد الشباب اذا مشت * مثل اهتزاز نواعم الاغصان

أبو بكر الصولى

قال أبو بكر الصولى كان عند الخصى الوزير طي داجن ربيب فى داره فعمد
الى نياو فرقا كله فاستملح الغزال وأنسه وقال : لو عمل فى أنس هذا الغزال وفعله
بالنيلوفر لاشتمل العمل على معنى مليح ! فبلغ الخبر أبا عبد الله ابراهيم بن محمد
ابن عرفة فخطويه فبادر لثلا يسبق وعمل أبياتا أولها
جرت ظبية غناء ترعى بروضة * تنوش لدى أفنانها ورقا خضرا

في أبيات غير طائفة ، فاستبرد ما أتى به ، قال الصولي فقلت
 ونيلوفر يحكي لنا المسك طيبه * تراه على اللذات أفضل مسعد
 قداجتن خوف الحادثات بجنة * تروق كشوب الراهب المتعبد
 تركب كالكاسات في ذهبية * على قُصْب مخضرة كالزبرجد
 وألبس ثوبا يفضل اللحظ حسنه * كما عبثت عين بجد مورد
 غدته أهاضيب السماء بدرها * تروح عليه كل يوم وتعتدى
 تلبس للأنوار ثوب سمائه * ففضل عنه الحسن في كل مشهد
 وفي وسطه منه اصفرار يزينه * كياقوتة زرقاء في رأس عسجد
 أطاف به أحوى المدامع شادن * حكي طرف من أهوى وحسن المقلد
 كما أخذ الظمان بالفم كأسه * ولم يستعن في أخذه الكاس باليد

محمد بن وكيع

وقال أبو الحسن محمد بن علي بن وكيع

يوم أتاك بوجهه المتهلل * ناهيك من يوم أغر محجل
 خلع الغمام على اخضرار سمائه * خلعا فيين مُمسك ومُصنَدل
 وكسا الرُبي حلالا تخالف شكلها * بمورد ومُعصر ومكحل
 وتمايلت فيه قدود غصونه * من شرب كاسات العيون الهطل
 وعلا على الاشجار قطر سمائها * فهدت لعين الناظر المتأمل
 يحكي قباب زمرد قد كللت * بمنظّم من لؤلؤ ومفصل
 وأتاك نور الباقلاء كأنما * يرنو اليك بعين أ كحل أقبل
 الورد ينجل كل نور طالع * وتراه منتقبا بجمرة مخجل
 وحكي بياض الطالع في كافوره * وجه الخريدة في الحمار الصندلي
 فكأنما الدنيا عروس أقبلت * في كل أنواع الملابس تجللي
 فاشرب معصرة القميص سلافة * من صنعة البردكان أو قطربل

أبو الفتح البستي

وقال أبو الفتح البستي

يومٌ له فضل على الأيام * مزج السحاب ضياءه بظلام
فالبرق يخفق مثل قلب هائم * والغيمة يبيكي مثل طرف هام
وكان وجه الأرض خدّ مقيم * ووصلت سجام دموعه بسجام
فاطلب ليومك أربعاً هن المنى * وهن تصفو لذة الأيام
وجه الحبيب ومنظراً مستشرقاً * ومغنياً غرداً وكأس مدام

أبو الفضل الميكالي

وقال الأمير أبو الفضل الميكالي

سلّ الربيع على الشتاء صوارماً * تركته مجروحاً بلا إغمار
وبكت له عين السماء بأدمع * ضحكت لساجمها ربي الانجاد
وبدت شقائقها خلال رياضها * تزهى بشوئى مخررة وسواد
فكأنها بذت الشتاء توجعت * لمصابه كشتيقة الأولاد
فقنوه حرمتها خضاب نجيعة * وسواد كسوتها لباس حداد

وقال

تصوغ لنا كف الربيع حدائقاً * كعقد عقيق بين سمط لآلى
وفين أنوار الشقائق قد حكت * حدود عذارى نقّطت بغوالى

وقال

كان الشقائق اذا برزت * غلالة داد وثوبا أحمر
قطاع من الحجر مشبوبة * فأطرافها لمع من حمم

وقال في حديقة ريحان

أعددت محتفلاً ليوم فراغى * روضاً غداً إنسان عين الباغ
روض يروض هموم قلبي حسنة * فيه لكأس الانس أىّ مساغ
فإذا بدت قضبان ريحان به * حيث بمثل سلاسل الاصداغ
وقال فى النرجس

أهلاً بنرجس روض * يزهى بحسن وطيب
يرنو بعين غزال * على قضيب رطيب
وفيه معنى خفى * يزينه للقلوب
تصنيفه ان نسقت الـ حروف بر حبيب

وقال

وما ضم شمل الانس يوماً كنرجس * يقوم بعذر اللهو عن خالع العذر^(١)
فأحداقه أحداق تبرٍ وساقه * كقائمة ساقٍ فى غلائله الخضر

البحترى

وقال البحترى

سقى الغيث اكناف اللوى من محلة * الى الحقف من رمل اللوى المتقاوِد
ولازال مخضر من الروض يانع * عليه بمحمر من النور حاسد
شقائى يحملن الندى فكأنه * دموع التصابى فى خدود الخرائد
ومن لؤلؤ فى الاقحوان منظم * ومن نُكَّتِ مصفرة كالفرائد
كأن جنى الحوذان فى رونق الضحى * دنانير تبرٍ من ثوام وفارد
رباع تردت بالرياض مجودة * بكل جديد الماء عذب الموارد^(٢)
اذا راوحتها مزنة بكرت لها * شآبيب مجتاز عليها وقاصد
كأن يد الفتح بن خاقان أقبلت * تليها بتلك البارقات الرواعد

(١) العذر : جمع عذار (٢) تردت بالرياض : اتخذت منها رداء

في مجلس المبرد

قال أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه قال لي البحترى وقد اجتمعنا على خلوة عند المبرد وسلكننا مسلحاً من المذاكرة: أشعرت اني سبقت الناس كلهم الى قولي

شقائى يحملن الندى فكأنه * دموع التصابي في خدود الخرائد
كأن يد الفتى بن خاقان أقبلت * تليها بتلك البارقات الرواعد
هكذا أنشد. فاستحسن ذلك المبرد استحساناً أسرف فيه ، وقال : ماسمعت مثل هذه الالفاظ الرطبة ، والعبارة العذبة ، لأحد تقدمك ولا تأخر عنك . فاعتزته أريحية جرّ بها رداء العُجب ، فكأنه أعجبنى ما يعجب الناس من مراجعة القول ، فقلت يا أبا عبادة لم تسبق الى هذا ، بل سبقك سعيد بن حميد الكاتب الى البيت الأول بقوله

عَذَّبَ الفراق لنا قُبيل وداعنا * ثم اجترعناه كسمّ ناقع
وكأنما أثر الدموع بخدها * طُلُّ تساقط فوق ورد يانع
وشركت فيه صديقنا أبو العباس الناشئ بما أنشدنيه آنفاً

بكت للفراق وقد راعنى * بكاء الحبيب لبعد الديار
كأن الدموع على خدها * بقية طل على جُلنار
وما أساء على بن جريج بل أحسن في زيادته عليك بقوله
لو كنت يوم الوداع شاهداً * وهنّ يطفين غلّة الوجْدِ
لم تر إلاّ دموع باكية * تسفح من مقلّة على خدِ
كأن تلك الدموع قطر ندى * يقطر من نرجس على ورد

وسبقك أبو تمام الى معنى البيتين معا بقوله
من كل زاهرة ترقق بالندى * فكأنها عين اليه تحدر
تبدو ويحجبها الجيم كأنها * عذراء تبدو تارة وتخفى (١)

خلق أطل من الربيع كأنه * خلق الامام وهديه المتشتر
في الارض من عدل الامام وجوده * ومن الربيع الغض سرح بزهر^(١)
يُنسى الربيع وما يروض جوده * أبدا على مر الليالى يذكّر
قال فشق ذلك عليه ، وحل حبوته ونهض ، فكان آخر عهدي بمؤانسته ، وغلظ
ذلك على محمد بن يزيد وقدح ذلك في حالى عنده

الهيثم بن عثمان الغنوى

وقال البحترى يمدح الهيثم بن عثمان الغنوى
ألست ترى مدّ الفرات كأنه * جبال شدورى جنّ في البحر عومًا
وما ذاك من عاداته غير أنه * رأى شيمةً من جازه فتعلما
وقد نبّه النوروز في غبش الدجا * أوائل وردٍ كنّ بالأمس نوما
يُفتحها برد الندى فكأنه * ييث حديثاً يينهنّ مكتما
ومن شجر ردّ الربيع لباسه * عليه كما نشرت بُرداً منمنا
أحلّ فأبدي للعيون بشاشة * وكان قذى للعين مذ كان محرما
فما يمنع الراح التي أنت خلها * وما يمنع الأوتار أن تترنما
وما زلت خلّال الندامى إذا اغتدوا * وراحوا بدورا يستحثون أنجما
تكرّمت من قبل الكؤوس عليهم * فما أسطعن أن يحدثن فيك تكرما

الطيور في الربيع

وقال

حيثك عنا شمال طاف طائفها * بجنة فحرت راحا وربحانا
هبت سحيرا فناجى الغصن صاحبه * سرّا بها وتداعى الطير إعلانا
ورق تغنى على خضر مهدلة * تسمو بها وتمس الأرض أحيانا
تخال طائرها نشوان من طرب * والغصن من هزه عطفه نشوانا

(١) السرح : كل شجر طال

ابن المعتز

ولابن المعتز في أرجوزته البستانية التي ذم فيها الصبوح صفة جامعة إذ قال

أما ترى البستان كيف نوراً * ونشر المنشور برداً أصفراً

وضحك الورد إلى الشقائق * واعتنق الورد اعتناق الوامق

في روضة كحلية العروس * وحرم كهامة الطاوس

وياسمين في ذرى الاغصان * منظم كقطع العقيان

والسرو مثل قصب الزبرجد * قد استمد الماء من ثرب ندى

على رياض وثرى ندى * وجدول كالبرد الحلى

وفرج الخشخاش جيباً وفتق * كأنه مصاحف بيض الورق

أو مثل أقداح من البلور * تخالها تجسمت من نور

وبعضه عريان من أثوابه * قد خجل اليابس من أصحابه

تبصره عند انتشار الورد * مثل الدبابيس بأيدي الجند

والسوسن الأزاد منشور الخلل * كقطن قد مسه بعض بلل

نور في حاشيتي بستانه * ودخل الميدان في ضمانه

وقد بدت فيه ثمار الكنكر * كأنها جماجم من عنبر

وحلق البهار بين الآس * جمجمة كهامة الشماس

خلال شيع مثل شيب النصف * وجوهر من زهر مختلف

وجلنار كاحمرار الورد * أو مثل أعراف ديوك الهند

والأقحوان كالنفايا الغر * قد صقلت أنواره بالقطر

كشاجم

وقال أبو الفتح كشاجم

وروض عن صنيع الغيث راض * كارضى الصديق عن الصديق
إذا ما القطر أسعده صُبوحاً * أتم له الصنيعة في الغبوق
يعير الريح بالنفحات ريحاً * كأن تراه من مسكٍ فتيق
كأن الطل منتشراً عليه * بقايا الدمع في الخلد المشوق
كأن غصونه سقيت رحيقاً * فالت مثل شراب الرحيق
كأن شقائق النعمان فيه * مخضرة شقائق من عقيق
يذكرني بنفسجه بقايا * صنيع اللطم في الخلد الرقيق
وقال :

غيث أتاناً مؤذناً بالخفض * متصل الوابل سريع الركض
دنا نخلناه دؤين الأرض • متصلاً بطوله والعرض
إنفا إلى ألفٍ بسرٍ يفضي * ثم سما كالؤلؤ المرفض
فالأرض تجلى بالنبات الغض * في حلبيها المحمر والمبيض
من سوسنٍ أحوى وورد غض * مثل الخدود نقشت بالعض
وأقحوان كاللجين المحض * ونرجس زاحي النسيم بض
مثل العيون رنقت للغمض * ترنوفينغشاها السكرى فتمغض

أبو فراس

✓ جملة من هذا النوع لأهل العصر — قال أبو فراس الحمداني

وجلنارٍ مشرقٍ * على أعلى شجره
كأن في رؤسه * أحمره واصفره
قراضة من ذهب * في خرقة معصره

وقال :

ويوم جلا فيه الربيع رياضُهُ * بأنواع حَلَى فوق أثوابه الخُضر
كأن ذيول الجلتار مظلةً * فضول ذيول الغايات من الازر

ابن هانيء

وقال أبو القاسم بن هانيء يصف زهرة رمان قطفت قبل عقدتها
وبنت أليك كالشباب النضر * كأنها بين الغصون الخضر
جنان باز أو جنان صقر * قد خففته لقوة بوكر
كأنما سحّت دماً من نحر * أو نبتت في تربة من جمر
أو سقيت بمجدول من خمر * لو كف عنها الدهر صرف الدهر
جاءت كمثل النهد فوق الصدر * تفتّر عن مثل اللثات الحمر
في مثل طعم الوصل بعد الهجر

أوصاف الرياض

ولهم في هذا المعنى — روضة رقت حواشيتها ، وتأنق واشيها — روضة
كالعقود المنظمة ، على البرود المنمنمة — روضة قد راضتها كف المطر ، ودبجتها
أيدي الندى — أخرجت الأرض أسرارها ، وأظهرت يد الغيث آثارها ، وأبدت
الرياض أزهارها — الرياض كالعرائس في حليها وزخارفها ، والقيان في وشيها
ومطارفها ، بأسطة زرايبها وانماطها ، ناشرة حبراتها ورياطها ، زاهية بحمرائها
وصفرائها ، تائمة بعيدها وغدرانها ، كأنما احتفلت لوفد ، أو هي من حبيب على
وعد — روضة قد تضرعت بالارج الطيب أرجاؤها ، وتبرجت في ظلل الغمام
صحراؤها ، وتناججت بنوافج المسك أنوارها ، وتعارضت بغرائب النطق أطيارها —
بستان رق نوره النضيد ، وراق عوده النضير — بستان عوده خضر ، ونوره

نضر ، وينعه خضل ، وماؤه خصر — بستان أرضه للبقل والريحان ، وسماؤه للنخل والرمان — بستان أنهاره مفروزة بالازهار ، وأشجاره موقرة بالثمار — أشجار كأن الحور أعارتها قدودها ، وكستها برودها ، وحلتها عقودها — الربيع شباب الزمان ، ومقدمة الورد والريحان — زمن الورد مرموق ، كأنه من الجنة مسروق — قد ورد كتاب الورد ، باقباله الى أهل الود — اذا ورد الورد ، صدر البرد — مرحبا باشراف الزهر ، في أطراف الدهر ، وأنشد

سقى الله ورداً صار خدّ ربيعنا * فقد كان قبل اليوم ليس له خدّ
كأن عين الترجس عين ، وورقه ورق ^(١) * النرجس نزهة الطرف ، وظرف
الظرف ، وغذاء الروح * شقائق كسيحان العقيق على رؤوس الزوج ، كأنها
أصداع المسك على الوجنت الموردة * شقائق كالزنج تجارحت وسالت دماؤها ،
وضغفت فسال ماؤها * كأن الشقيق جام من عقيق أحمر ، ملئت قرارته بمسك
أذفر * الأرض زمردة والأشجاروشى ، والماء سيوف والطيور قيان — قد غردت
خطباء الاطيار ، على منابر الانوار والازهار * اذا صدح الحمام ، صدع الحمام ،
قلب المستهام * انظر الى طرب الأشجار ، لغناء الاطيار * ليس للبلايل ^(٢) كغناء
البلايل ، وخربابل

أيام الربيع

(ولهم فيما يتعلق بهذا النحو في وصف أيام الربيع)

يوم سماؤه فاختية ، وأرضه طاوسية — يوم جلايب غيومه رواق ، وأردية
نسيمه رقق — يوم ممسك السماء ، معصف الهواء ، معنبر الروض ، مصنل الماء —
يوم زُر عليه جيب الضباب ، وانسحب فيه ذيل السحاب — يوم سماؤه كالخز الادكن ،
وأرضه كالديباج الاخضر

(١) العين الذهب ، والورق الفضة (٢) البلايل الاشجان

شادن^ه يرتعى القلوب ببغدا * دَ ولا يرتعى الكلا بالنجاج
أقبلت والربيع يختال في الرو * ض وفي المزن ذى الحيا الثجاج
ذو سماء كأدكن الخرق غي * مت وأرض كالخضر الديباج
فتجلى عن كل ما يتمنى * موعد الكند خذاة والهيلاج
فظللنا في نزهتين وفي حس * نين بين الارمال والاهزاج
بفناة تسرنا في المشائي * وعجوز تسرنا في الزجاج
أخذت من رؤس قوم كرام * ثارها عند أرجل الاعلاج

يوم حسن الشائل ، تمتع الحبايل ، سحسج الهواء ، موقن الارحاء — يوم تبسم عنه
الربيع ، وتبرج عنه الروض المربع — يوم كأن سماءه ماتم تتباكي ، وأرضه عروس
تتجلى — يوم مشهر الأوصاف ، أغر الاطراف — يوم يغنى فيه النور ، وينتبه ،
وتسفر فيه الشمس وتنقب ، وتعمق الغصون وتفرق ، ويوشى الغيم
وينسكب — يوم غاب نحسه وهوى ، وطلع سعده واعتلى ، والزمان ساقطة جواره ،
مفعمة أنهاره ، موقنة أشجاره ، مغردة أطياره — نحن في غب سماء ، قد أقلعت
بعد الارتواء ، واقشعت عند الاستغناء ، فالتبت خضل ممطور ، والنقع ساكن
محصور — يوم جوه طاروني ، وأرضه طاوسي — يوم دجنه عاكف ، وقطره
واكف — يوم من أعياد العمر ، وأعيان الدهر

الربيع والى فاق

﴿ ولهم في تشبيه محاسن الربيع بمحاسن الاخوان والسادة ﴾
غيث متشبه بكفك ، واعتداله مضاه خلقتك ، وزهره مواز لشرك ، كأنما
استعار حلاله من شيمتك ، وحليه من سجيته ، واقتبس أنواره من محاسن
أيامك ، وأمطاره من جودك وانعامك * قدم الربيع منتسبا الى خلقتك ، مكتسيا
محاسنه من طبعك ، متوشحا بأنوار لفظك ، متوضحا بآثار لسانك ويدك *

أنا في بستان أذكرني ورده المفتوح بخلقك ، وجدوله السابح بطبعك ، وزهره الجنى بقربك — أنا في بستان كأنه من شمائلك سرق ، ومن خلقتك خلق ، وقد قابلتني أشجار تمايل ، فتذكرني تبريح الأحياء ، إذا تداولتهم أيدي الشراب ، وأنهار كأنها من يدك تسيل ، ومن راحتك تفيض — أنا على حافة حوض أزرق كصفاء مودتي لك ، ورقة قولي في عتبك

الصوم في الربيع

وقال ابن عون الكاتب :

جاءنا الصوم في الربيع فهلا اختار ربعا من سائر الأرباع
وكان الربيع في الصوم عقدة * فوق نحر غطاءه فصل قناع

يوم الشك

وكتب أبو الفتح كشاجم الى بعض اخوانه يستدعيه الى زيارته
في يوم شك

هو يوم شك يا على * وبشره مذ كان يجزر
والجو حله ممسكة ومطره معبر
والماء فضي القمي * ص وطيلسان الأرض أخضر
نبت يصعد زهره * في الروض قطر ندى تحدر
ولنا فضيلات تكو * ن ليومنا قوتا مقدر
ومدامة صفراء أد * رك عمرها كسرى وقصر
فانشط لنا لنحت من * كساتنا ما كان أكبر
أولا فانك جاهل * ان قلت انك سوف تعذر

شهر رمضان

وكتب بديع الزمان الى بعض أهل همدان : كتابي أطال الله بقاءك عن شهر رمضان ، عرفنا الله بركة مقدمه ، وعين مختتمه ، وخصك بتقصير أيامه ، وإتمام صيامه وقيامه ، فهو وإن عظمت بركته ، ثقیل حر كته ، وإن جل قدره ، بعيد قعره ، فإن حسن وجهه فليس يقبح قفاه ، وما أحسنه في القدال ، وأشبهه ادباره بالاقبال ، جعل الله قدومه سبب ترحاله ، وبدره فداء هلاله ، وأمد فلكه تحريكاً ، بتقصي مدته وشيكاً ، وأظهر هلاله نحيفاً ، ليزف الى اللذات زفيفاً ، وعفا الله عن مزح يكرهه ، ومجون يسخطه

كلمة ابن العميد

عول البديع في هذا الكلام على قول أبي الفضل بن العميد في رسالة له في مثل ذلك : أسأل الله أن يعرفني بركته ، ويلقيني الخير في باقي أيامه وخاتمته ، وأرغب اليه في أن يقرب على الفلك دوره ، ويقصر سيره ، ويخفف حر كته ، ويعجل نهضته ، وينقص مسافة فلكه ودائرته ، ويزيل بركة الطول عن ساعاته ، ويرد على غرة شوال ، فهي أسنى الغرر عندي ، وأقربها لعيني ، ويطلع بدره ، ويريني الأيدي متطلبة هلاله يبشر ، ويسمعي النعي لشهر رمضان ، ويعرض على هلاله أخفى من السحر ، وأظلم من الكفر ، وأنحف من مجنون بني عامر ، وأبلى من أسير الحجر ، وأستغفر الله جل وجهه مما قلت إن كرهه ، وأستغفیه من توفيق لما يذمه ، وأسأله صفحاً يفيضه ، وعفوا يوسعاه ، انه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور

طاهر بن الحسين

قال المأمون لطاهر بن الحسين: صف لي أخلاق الخلع ، قال : كان واسع الصدر ، ضيق الأدب ، يبيع من نفسه ما تأنفه همم الأحرار ، ولا يصغي إلى نصيحة ، ولا يقبل مشورة ، يستبدّ برأيه ، ويُبَصِّرُ سوء عاقبته فلا يردعه ذلك عما يهيم به . قال فكيف كانت حروبه ؟ قال: كان يجمع الكتائب بالتبذير ، ويفرقها بلا تدبير . فقال المأمون: لذلك حل ما حل به ، أما والله لو ذاق لذات النصائح ، واختار مشورات الرجال ، وملك نفسه عن شهواتها ، لما ظفر به

الأمين والمأمون

ولما عقد الرشيد البيعة للأمين وهو أصغر من المأمون لأجل أمه زبيدة ، وكلام أخيها عيسى بن جعفر ، وقدّمه على المأمون ، جعل يرى فضل عقله فيندم على ذلك فقال :

لقد بان وجهُ الرأى لى غير أنى * غلبت على الأمر الذى كان أحزما
فكيف يُرَدُّ الدَّرْفى الصَّرع بعدما * توزّع حتى صار نهبا مقسما
أخاف التواء الأمر بعد استوائه * وإن يُنْقَضَ الحبل الذى كان أبرما

الفضل بن الربيع

قال أسد بن يزيد بن مزيد: بعث إلى الفضل بن الربيع بعد مقتل عبد الرحمن الأنباري ، قال فأتيته وهو في صحن داره ، وفي يده رقعة قد غضب لما نظر فيها ، وهو يقول : ينام نوم الظربان ، وينتبه انتباه الذئب ، همته بطنه ، ولذته فرجه ، لا يفكر في زوال نعمة ، ولا يتروّى في إمضاء رأى ولا مكيدة ، قد شمر له عبد الله عن ساقه ، وفوّق له أشد سهامه ، يرميه على بعد الدار ، بالختف الناقر (١٥- نى)

والموت القاصر ، قد عبّى له المنايا على متون الخيل ، وناط له البلاء فى أسنة الرماح
وشفار السيوف ، ثم تمثل بشعر البعيث

يقارع أتراك ابن خاقان ليله * الى أن يرى الإصباح لا يتلعم
فيصبح فى طول الطراد وجسمه * نخيل وأضحى فى النعيم أصمم
فشتان ما بينى وبين ابن خالد * أمية فى الرزق الذى الله يقسم

ثم قال يا أبا الحارث أنا وأنت نجرى الى غاية ان قصرنا عنها ذمنا ، وان
اجتهدنا فى بلوغها انقطعنا ، وانما نحن شعبة من أصل ان قوى قويننا ، وان ضعف
ضعفنا ، ان هذا الرجل قد ألقى بيده إلقاء الأمة الوكفاء ، يشاور النساء ، ويعتمد
على الرؤيا ، وقد أمكن أهل اللهو والخسارة من سمعه ، فهم يمنونه الظفر ، ويعدونّه
عواقب الأليم ، والهلاك اليه أسرع من السيل ، الى قيعان الرمل ، وقد خشيت أن
نهلك بهلاكه ، ونعطب بعطبه ، وأنت فارس العرب ، وابن فارسها ، وقد فزع
اليك فى لقاء طاهر لامرئ : أحدهما صدق طاعتك ، وفضل نصيحتك ، والثانى
يمن نقيبتك ، وشدة بأسك ، وقد أمرنى ان أبسط يدك ، غير ان الاقتصاد
رأس النصيحة ، ومفتاح البركة ، فبادر بما تريد ، وعجل النهضة ، فانى أرجو أن
يولىك الله شرف هذا الفتح ، ويلم بك شعث الخلافة ، فقلت له أنا لطاعتك
وطاعة أمير المؤمنين مقدم ، ولما وهنّ عدوك مؤثر ، غير ان المحارب لا يفتتح
أمره بتقصير ، وانما ملاك أمره بالجنود ، والجنود لا تكون بلا مال ، وقد رفع
أمير المؤمنين الرغائب الى قوم لم يجدوا عليه ، ومتى سُمّت من أقدر على الانتفاع
به ، الرضى بدون ما أخذه غيره ممن لم يكن عنده غناء ولا معونة ، لم ينتظم بذلك
التدبير ، واحتاج لأصحابى رزق سنة قبضا ، وحملنا الى الف فرس ، لحمل من لا
ارتضى فرسه ، والى مال أستظهر به لألام على وضعه حيث رأيت ، يقال شاور
أمير المؤمنين ، فأدخلنى عليه فلم تدر بينى وبينه كلمتان حتى أمر بجبسى . وبرى أن
الأمين لما أعيته مكائد طاهر قال

بُلِّيتْ بِأَشْجَعِ الثَّقَلَيْنِ نَفْسًا * تَزُولُ الرَّاسِيَّاتُ وَمَا يَزُولُ

لَهُ مَعَ كُلِّ ذِي بَدَنٍ رَقِيبٌ * يَشَاهِدُهُ وَيَعْلَمُ مَا يَقُولُ

فَلَيْسَ بِمَغْفَلٍ أَمْرًا عَنَاهُ * إِذَا مَا أَلَامَرُ ضَيْعَهُ الْجَهُولُ

وَفِي الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ يَقُولُ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ

كَمْ مِنْ مَقِيمٍ بِبَغْدَادٍ عَلَى طَمَعٍ * لَوْلَا رَجَاءُ أَبِي الْعَبَّاسِ لَمْ يُقِيمِ

الْبَدْرُ أَنْ نَظَرُوا وَالْبَحْرُ أَنْ رَغَبُوا * وَالْحَصْنُ أَنْ رَهَبُوا وَالسَّيْفُ ذُو النِّقَمِ

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ : مَا مَدَحْنَا شَاعِرًا بِشَعْرِ أَحَبِّ

لَنَا مِنْ قَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ

سَادَ الْمُلُوكِ ثَلَاثَةٌ مَامْنَهُمْ * أَنْ حُصِّلُوا إِلَّا أَعَزَّ قَرِيعُ

سَادَ الرَّبِيعُ وَسَادَ فَضْلُ بَعْدُ * وَعَلَتْ بِعَبَّاسِ الْكَرِيمِ فُرُوعُ

عَبَّاسٍ عِنْدَ إِذَا احْتَدَمَ الْوُغَى * وَالْفَضْلُ فَضْلُ وَالرَّبِيعُ رَبِيعُ

وَقِيلَ لِلْعَتَابِيِّ أَمَدَحْتَ أَحَدًا ؟ قَالَ لَا ، وَلَيْسَ لِي عَلَى ذَاكَ قُدْرَةٌ . فَقِيلَ لَهُ فَقَدْ

مَدَحْتَ الرَّبِيعَ ، فَقَالَ ذَلِكَ لِيَوْمٍ يَسْتَحِقُّ فِيهِ الْمَدْحَ فَقُلْتُ

وَمَعْصِلَةٌ قَامَ الرَّبِيعُ إِزَاءَهَا * لِيَعْمَدَ رُكْنَ الدِّينِ مَا تَهْدِمَا

بِمَكَّةَ وَالْمَنْصُورَ رَهْنٌ كَمَا أَتَى * أَخَا الْوَحْيِ دَاعِي رَبِّهِ فَتَقْدِمَا

غَدَاةَ عِدَاةِ الدِّينِ شَاخِذَةَ الْمُدَى * إِلَيْهِ وَغُولُ الْحَرْبِ فَاعْرِفَمَا

أَخَذَ الْبَيْعَةَ لِلْمَهْدِيِّ

وَكَانَ الْمَنْصُورُ قَدْ تَوَفَّى بِمَكَّةَ وَهُوَ حَاجٌّ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ

وَمِائَةٍ فَأَخَذَ الرَّبِيعُ لِلْمَهْدِيِّ الْبَيْعَةَ عَلَى النَّاسِ ، وَأَخَذَ بِتَجْدِيدِهَا عَلَى الْمَنْصُورِ ،

عَلَى أَنَّهُ حَيٌّ ، وَأَدْخَلَ إِلَيْهِ قَوْمًا فَرَّاهُ مِنْ بَعِيدٍ وَقَدْ جَلَّاهُ بِثَوْبٍ ، وَأَقْعَدَ إِلَى جَنْبِهِ

مَنْ يَحْرُكُ يَدَهُ وَكَأَنَّهُ يَوْمِي بِهَا إِلَيْهِمْ ، فَلَمْ يَشْكُوا فِي حَيَاتِهِ ، فَمَا خَالَفَ أَحَدٌ ، فَشَكَرَهُ

الْمَهْدِيُّ لِذَلِكَ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ أَبُو نَوَاسٍ فِي مَدْحِهِ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ

أبوك جلي عن مضر * يوم الرواق المحتضر
والحرب تفرى وتندر * لما رأى الأمر اقطر
قام كريما فانتصر * كهزة العضب الذكر
ماس من شيء هبر * وأنت تقتاف الاثر
من ذى حُجول وغرر

وقال أيضا : آل الربيع فضلتُم * فضل الخميس على العشير ^(١)
من قاس غيركم بكم * قاس الثماد الى البحور
أين القليل بنو القليل * ل من الكثير بنى الكثير
أين النجوم التالية * ت من الأهلة والبدور
قوم كفوا أيام مكة نازل الخطب الكبير
وتدار كوا نصر الخلا * فة وهي شاسعة النصير
لولا مقامهم بها * هوت الرواسي من نبير
ومن قول أبي نواس : من قاس غيركم بكم البيت ، أخذ أبو الطيب المتنبي :
قواصد كافور توارك غيره * ومن قصد البحر استقل السواقيا
فتى ماسرينا في ظهور جدودنا * الى عصره الا نرجى التسلاقيا

كلمات الفضل بن الربيع

وقال الفضل بن الربيع : من كلم الملوكة في الحاجات في غير وقت الكلام لم
لم يظفر بحاجته ، وضاع كلامه ، وما أشبههم في ذلك الا بأوقات الصلوات لا تقبل
الصلاة الا فيها ، ومن أراد خطاب الملوكة في شيء فليرصد الوقت الذي يصلح
في مثله ذكر ما أراد ، ويسبب له شيئاً من الاحاديث يحسن ذكره بعقبه (وقال)
المأمون للفضل بن الربيع لما ظفر به : يا فضل ، أكان في حق عليك ، وحق آباي

(١) الخميس : الخمس ، والعشير : العشر

ونعمهم عند أبيب وعندك . أن تثلبنى ، وتسبى ، وتحرض على دمي ؟ أتحب أن أفعل بك ما فعلته بى ؟ فقال يا أمير المؤمنين ان عذرى يُحْدِثُكَ اذا كان واضحا جميلا ، فكيف اذا حَفَّتْهُ العيوب ، وقبحته الذنوب ، فلا يضيق غنى من عفوك ما وسع غيرى منك ، فأنت كما قال الشاعر فيك

صفوحٌ عن الاجرام حتى كأنه * من العفول يعرف من الناس مجرما
وليس يبالى أن يكون به الأذى * اذا ما الأذى لم يغش بالكره مسلما
والشعر للحسن بن رجا بن أبى الضحاك :

المنصور والربيع

وقال سعيد بن مسلم بن قتيبة : دعا المنصور بالربيع فقال سلنى ما تريد ، فقد سكت ، حتى نطقت ، وخفت ، حتى ثقلت ، وأقلت ، حتى أكثر . فقال والله يا أمير المؤمنين ما أُرهب بخلق ، ولا أستقص عمرى ، ولا أستصغر فضلك ، ولا أغنم مالك ، وان يومى بفضلك على أحسن من أمسى ، وغدك فى تأملى أحسن من يومى ، ولو جاز أن يشكرك مثلى بغير الخدمة والمناصحة لما سبقنى لذلك أحد . قال صدقت ، علمى بهذا منك أحلك هذا المحل ، فسلى ما شئت ، قال أسألك ان تقرب عبدك الفضل ، وتؤثره وتجه . قال : ياربيع ، ان الحب ليس بمال يوهب ، ولا رتبة تبذل ، وانما تؤكده الأسباب . قال فاجعل لى طريقا اليه ، بالفضل عليه ، قال صدقت ، وقد وصلته بألف ألف درهم ، ولم أصل بها أحدا غير عمومى ، لتعلم ماله عندى ، فيكون منه ما يستدعى به محبى ، ثم قال فكيف سألت له المحبة ياربيع ؟ قال لانها مفتاح كل خير ، ومغلاق كل شر ، تستر بها عندك عيوبه ، وتصير حسنات ذنوبه . قال صدقت وأتيت بما أردت فى بابه

أخذ قوله خفت حتى ثقلت أبو تمام فقال لمحمد بن عبد الملك الزيات
على ان افراط الحياء استمالى * اليك ولم أعبد بعرضي مَعْدِلَا
فثقلت بالتخفيف عنك وبعضهم * يخفف فى الحاجات حتى يثقل

سهل بن هارون والرشيذ

ودخل سهل بن هارون على الرشيد وهو يضاحك المأمون فقال : اللهم زده من الخيرات ، وابسط له من البركات ، حتى يكون في كل يوم من أيامه مَرِيئاً على أمسه ، مقصراً عن غده ، فقال له الرشيد : يسهل من روى من الشعر أحسنه وأرصنه ، ومن الحديث أفصحه وأوضحه ، اذا رام أن يقول لم يعجزه القول . فقال سهل ابن هارون يا أمير المؤمنين ما ظننت ان أحداً تقدمنى الى هذا المعنى ، قال بل اعشى همدان حيث يقول

رأيتك أمس خير بنى لؤى * وأنت اليوم خير منك أمس
وأنت غداً تزيد الخير ضعفا * كذاك تزيد سادة عبد شمس

شعر الفضل بن الربيع

ومن شعر الفضل بن الربيع ما أنشده الصولى

انى امرؤ من هاشم * بفناء معجور النواحي
أهل الهدى وذوى التقى * واولى البسالة والسماح
أهل المعالم والمكا * رم فى المساء وفى الصباح
أهل النبوة والخلا * فة والكمال برغم لاجى
يتألمون من الصدو * د ويصبرون على الجراح

أبو العييناء وابن خاقان

حمل محمد بن عبيد الله بن خاقان ابا العييناء على دابة زعم انها غير فاره ، فكتب اليه : أعلم الوزير اعز الله ان ابا على محمداً اراد ان يبرنى ففقتى ، وأن يركبنى فأرجلنى ، امر لى بدابة تقف للتبرة ، وتعثر بالبعرة ، كالقضيبي اليابس عجفاً ، وكالماشق المهجور دنفاً ، قد أذكرت الرواة عذرة العذرى ، والمجنون العامرى ، مساعد أعلاه لأسفله ، حباقة مقرون بسعاله ، فلو أمسك لترجيت ،

ولو أفرد لتعزيت ، وليكنه يجمعهما في الطريق المعمور ، والمجلس المشهور ،
كأنه خطيب مرشد ، أو شاعر منشد ، تضحك من فعله النسوان ، وتتناغي
من أجله الصبيان ، فمن صائح يصيح داوه بالطباشير ، ومن قائل يقول نوله
الشعر ، قد حفظ الاشعار ، وروى الاخبار ، ولحق العلماء في الأمصار ،
فلو أعين بنطق ، لروى بحق وصدق ، عن جابر الجعفي ، وعامر الشعبي ،
وانما أتيت من كتابه الأعور ، الذي اذا اختار لنفسه أطاب وأكثر
وان اختار لغيره أخبت وأنزر ، فان رأى الوزير أن يبدلني به ، ويربحني منه ،
بمر كوب يضحكني كما ضحك مني ، يحو بحسنه وفراسته ، ماسطره العيب بقبحه
ودمامته ! ولست اذكر أمر سرجه وجامه ، فان الوزير أكرم من أن يسلب
ما يهديه ، أو ينقض ما يعضيه . فوجه عبد الله اليه برذونا من براذينه بسرجه وجامه
ثم اجتمع مع محمد بن عبيد الله عند أبيه فقال عبيد الله شكوت دابة محمد ، وقد
أخبرني الآن أنه يشتريه منك بمائة دينار ، وما هذا ثمنه لا يشتكي . فقال : أعز الله
الوزير ، لو لم أكذب مستزيداً ، لم انصرف مستفيداً ، واني ويايه لكانت امرأة
العزیز (الآن حصص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) فضحك
عبيد الله وقال حجبتك الداحضة بملاحتك وظرفك ، أبلغ من حجة غيرك البالغة

طرفة أدبية

✽ قطعة من رسالة أجاب بها أبو الخطاب الصابي عن أبي العباس بن سابور
المستخرج الى الخير بن مبرة عن رقعة وردت منه في صفة حمل أهده ✽
وصلت رقعتك ففضضتها عن خط مشرق ، ولفظ موق ، وعبارة مصيبة
ومعان غريبة ، واتساع في البلاغة يعجز عنه عبد الحميد في كتابته ، وقس وسحبان
في خطابته ، وتصرف بين جد أمضى من القدر ، وهزل أرق من نسيم السحر ،
وتقلب في وجوه الخطاب ، الجامع للصواب ، الا ان الفعل قصر عن القول ، لانك

ذكرت حملاً ، جعلته بصفتك جملاً ، فكان المعيدى الذى تسمع به ولا أن تراه
وحضر فرأيت كبشا متقادماً الميلاد ، من نتاج قوم عاد ، قد أفنته الدهور ،
وتعاقبت عليه العصور ، فظننته أحد الزوجين اللذين جعلهما نوح فى سفينته ،
وحفظ بهما جنس الغنم لذريته ، صغر عن الكبر ، ولطف عن القدم ، فبان
دمايته ، وتقاصرت قامته ، وعاد ناحلاً ضئيلاً ، بالياً هزيلاً ، بادرى السقام ، عارى
العظام ، جامعاً للمعائب ، مشتملاً على المثالب ، يعجب العاقل من حلول الحياة به ،
وتأثت الحركة فيه ، لانه عظم مجلد ، وصوف ملبّد ، لا يجد فوق عظامه سلباً ، ولا
تلقى يدك منه الا خشباً ، لو ألقى الى السبع لأباه ، ولو طرح للذئب لعافه وقلاده ،
قد طال للسكّاء فقده ، وبعد بالمرعى عهده ، لم ير القتل الا نائماً ، ولا عرف الشعير
إلا حالماً ، وقد خيرتني بين أن اقتنيه ، فيكون فيه غنى الدهر ، أو أذبحه : فيكون
فيه خصب الرحل ، فملت الى استبقائه لما تعرف من محبتي فى التوفير ، ورغبتى
للتشمير ، وجمعى للولد ، وادخارى للعتد ، فلم أجد فيه مستمتعاً للبقاء ، ولا مدفعاً
للفناء ، لانه ليس بأثى فتحمّل ، ولا بفتى فينسل ، ولا بصحيح فيرعى ، ولا بسليم
فيبقى ، فملت الى الثانى من رأيك ، وعولت على الآخر من قولك ، وقلت
أذبحه فيكون وظيفة للعيال ، وأقيمه رطباً مقام قديد الغزال ، فأشدنى وقد أضربت
النار ، وحدثت الشفّار ، وشمر الجزار

أعيدها نظراتٍ منك صادقة * ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورّم
وقال : ما الفائدة لك فى ذبحى ، وأنا لم يبق منى إلا نفس خافت ، ومقلة
انسانها باهت ، لست بذى لحم ، فأصلح للأكل ، لأن الدهر قد أكل لحى ، ولا
جلدى يصلح للديباغ ، لان الأيام قد مزقت أدمى ، ولالى صوف يصلح للغزل ،
لان الحوادث قد حصّت وبرى ، فان أردتني للوقود فكف ، بعّر أبقي من نارى ،
ولن تفى حرارة جمرى بريح قنارى ، فلم يبق الا أن تطلبني بدّحل ، أو يبنى وبينك
دم . فوجده صادقاً فى مقالته ، ناصحاً فى مشورته ، ولم أعلم من أى أمره أعجب

أمن مماطلته للدهر بالبقاء ، أم صبره على الضر والأواء ، أم قدرتك عليه مع إعواز
مثله ، أم تأهيلك الصديق به مع خساسة قدره ، وياليت شعري اذ كنت وإليك
سوق الغنم ، وأمرك ينفذ في الضأن والمعز ، وكل كبش سمين ، وحمل بطين ،
مجلوب اليك ، مقصور عليك ، تقول فيه قولاً فلا ترد ، ونريده فلا تصد ،
وكانت هديتك هذا الذي كأنه ناشر من القبور ، أو قائم عند النفخ في الصور ،
فما كنت مهدياً لو أنك رجل من عرّض الكتاب ، كأبي علي وأبي الخطاب ، ما كنت
تهدي إلا كلباً أجرب ، أو قرداً أحذب

شاة سعيد بن أحمد

وقال الحمدوني في شاة سعيد بن أحمد بن خوسنداد

أسعيد قد أعطيتني أضحية * مكثت زماناً عندكم ما تطعم
نضواً تعاقرت الكلاب بها وقد * لبذوا عليها كي تموت فتؤلم
فاذا الملاضحكوا بها قالت لهم * لا تهزؤا بي وارحموني ترحموا
مرت على علف فقامت لم ترم * عنه وغنت والمدامع تسجم
وقف الهوى بي بحيث أنت فليس لي * متأخر عنه ولا متقدم
وقال أيضاً

أبا سعيد لنا في شاتك العبر * جاءت وما إن لها بول ولا بعر
وكيف تبعر شاة عندكم مكثت * طعامها الا بيضان الشمس والقمر
لو أنها أبصرت في نومها علفاً * غنت له ودموع العين تنحدر
يامانعي لذة الدنيا بأجمعها * اني ليفتنني من وجهك النظر
وقال أيضاً

شاة سعيد في أمرها عبر * لما أتتنا قد مسها الضر
وهي تغني من سوء حالتها * حسبي بما قد لقيت يا عمر

مرت بقطف خضر ينشرها * قوم فظنت بأنها خضر
فأقبلت نحوها لتأكلها * حتى اذا ماتين الخبز
وأبدلتها الظنون من طمع * يأسا تغنت والدمع منحدر
كانوا بعيداً وكنتم أمهلم * حتى اذا ما تقربوا هجروا

وقال لسعيد شويهة * سلماً الضر والعجف
قد تغنت وأبصرت * رجلاً حاملاً علف
بأبي من بكفه * برء مابي من الدنف
فأتاها مطعماً * وأتته لتعتلف
فتولى فأقبلت * تتغنى من الأسف
ليته لم يكن وقف * عذب القلب وانصرف

طيلسان بن حرب

وإذ قد جرت بعض تضمينات المحدثين في هذا الموضع فأننا أذكر
هنا قطعة من شعره في الطيلسان وأنعطف في غير هذا الموضع إليها وأكر عليها
(وكان) أحمد بن حرب المهلبى من المنعمين عليه ، والمحسنين اليه ، وله فيه
مدائح كثيرة ، فوهب له طيلسانا أخضر لم يرضه ، قال أبو العباس المبرد فأنشدنا
فيه عشر مقطعات ، فاستحلينا مذهبه فيها ، فجعلها فوق الخمسين فطارت كل
مطار ، وسارت كل مسار ، فمنها

يا ابن حرب كسوتى طيلساناً * ملّ من صحبة الزمان وصدا
فحسبنا نسج العناكب قد حال الى ضعف طيلسانك سدا
طال ترداده الى الرفو حتى * لو بعثناه وحده لتهدى
وقال فيه أيضاً

يا طيلسان ابن حرب قد هممت بأن * تودى بجسمى كما أودى بك الزمن

ما فيك من ملبس يغنى ولا ثمن * قد أوهنت حيلتى أركانك الوهن
فلو ترانى لدى الرفاء مرتبطا * كأنى فى يديه الدهر مرتهن
أقول حين رآنى الناس أزمه * كأنما لى فى حانوته وطن
من كان يسأل عنا أين منزلنا * فلا قحوانة منا منزل فمن

(وقال) قل لابن حرب طيلسا * نك قوم نوح منه أحدث
أقى القرون ولم يزل * عمن مضى من قبل يورث
واذا العيون لحظنه * فكأنه بالاحظ يحرث
يودى اذا لم أرفه * فاذا رفوت فليس يلبث
كالكلب ان تحمل عليه الدهر أو تتركه يلهث

(وقال) قل لابن حرب طيلسانك قد * أوهى قواى بكثرة الغرم
متبين فيه لمبصره * آثار رفو أوائل الأهم
وكأنه الخمر التى وصفت * فى ياشقيق الروح من حكم
فاذا رمناه فقل لنا * قد صح قال له البلى انهدم
مثل السقيم برا فراجعه * نكس فأسلمه الى سقم
أنشدت حين طغى فأعجزنى * ومن العناء رياضة الهرم
الخمر التى وصفت من قول أبى نواس

ياشقيق النفس من حكم * نمت عن ليلى ولم أنم
فاسقنى البكر التى اعتجرت * بخمار الشيب فى الرحم
نمت انصات الشباب لها * بعد أن جازت مدى الهرم
فهى لليوم الذى بُزلت * وهى تلو الدهر فى القدم
عُنت حتى لو اتصلت * بلسان ناطق وفم
لاحتبت فى القوم مائلة * ثم قصت قصة الأهم
فرعتها بالمزاج يبه * خلقت للكاس والقلم

وقال الحمدوني

طيلسان لابن حرب جاءني * خلعة في يوم نحس مستمر
فاذا ما صحت فيه صيحة * تركته كهشيم المحتضر
واذا ما الريح هبت نحوه * طيرته كالجراد المنتشر
مہطع الداعي الى الرافي اذا * ماراه قال ذا شيء نكر
واذا رفاؤه حاول ان * يتلافاه تعاطى فعقر

(وقال) ايا طيلساني اعميت طبي * اسل بجسمك ام داء حب
وياريح صيرتني اتقيك * وقد كنت لا اتقي ان تهبي
ومستخير خبر الطيلسان * فقلت له الروح من امر ربي

وقال فيه

طيلسان لابن حرب جاءني * قد قضى التمزيق منه وطره
انا من خوف عليه ابداً * سامري ليس يالو حذره
يا ابن حرب خذه او فابعث بما * نشري عجلاً بصفر عشره
فلعل الله يحيمه لنا * ان ضربناه ببعض البقره
فهو قد أدرك نوحا فعسى * عنده من علم نوح خبره
ابدا يقرأ من أبصره * انذا كنا عظاماً نخره

(وقال فيه)

يا ابن حرب اطلت فقرى برفوى * طيلسانا قد كنت عنه غنيا
فهو في الرفو آل فرعون في العر * ض على النار غدوة وعشيا
زرت فيه معاشرًا فازدروني * فتغنيت اذ راوني زريا
جئت في زى سائل كي اراكم * وعلى الباب قد وقفت مليا

(وقال فيه)

وهبت لنا ابن حرب طيلسانا * يزيد المرء ذا الضعة اتضاعا
يسلم صاحبي فيعيد شتمى * لان الروح يكسبه انصداعا

أجبل الطرف في طرفيه طولا * وعرضا ما أرى الارقا
فلست أشك ان قد كان قدما * لنوح في سفينته شرا
فقد غنيت اذ أبصرت منه * جوانبه على بدني تداعي
ففي قبل التفرق ياضباعا * ولايك موقف منك الوداع

الحسن بن رجاء

دخل المأمون بعض الدواوين فرأى غلاما جميلا على أذنه قلم فقال من أنت
يا غلام ؟ فقال أنا يا أمير المؤمنين الناشئ في دولتك ، المتقلب في نعمتك ، المؤمل
لخدمتك ، خادمك وابن خادمك الحسن بن رجاء ، فقال أحسنت يا غلام ،
وبالاحسان في البديهة تفاضلت العقول . فأمر أن يرفع عن مرتبة الديوان . قال
أبو اسحاق ابراهيم بن السري الزجاج قال لي أبو العباس المبردمارأيت في أصحاب
السلطان مثل اسماعيل والحسن ، كنت اذا رأيته رأيت رجلا كأنما خلق لذروة منبر ،
أو صدر مجلس ، يتكلم وكأنه يتنفس ، يسهب ويطنب ، ويعرب ويعرب ،
ولا يعجب ويعجب * أراد القاضي اسماعيل بن اسحاق بن اسماعيل حماد بن
زيد بن درهم والحسن بن أبي رجاء بن أبي الضحاك

✓ أبو العباس المبرد

وكان أبو العباس يمد في البلغاء ، وقال لما دخلت على المتوكل اختار لي الفتح
ابن خاقان وقت شربه وكان الشراب قد اخذ منه فسألني وقال يا بصري رأيت
احسن وجهها مني ، فقلت لا والله ولا اسمح راحة ، ثم تجاسرت فقلت
جهرت بحلقه لا أقيمها * بشك في اليمين ولا ارتياب
بأنك أحسن الخلفاء وجهها * واسمح راحتين ولا أحابي
وان مطيعك الاعلى محلاً * ومن عاصك يهوى في تباب
فقال أحسنت واجملت في حسن طبعك ، وبديهتك ، فقلت ما ظننتني ابلغ

هذا الشرف ، ولأنال هذه الرتبة ، فلا زال أمير المؤمنين يسمو بخدمه الى أعلا
المراتب ، ويصرفهم في المذاهب

وصف رجل ماجد

وكان ابن المعتز قد غضب على بعض وكلائه فصار الى أبي العباس المبرد
يسأله ان يكلمه له فيكتب اليه المبرد : أنت والله كما قال مسلم بن الوليد في جدك الرشيد
بأبي وأمي أنت ما ندى يدأ * وأبر ميثاقاً وما أزر كا
يغدو عدوك جائعاً فاذا رأى * ان قد قدرت على العقاب رجاً كا

وهذا معنى كثير . انشد احمد بن يحيى ثعلب الاعرابي
كريم يفض الطرف فضل حيائه * ويدنو وأطراف الرماح دواني
وكالسيف ان لا ينته لان منته * وحداد ان خاشنته خشان
وهذا يناسب قول ابن المعتز في بعض جهاته
ويجرح احشائي بعين مريضة * كالان متن السيف والحد قاطع
وقال الاخطل في بني مروان
صم عن الجهل ، عن قيل الخنى أنف * اذا أملت بهم مكروهه صبروا
شمس البداة حتى يستقاد لهم * وأعظم الناس احلاما اذا قدروا

أبو جعفر المنصور

وقال ابراهيم بن علي بن هرمة يمدح أبا جعفر المنصور
كريم له وجهان : وجه لدى الرضى * طليق ، ووجه في الكريمة باسل
وليس بمعطى الحق من غير قدرة * ويعفو اذا ما أمكنته المقاتل
له لحظات من خفاف سريرة * اذا كرّها فيها عقاب ونائل
فأما الذي أمتت أمنه الردى * وأما الذي حاولت بالشكل ثا كل

عجل بن يوسف

وقال الطائي في أبي سعيد محمد بن يوسف
هو السيل ان واجهته انقدت طوعة * وتقتاده من جانبيه فيتبع

اسماعيل بن محمد

وكان عصاة الجرجاني واسمه اسماعيل بن محمد منقطعا الى الحسن بن رجاء
متصلا به وهو القائل فيه

ومحجَّب بالنور ليس بمدرك * الا بما تأتى به الانباء
ملك يحب الله فهو يحبه * ويطيعه فتطيعه الاشياء
يمشى الهوينا للصلاة يقيمها * واذا مشى للحرب فالخيلاء
لله درك ايما ابن عزيمة * يشوي الزمان وماله إشواء

ثم عتب عليه في بعض الامر فجهاه هجاء قبيحا ، فهرب الى عمان ثم اعتذر
اليه بقصيدته التي اولها

لا تخضبن عوالي المران * الامن العلق النجيع القاني

وهي أجود شعر قيل في معناه وهي التي يقول فيها

اقر السلام على الامير وقل له * ان المداومة الرضاع الثاني
ما ان أتي حشمي بانك ساخط * حتى استخف بموضعي غلامي
وغدت على مطاعمي ومشاربي * وملابسي من أعون الاعوان

فكتب اليه الحسن

أبلغ أبا اسحاق أن محله * مني بحيث الرأس والعينان
لاتبعدن بك الديار لنزعة * ولتبعدن نوازع الشيطان
فليفرخ الروع الذي روَّعته * ان الحل محل كل أمان

✓ ابن أبي ربيعة وجميل

اجتمع جميل بن معمر العذري بعمر بن أبي ربيعة المخزومي فأنشده جميل قصيدته التي أولها

لقد فرح الواشون أن صرمت حبلي * بثينة أو أبدت لنا جانب البخل
يقولون مهلا يا جميل واني * لأقسم مالى عن بثينة من مهل
خليلى فيما عشتما هل رأيتما * قتيلا بكى من حب قاتله قبلى
نقله أبو العتاهية فقال

يامن رأى قبلى قتيلا بكى * من شدة الوجد على القاتل
فلما أتمها قال لعمر يا أبا الخطاب هل قلت فى هذا الروى شيئاً؟ قال نعم ثم أنشده
جرى ناصح بالود بينى وبينها * فعرضنى يوم الخضاب الى قتلى
فما انس م الاشياء لانس قولها * وموقفها يوما بقارعة النخل
فلما تواقفتا عرفت الذى بها * كمثل الذى بى حدوك النعل بالنعل
فسامت واستأنست خيفة أن يرى * عدو مكانى أو يرى حاسد فعلى
واقبل أمثال الدُمى يكتنفها * وكلُّ يفدى بالموده والاهل
فقلت وأرخت جانب الستر انا * معى فتكلم غير ذى رقبة أهلى
فقلت لها ما بى لهم من ترقب * ولكن سرى ليس يحمله مثلى
فاستخذى جميل وصاح : هذا والله الذى طلبت الشعراء فاخطأته ، فتعلوا
بوصف الديار ، ونعت الاطلال

خليفة ابن أبي ربيعة

✓ ولما مات عمر بن أبي ربيعة نعى لامرأة من مولدات مكة وكانت بالشام
فبكت وقالت : من لأباطح مكة ، ومن يمدح نساءها ، ويصف محاسنها ، ويبيكى

طاعتهن ، فقبل لها قد نشأ قتي من ولد عثمان بن عفان على طريقته فقالت أنشدوني
له فأنشدوها

وقد أرسلت في السر ليلاً بأن أقم * ولا تقربنا فالتجنب أجمل
لعل العيون الرامقات لوصلنا * تكذب عنا أو تنام فتغفل
أناسٌ أمناهم فبثوا حديثنا * فلما كتمنا السر عنهم تقوّلوا
فما حفظوا العهد الذي كان بيننا * ولا حين هموا بالقطيعة أجملوا
فنسبت وقالت : هذا أجل عوض ، وأفضل خلف ، فالحمد لله الذي خلف على
حرمه وأمته مثل هذا

العرجي

وقال عروة بن أذينة أنشدت ابن أبي عتيق للعرجي
فما ليلة عندي وإن قيل ليلة * ولا ليلة الأضحى ولا ليلة الفطر
بمادلة الاثنين عندي وبالحرى * يكون سواء مثلها ليلة القدر
وما أنس م الأشياء لا أنس قولها * لجارتها قومي سلى لي عن الوتر
فجاءت تقول الناس في ست عشرة * ولا تعجلي عنه فانك في أجر
فقال ابن أبي عتيق هذه أفعه من ابن أبي شهاب ، أشهدكم أنها حرة من
مالي إن أجاز أهلها ذلك — والعرجي هو عبد الله بن عثمان بن عمرو بن عثمان
ابن عفان ، وكان ينزل بعرج الطائف فنسب إليه . وهو القائل

هل في أدركارى الحبيب من حرج * أم هل لهم الفؤاد من فرج
أم كيف أنسى مسيرنا حرماً * يوم حللنا بالنخل من أمج
يوم يقول الرسول قد أذنت * فأت على غير رقبة فلج
أقبلت أهوى إلى رحلهم * أهدي إليها يريها الأراج
(١٦ — ني)

وكان محمد بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم واليا على مكة وهو
خال هشام بن عبد الملك بلغه ان العرجي هجاه فضربه ضربا مبرحا وأقامه على
أعين الناس ، فجعل يقول

سيغضب لى الخليفة بعد رقى * ويسأل أهل مكة عن مساقى
على عباة برقاء ليست * من البلوى تجاوز نصف ساقى
وتغضب لى بأسرتها قصى * ولالة الشعب والطرق العماق

خلف محمد بن هشام أن لا يخرججه ما دامت له ولاية ، فاقام فى السجن سبع
سنين حتى مات ، وهو القائل فى سجنه

أضاعونى وأى قى أضاعوا * ليوم كريمة وسداد نغر
وخلونى ومعترك المنايا * وقد شرعت أستهم لنحري
كأنى لم أكن فيهم وسيطا * ولم تك نسبى فى آل عمرو
أجرر فى الجوامع كل يوم * ألا لله مظلمى وهصرى
عسى الملك المحيب لمن دعاه * سينجبني فيعلم كيف شكرى
فاجزى بالكرامة أهل ودى * وأجزى بالضغائن أهل ضرى

نثر ابن المعتز

(جملة من الفصول القصار لابن المعتز)

البشر دال على السخاء كما يدل النور على الثمر — اذا اضطرت الى الكذاب
فلا تصدقه ولا تعلمه أنك تكذبه ، فينتقل عن وده ، ولا ينتقل عن طبعه — كما
ان الشمس لا يخفى ضوءها وان كانت تحت السحاب كذلك الصبي لا يخفى غريزة
عقله وان كان مغموراً بأخلاق الحداثة — كرم الله عز وجل لا ينقض حكمته ،
ولذلك لا يعجل الاجابة فى كل دعوة — كما أن جلاء السيف أهون من صنعه ،

كذلك استصلاح الصديق أهون من اكتساب غيره — اذا استرجع الله مواهب الدنيا كانت مواهب الآخرة — لولا ظلمة الخطأ ما أشرق نور الصواب. الحوادث المعضة مكسبة لحظوظ جزيلة ، من صواب مدخر ، وتطهير من ذنب ، وتنبيه من غفلة ، وتعريف بقدر النعمة ، ومرون على مقارعة الدهر . ومثل هذا الفصل محفوظ عن ذى الرياستين قاله بعقب علة فأغار عليه ابن المعتز . وكتب الى احمد بن محمد جوابا عن كتاب استزاده فيه : قيد نعمتي عندك بما كنت استدعيتها به ، وذب عنها أسباب سوء الظن ، واستدم ما تحب مني بما أحب منك . وكتب اليه : والله لا قابل احسانك مني كفر ، ولا تبع احسانى اليك مني ، ولك عندي يد لا أقبضها عن نفعك ، وأخرى لا أبسطها الى ظلمك ، فتجنب ما يسخطني فاني أصون وجهك عن ذل الاعتذار . (وكان) احمد بن سعيد يؤدبه فتحمل البلاذري على قبيحة أم ابن المعتز يقوم سألوه ان تأذن له ان يدخل الى ابن المعتز وقتا من النهار ، فأجابت أو كادت تجيب ، قال ابن سعيد فلما اتصل الخبر بي جلست في منزلي غضبان لما بلغني عنها فكتب الى ابن المعتز وله ثلاث عشرة سنة

أصبحت يا ابن سعيد خدن مكرمة * عما يقصر من يحفي وينتعل
سر بلتنى حكمة قد هذبت شيمي * وأججت نار ذهني فهي تشتعل
أكون ان شئت قساً في خطابه * أو حارثا وهو يوم الحفل مرتجل
وان أشأ فكر زيد في فرائضه * أو مثل نعمان لما ضاقت الحيل
أو الخليل عروضياً أخا فطن * أو الكسائي نحوياً له علل
تعلو بداهة ذهني في مراكبها * كمثل ما عرفت آبائي الأول
وفي في صارم ما سله أحد * من غمد فدرى ما العيش والجدل
عقبك شكر طويل لا نفاد له * يبقى بجدته ما أطت الابل

قس بن ساعدة

وقس الذى ذكر هو قس بن ساعدة الأيادى وقد سمع النبي صلى الله عليه وسلم شعره وعجب منه

الحارث بن حلزة

وحارث هو الحرث بن حلزة الشكري وصف ارتجاله يوم نخره بقصيده
التي أنشدها بحضرة عمر بن هند التي أولها
آذنتنا بينها أسماء * رب ثاويل منه الثواء

زيد بن ثابت

وزيد هو زيد بن ثابت الأنصاري ، واليه انتهى علم الفرائض ، ونعمان هو
أبو حنيفة النعمان رضى الله عنه ابن ثابت ، وسبق أهل العراق في الفقه ، والخليل
ابن أحمد الفرهودي ويقال الفراهيدي منسوب الى حى من الازد اليمحري
والكسائي على ابن حمزة الكوفي

ابن العميد

(وكتب) أبو الفضل محمد بن العميد الى بعض اخوانه : أنا أشكو اليك جعلني
الله فداك دهرًا خؤونًا غدورًا ، وزمانا خدوعًا غرورًا ، لا يمنح ما يمنح الارث
ما ينزع ، ولا يبق فيما يهب الارث ما يرتجع ، يبدو خيره لمعا ثم ينقطع ، ويحلو
ماؤه جُرْ عائم يتمتع . وكانت منه شيمة مألوفة ، وسجية معروفة ، ان يشفع ما يبرمه
بقرب انتقاض ، ويهدى لما يبسطه وشك انتقاض ، وكنا نلبسه على ماسرط ، وان
خاف منه وقسط ، ونرضى على الرغم بحكمه ، ونستم بقصده وظلمه ، ونعتد من أسباب
المسرة ان لا يجيء محدوره مصمتا بلا انفراج ، ولا يأتى مكر وهه صرفا بلامزاج ،
ونتعلل بما نختلسه من غفلاته ، ونسترقه من ساعاته ، وقد استحدثت غير ما عرفناه
سنة مبتدعة ، وشريعة متبعة ، وأعد لكل صالحه من الفساد حالا ، وقرن بكل

خلة من المكروه خللا ، وبيان ذلك جعلني الله فداك انه كان يقنع من معصيته
 الإلفين ، بتفريق ذات البين ، فقد أنشئ ممنوًّا فيك بجميع ما أوغره ، وما أطويه
 من البلوى منك أكثر مما أنشئه ، وأحسبني قد ظلمت الدهر بسوء الثناء عليه ،
 وألزمته جرما لم يكن قدره بما يحيط به وقدرته ترتقي اليه ، ولو أنك أعنته وظاهرته ،
 وقصدت صرفه وآزرتة ، وبعثني بيع الخلق وليس فيمن زاد ، ولكن فيمن نقص ،
 ثم أعرضت عني لإعراض غير مراجع ، واطرحتني أطراح غير مجامل ، فهلا وجدت
 نفسك أهلا لاجميل حين لم تجدني هناك ، وأنفذت من جل ما عقدت من غير جريمة ،
 ونسكت ما عهدت من غير جريرة ، فاجبني عن واحدة منهما ، ما هذا التغالي بنفسك ،
 والتغالي على صديقك ، ولم نبذتنى نبذ النواة ، وطرحتنى طرح القذاة ، ولم
 تلفظني من فيك ، وتمجنني من حلقك ، وانا الخلال الحلو ، والبارد العذب ، وكيف
 لا تخطرني ببالك خطرة ، وتصيرني من أشغالك مرة ، فترسل سلا ما إن لم تتجشم
 مكاتبة ، وتذكرني فيمن تذكران لم تكن مخاطبة ، وأحسب كتابي سيرد عليك
 فتذكره حتى تثبت ، ولا تجمع بين اسم كاتبه وتصور شخصه حتى تذكره ، فقد
 صرت عندك ممن يحا النسيان صورته من صدرك ، واسمه من صحيفة حفظك ،
 ولعلك أيضاً تتعجب من طمعي فيك وقد توليت ، واستأثرت لك وقد أبيت ،
 ولا عجب فقد يتفجر الصخر بالماء الزلال ، ويلين من هو أقسى منك قلبا فيعود
 الى الوصال ، وآخر ما أقوله أن ودي وقف عليك ، وحسبني في سبيلك ، ومتى
 عدت اليه وجدته غضا طريا ، فجزبه في المعاودة فانه في العود احمد .

اجتليت هذا الكلام على اختيار الاختصار . حل قوله فقد يتفجر بالصخر
 الماء الزلال من قول ابن الرومي

ياشبيه البدر في الحسن — وفي بعد المنال

جُدد فقد تنفجر الصخرة — بالماء الزلال

وفي هذه الرسالة في ذكر فتح وان لم يستبق منه المعنى : وقد خصنا الله
 تعالى معاشر عبد الامير عضد الدولة بنعمة يعلو مراتب النعم موقعها ، ويفوت

مقدار المواهب موضعها ، فباسمه أبقاه الله فُتح الفتح ، وبشعاره استُنزل النجح ،
وبيمين نقيبته فرج الكرب ، وبسعادة جده كشف الخطب ، وباهتزازة للدولة
وحمايته عاد إليها مأوها ، وراجعها بهاؤها ، فعز الملك ونصر ، وذل العدو
وقهر ، وحمت أطراف الدولة ، وحفظت أكناف الملة ، واستجد نظام النعمة ،
وسدلت ستور الصيانة دون الحرمة ، ولو جعل المولى تقديس اسمه لنعمته إذا
تناهت على عبيده جزاء غير الاخلاص في شكره ، وقبل ما في مقابلة الموهبة
التي يستجدها عند خلقه غير الاغراق في حمده ، لرأيت أن لا أقصر في قضاء
حقه على بعض الملك دون بعض ، وجعلنا في صدر ما أبدل عن هذه النعمة
الأعزى الأهل والولد ، والأصبرين الساعد والعضد ، بل العميدين القلب
والكبد ، بل النفس كلها ، والمهجة بأسرها

أجمل ما قيل في العتاب

وقال سعيد بن حميد يعاتب بعض اخوانه

أقلل عتابك فالبقاء قليل * والدهر يعدل تارة ويميل
لم أبك من زمن ذممت صروفه * إلا بكيت عليه حين يزول
ولكل نائبة أملت مدة * ولكل حال أقبلت تحويل
والمنتمون الى الاخاء جماعة * ان حُصِّلوا أفنأهم التحصيل
ولعل أحداث المنية والردى * يوماً ستصدع بيننا وتحول
فلئن سبقت لتبكين بحسرة * وليكثرن على منك عويل
ولتفجعن بمخلص لك وامق * حبل الوفاء بحبله موصول
ولئن سبقت ولاسبقت ليمضين * من لا يشا كله لدى خليل
وليدهبن بهاء كل مروءة * وليفقدن جمالها المأهول
وأراك تكلف بالعتاب وودنا * صاف عليه من الوفاء دليل
ودّ بدا الذوى الاخاء جماله * وبدت عليه بهجة وقبول

ولعل أيام الحياة قليلة * فعلام يكثر عتبنا ويطول
وقال أيضاً

لقد ساءنى ان ليس لى عنك مذهب * ولا لك عن سوء الخليفة مرغب
أفكر فى ود تقادم بيننا * وفى دونه قربى لمن يتقرب
وأنت سقيم الود رث حباله * وخير من الود السقيم التجنب
تسئ وتأتى أن تعقب بعده * بحسنى وتلقانى كأبى مذنب
وأحذر إن جازيت بالسوء والقلى * مقالة اقوام هم منك أنجب
أساء اختياراً أو عرته ملالة * فعاد يسئ الظن أو يتعتب
نحبت من الود الذى كان بيننا * كما خاب راجى البرق والبرق خلّب
وقال عبید الله بن عبد الله بن طاهر

إلى كم يكون الصد فى كل ساعة * ولم لا تملن القطيعة والهجرة
رويدك إن الدهر فيه بقية * لتفريق ذات البين فانتظر الدهرا
آخر

ولقد علمت فلا تكن متجنباً * ان الصدود هو الفراق الأول
حسب الأحبة أن يفرق بينهم * صرف الزمان فما لنا نستعجل
آخر

ذر النفس تأخذ وسعها قبل بينها * فترق جاراً دراهما العمر
ويقرب من المعنى قول المتنبي أيضاً

زودينا من وجهك ماذا * م فحسن الوجوه حال يحول
وصلينا نصلك فى هذه الد * نيا فان المقام فيها قليل

كلام الاعراب

وقف أعرابى يسأل فعبث به فنى ، فقال ممن أنت ؟ فقال من بنى عامر بن
صعصعة ، فقال من أيهم ؟ فقال ان كنت أردت عاطفة القرابة فليكشفك هذا

المقدار من المعرفة ، فليس مقامى بمجادلة ولا مفاخرة ، وأنا أقول فان لم أكن من هاماتهم ، فلست من اعجازهم ، فقال القى ما رويت عن فضيلتك الا النقص فى حسبك . فامتعض الاعرابى لذلك ، فجعل القى يعتذر ويخلط الهزل والدعابة باعتذاره ، وأطال الكلام ، فقال له الاعرابى : يا هذا انك منذ اليوم آذيتنى بمزحك وقطعتنى عن مسئلتى بكلامك واعتذارك ، وانك لتكشف عن جهلك بكلامك ما كان السكوت يستره من أمرك ، ويحك إن الجاهل ان مزح أسخط ، وان اعتذر أفرط ، وان حدث أسقط ، وان قدر تسلط ، وان عزم على أمر تورط ، وان جلس مجلس الوقار تبسّط ، أعوذ منك ومن حال اضطررتى الى احتمال مثلك ! وقال اسحق الموصلى قال اعرابى لرجل كان يعتمد به بالعطية : أسأل الذى رحنى بك أن يرحمك بى ! وسأل اعرابى رجلا فأعطاه فقال : الحمد لله الذى ساقى الى الرزق وساقك الى الأجر

المقامة البلخية ✓

ومن انشاء البديع من مقامات الاسكندرى قال حدثنا عيسى بن هشام قال : أفضت بى الى بلخ تجارة البز ، فوردتها وأنا بفروة الشباب ، وبال الفراغ ، وحلية الثروة ، ولا يهمنى الا نزهة فكر أستفيدها ، أو شريده من الكلام أصيداها ، فما استأذن على سمعى مسافة مقامى ، أفصح من كلامى ، ولما خنى التفرق بنا قوسه أو كاد ، دخل الى شاب فى زى ملء العين ، وحلية تشوك الأخدعين ، وطرف قد شرب بماء الرافدين ، ولقيني من البر فى السناء ، بما زدته من الشكر والثناء ، وقال أظعننا تريد ؟ قلت إى والله ، فقال أخصب الله رائدك ، ولا أضل قائدك ، فمضى عزمت ، فقلت غداة غد ، فقال :

صباح الله لاصبح انطلاق * وطير الوصل لاطير الفراق

قال أين تريد ؟ قلت الوطن ، قال بلغت الوطن ، وقضيت الوطر ، فمضى العود ؟ قلت القابل ، قال طويت الربط ، وثنيت الخيط ، فأين أنت من الكرم ؟ قلت

بحيث أردت ، قال اذا رجعت الله من هذه الطريق ، فاستصحب لى عدوا فى برده
صديق ، من تجار الصُفر ، يدعو الى الكفر ، ويرقص على الظفر ، كدارة العين ،
يحط ثقل الدين ، وينافق بوجهين ! فعلمت أنه يلتمس دينارا ، قلت لك ذلك نقدا ،
ومثله وعدا ، فأنشأ يقول

رأيتك فيما خطبت أعلى * لازلت للمكرمات أهلا
صلبت عوداً وفقت جوداً * وطبت فرعاً وطبت أصلا
لا أستطيع العطاء حملا * ولا أطيق السؤال نقلا
قصرت عن منتهاك ظنا * وطُلت عما ظننت فعلا
يارحمة الله والمعالي * لالقي الدهر منك ثكلا

قال عيسى بن هشام فنلته الدينار . وقلت من أين نبت هذا الفضل ؟
قال نمتى قریش ومُهدى الشرف فى بطحائها ، فقال بعض من حضر : ألسنت
أبا الفتح السكندرى ؟ ألم أرك بالعراق ، تطوف بالأسواق ، مكديا بالأوراق ؟
فأنشأ يقول

ان لله عبيداً * أخذوا العمر خليطا
فهم يمسون اعرا * با ويضحون نبيطا

✓ من البديع الى الميكالى

وله الى أبى نصر الميكالى يشكو اليه خليفته بهراة : كتابى أطل الله بقاء
الشيخ الجليل ، والماء إذا طال مكثه ، ظهر خبثه ، واذا سكن متنه ، تحرك تنه ،
كذلك الضيف يسمج لقاؤه ، اذا طال ثواءه ، ويثقل ظله ، اذا انتهى محله ، وقد
حلبت أشطر خمسة أشهر بهراه ، وان لم تكن دار مثلى لولا مقامه ، وما كانت
تسعى لولا ذمامه ، ولى فى بيتى قيس مثل صدق ، وان صدرا مصدر عشق
وأدنتنى حتى اذا ماسبتنى * بقول يحل العصم سهل الاباطح
تجافيت عنى حيث لالى حيلة * وخلفت ما خلفت بين الجوانح

نعم قنصتني نعم الشيخ ، فلما علق الجناح ، وقلق البراح ، طرت مطار الريح ، بل مطار الروح ، وتركنتي بين قوم ينقض مشهم الطهارة ، وتوهن أ كفهم الحجارة ، وحدثت عن هذا الخليفة ، بل الجيفة ، انه قال قضيت لفلان خمسين حاجة منذ ورد هذا البلد ، وليس يقنع ، فما أصنع ، فقلت يا أحق ان استطعت أن تراني محتاجاً ، فاستطع أن أراك محتاجاً اليك ، أف لقولك ولفعلك ، ولدهر أحوج الى مثلك ! وأنا أسأل الشيخ الجليل أن يبيض وجهي بكتاب يسود وجهه ، ويعرفه قدره ، ويملاً رعباً صدره ، الى أن تبين على صفحات جنبه ، آثار ذنبه

عتابه له

وله اليه يعاتبه : قد عرف الشيخ الجليل اتسامي بعبوديته ، ولو عرفت وراء العبودية مكانا بلغته معه ، وأراني كلما قدمت ضحبة ، رجعت رتبة ، وكلما طالت خدمة ، قصرت حشمة ، ولست ممن يذهب عليه ان للسلطان أن يرفع عبداً حبشياً ، ويضع قرشياً ، ولكن أحب أن أقف من مكاني على رتبة كوكبها لا يغور ، ومنزلة لولبها لا يدور ، فاذا عرفت قدرى وخطه ، لم أتخطه ، ثم ان رأيت محلي وحده ، لم أتعبه ، ان قدمتنى يوماً عليها علمت ان عناية قدمتنى ، وان أخرى عنها علمت ان جناية أخرتنى ، رفعت على اليوم فلان ولست أنكر سنه وفضله ، ولا أجدد بيته وأصله ، ولكن لم تجر العادة بتقدمه ، لافى الأيام الخالية ، ولا في هذه الأيام العالية ، وشديد على الانسان مالم يعود ، فان كان حاسد قد هم ، أو كاشح قد نم ، أو خطب قد ألم ، أو أمر قد وقع وتم ، فالشيخ الجليل أولى من يعرفه ويعرفنيه ، والا فما الرأي الذي أوجب اصطناعي ، ثم ضياعي ، والسبب الذي اقتضى بيعي بعد ابتياعي ؟

ابراهيم بن المهدي والمأمون

ولما رضى المأمون عن ابراهيم بن المهدي أمر به فأدخل عليه ، فلما وقف بين يديه قال : وليُّ الثَّارِ مُحْكَمٌ في القصاص ، ومن تناوله الاغترار بما مُدَّ له من أسباب الرجاء أَمِنَ من دعاية الدهر من نفسه ، وقد جعلك الله تعالى فوق كل ذى ذنب ، كما جعل كل ذى ذنب دونك ، فان اخذت فبحقك ، وان عفوت فبفضلك . ثم قال

ذنبى اليك عظيمٌ * وأنت أعظم منه
نخذ بحقك أولاً * فاصفح بفضلك عنه
ان لم أكن فى فعالى * من السكرام فكُنْهُ

فقال لى شاورت أبا اسحق والعباس فى قتلك فأشارا به ، قال فما قلت لهما يا أمير المؤمنين ؟ قال قلت لهما بدأناه باحسان ، ونحن نستأمر دفيه ، فان غير فالله يغير ما به ، قال أما ان يكونا قد نصحا فى عظيم ما جرت عليه السياسة فقد فعلا وبلغا ما يبلغك ، وهو الرأى السديد ، ولكنتك أبيت أن لا تستجلب النصر الامن حيث عودك الله ، ثم استعبر با كيا ، فقال له المأمون ما يبيحك ؟ قال جَدَلًا ! اذ كان ذنبى الى من هذه صفته فى الإِ نعام ، ثم قال انه وان كان قد بلغ جرمى استحلال دمي ، فعلم أمير المؤمنين وفضله بلغانى عفوه ، ولى بعدهما شفاعة الاقرار بالذنب ، وحق الأبوة بعد الأب ، فقال يا ابراهيم لقد حُبَّبَ الىَّ العفو حتى خفت ان لا أوجر عليه ، أما لو علم الناس مالنا فى العفو من اللذة لتقربوا الينا بالجنايات ، لا تتريب عليك يغفر الله لك ، ولو لم يكن فى حق نسبك ما يبلغ الصفح عن جرمك ، لبَلَّغْتُ ما أملت حسن تفضلك ، ولطف توصلك . ثم أمر برد ضياعه وأمواله . فقال

رددت مالى ولم تبخل علىَّ به * وقبل ردك مالى قد حقنت دمي

وقام علمك بي فاحتجج عندك لى * مقام شاهد عدل غير متهم
فلوبدلت دمي أبغى به * والمال حتى أسلّ النعل عن قدمي
ما كان ذاك سوى عارية سلفت * لو لم تهبها لكنت اليوم لم تلم
أخذ معنى قول المأمون لقد حجب الى العفو حتى خفت أن لا أوجر عليه
أبو تمام الطائي فقال

لو يعلم العافون كم لك في الندى * من لذة وقريحة لم تحمد
فكان أبو تمام في هذا كما قال أبو العباس بن المعتز في القاسم بن عبيد الله
إذا ما مدحناه استغنا بفعله * فنأخذ معنى قولنا من فعاله

وكان تصويب ابراهيم رأى أبي اسحق المعتصم والعباس بن المأمون ألطف
في طلب الرضا ودفع الميكروه واستمالتهما الى العاطفة عليه من الازراء عليهما
في رأيهما ، وكان ابراهيم يقول : والله ما عفا عنى لرحم ولا لمحبة ، ولكن قامت له
سوق في العفو كره أن يفسدها . وكان المأمون شاور في قتل ابراهيم احمد بن أبي
خالد الأ حول فقال : ان قتلته فلك نظير ، وان عفوت عنه فلا نظير لك ، فأختار
لك العفو (وقال المأمون) لا سحق بن العباس لا تحسبني أغفلت أمر ابن المهدي
وتأييدك له وإيقادك لناره ، قال والله يا أمير المؤمنين لا جرام قريش الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم أعظم من جرمي اليك ، ولرحمى بك أمتن من ارحامهم ، وقد
قال لهم كما قال يوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام لا خوته : لا تثريب عليكم
اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين . وأنت يا أمير المؤمنين أحق وارث
لهذه الأمة في الطول ، وممثل لخلال العفو والفضل ، قال هيئات تلك أجرام جاهلية
عفا عنها الاسلام ، وجرمك جرم في اسلامك ، وفي دار خلافتك ، قال يا أمير المؤمنين
فوالله للمسلم أحق باقالة العثرة ، وغفران الذنب ، من الكافر . وهذا كتاب الله
يبنى وبينك إذ يقول : وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض
أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن

الناس والله يحب المحسنين . والناس يا أمير المؤمنين نسبة دخل فيها المسلم والكافر ،
والشريف والمشروف . قال صدقت ، وريت بك زنادك ، ولا برحت أرى من
أهلك أمثالك

وقال رجل لبعض الملوك وقد وقف بين يديه : أسألك بالذي أنت بين
يديه غدا أذل منى بين يديك اليوم ، وهو على عقابك أقدر منك على عقابي ، إلا
ما نظرت فى أمرى نظرت من برئى أحب اليه من سقمى ، وبراءتى أحب اليه من بليتى

معاوية وروح بن زنباع

وأراد معاوية عقوبة روح بن زنباع فقال : يا أمير المؤمنين أنشدك الله تعالى
ان لا تضع منى خسيصة أنت رفعتها ، أو تنقص منى مريرة أبرمتها ، أو تشمت بى
عدوا أنت كبتته ، وخاسدا بك وقتته ، وأسألك بالله الا أربى حلك على خطأتى
وصفحك على جهلى . فقال معاوية رضى الله عنه « اذا الله نئى عقد شئ تيسرا »
أشار الى هذا أبو الطيب المتنبي إذ قال

أزل حسد الحساد عنى بكبتهم * فانت الذى صيرتهم لى حسدا
اذا شد زنى حسن رايتك فى يدى * ضربت بسيف يقطع الهام مغمدا

بعض خاصة المأمون

وعتب المأمون على بعض خاصته فقال يا أمير المؤمنين ، ان قديم الحرمة ،
وحديث التوبة ، يحوان ما بينهما من الاساءة . قال صدقت وعفا عنه

أحد ملوك الفرس

وكان فى ملوك فارس ملك عظيم المملكة ، شديد النعمة ، ف قرب له صاحب المطبخ
طعامه فنقطت نقطة من الطعام على المائدة ، فزوى له الملك وجهه ، وعلم صاحب
المطبخ انه قتله ، فعمد الى الصحيفة فكفأها على المائدة ثمولى ، فقال له الملك ما حلك
على ما فعلت ، وقد علمت أن سقوط النقطة أخطأت بها يدك ، ولم يجز بها تعمذك ،

فما عندك في الثانية ؟ قال استحييت الملك ان يوجب قتلى ، ويبيع دم مثلى ، في سنى وحرمتى ، وقديم اختصاصى وخدمتى ، في نقطة أخطأت بها يدي ، فأردت أن يعظم ذنبي ، ليحسن بالملك قتلى ! قال لئن كان اعتذارك ينجيك من القتل ، فليس ينجيك من التأديب ، اجلدوه مائة جلدة واخملوا عليه خلع الرضا

بهرام جور

وخرج بهرام جور متصيدا فعن له حمار وحش فاتبعه حتى صرعه ، وقد انقطع عن أصحابه فنزل عن فرسه يريد ذبحه ، وبصر براع فقال أمسك على فرسى ، وتشاغل بذبح الحمار ، وحانت منه التفاتة فنظر الى الراعى يقطع جوهر عذار فرسه ، فحول بهرام جور وجهه وقال : تأمل العيب عيب ، وعقوبة من لا يستطيع الدفاع عن نفسه سفة ، والعفو من أفعال الملوك ، وسرعة العقوبة من أفعال العامة . ثم قال يا غلام ما بال شريانك يضطرب لعلك آذاك تكسيرنا أرضك بحوافر خيلنا ، فقال نعم ، وقد عزمت على أن أقطع مائة فرسخ ، فقال بهرام لا ترع فهذا الموضع وما فيه لك ، وكان الراعى خبيثا ، فقال ان الملوك اذا قالت قولا تمت على قولها ، فرجع بهرام الى عسكره وقال : اتبعنى لأوثق لك من هذه الأرض ، فاتبعه ، فلما بصر به الوزير قال : أيها الملك السعيد انى لأرى جوهر عذار فرسك مقلعا ، فتبسم وقال : أخذه من لا يرده ، ورآه من لا ينم به ، فن أخذه صاحبنا ولا نطالبه به

نقل ابن الرومى قول بهرام تأمل العيب كما اتفق موزونا فقال

تأمل العيب عيب * مافى الذى قلت ريب

وكل خير وشر * دون العواقب غيب

ورب جلباب هم * فيه من الصنع جيب

لا تحقرن سبيبا * كم قاد خيرا سبيب

أخذ البيت الأخير من قول الطائي :

رُبَّ قليلٍ غداً كثيراً * كم مطر بدؤه مطير

وقوله :

لا تزيلن صغير همك وانظر * كم بدى الائل دوحه من قضيب
وقد أعاد ابن الرومي قوله

وكل خير وشر * دون العواقب غيب

في قصيدته التي مدح بها احمد بن محمد بن ثوابه حين ساوره ، وقال لو أتى
لبيد لتعجب منه ، فاستجزله وقال

ولما دعاني المثوبة سيد * يرى المدح عارا قبل بذل الماثوب
تنازعني رعب ورهب كلاهما * قوى وأعياني طلوع المعاييب
فقدمت رجلا رغبة في رغبة * وأخرت رجلا رهبة للمعاطب
أخاف على نفسي وأرجو مفازها * واستار غيب الله دون العواقب
الى أن يربنى غايي قبل مذهبي * ومن أين والغايات بعد المذاهب

كتاب البديع الى أبي على اسماعيل

نسخة رقعة كتبها بديع الزمان الى أبي على اسمعيل يعتذر اليه : سوء
الأدب من سكر الندب ، وسكر الغضب من الكبائر التي تنالها المغفرة ، وتسعها
المعذرة ، وقد جرى بحضرة الشيخ ما جرى ، وقد أفنيت يدي عضوا ، واسنانى رضا ،
وان لم أوف ماجرى فالعذر أمد خطا ، فان كان بساطا يطوى ، وحديثا لا يروى ، فأولى
من عذر اللاعب ، وأخرى من غفر الصاحب ، وان كان ميتا ينشر ، وسببا يذكر ،
فليكن العقاب ما كان ، ان لم يكن المجران ، على انى قد أخذت قسطى من
العقاب ، واستفدت من رد الجواب ، ما كفى ، وأوجع القفا ، فكان من موجب
أدب الخدمة ، ابقاء الحشمة ، لولى النعمة : باحتمال الشتم ، والاغضاء عن الخصم ،
لكنى أحدثت بى ثلاثة أحوال لا يسلم صاحبها : اللعب وسكره ، والخصم
وهجره ، والادلالات والثقة ، وهى اللواتي حملتنى على ماء الوجه فهرقته ، وحجاب
الحشمة نفرقته ، وقد منعنى الآن فرط الحياء ، من وشك اللقاء ، وعهدى بوجهى

وهو أصفق من العدم الذى حملنى على جهله ، وأوقح من الدهر الذى أحوجنى الى أهله ،
لكن النعم اذا توالى على وجه رققت قشرته ، والأنت بشرته ، وأنا منتظر من
الجواب ما يريش به جناحى الى خدمته ، فان رأى أن يكتب فعل ان شاء الله

كتابه الى ابن مشكويه

(وله رقعة الى ابى على بن مشكويه) أولها

ويا عزى واش وشى بى عندكم * فلا تمهليه أن تقولى له مهلا
كما لو وشى واش بعزة عندنا * لقلنا تزحزح لا قريبا ولا أهلا
بلغنى أطل الله بقاء الشيخ أن قيضة كلب وافته بأحاديث لم يعرها الحق نوره ،
ولا الصديق ظهوره ، وانه ادام الله عزه اذن لها على مجال أذنه ، وفسح لها فناء ظنه ،
ومعاذ الله أن أقولها ، وأستجيز معقولها ، بل قد كان بينى وبين الشيخ عتاب لا ينزل
كنفه ولا يجدف ، وحديث لا يتعدى النفس وضميرها ، ولا يعرف الشفة
وسميرها ، وعريضة كبر بدة أهل الفضل ، لا تتجاوز الدلال والادلال ، ووحشة
لا يكشفها عتاب لحظة ، ككتاب جحظة ، فسبحان من ربى هذا الامر حتى
صار أمراً ، وتأبط شراً ، وأوجب عذراً ، وأوحش حراً ، وسبحان من جعلنى فى
حيز العدو أشيم بارقه ، وأتخوف صاعقته ، وأنا المساء اليه ، والجنى عليه ،
ولكن من بلى من الاعداء بمثل ما بليت ، ورمى من الحسد بما رميت ،
ووقف من التوحد والوحدة حيث وقفت ، واجتمع عليه من المكاره ما وصفت ،
اعتذر مظلوما ، وضحك مشتوما ، ولو علم الشيخ عدد أولاد الجدد ، وأبناء
العدد ، بهذا البلد ، ممن ليس له هم إلا فى سعاية أوشكاية أو حكاية أو نكاية ،
لضن بعشرة غريب اذا بدر ، وبعيد اذا حضر ، ولصان مجلسه عن لا يصونه
عمارقى اليه ، وهبنى قد قلت ما حكى ، أليس الشاتم من أسمع ، والجانى من
أبلغ ، فقد بلغ من كيد هؤلاء القوم انهم حين صادفوا من الاستاذ نفساً لا تستغز ،
وجبلاً لا يهز ، وشوا الى خدمه بما أرثوانارهم ، وورد على ما قالود فما لبثت أن قلت
فان تلك حرب بين قومي وقومها * فانى لها فى كل نائبة سلم

وليعلم الاستاذ أن في كبد الاعداء منى جهرة ، وأن في أولاد الزنا عندنا
كثرة ، وقصصا هم نار يشبونها ، وعقرب يدبونها ، ومكيدة يطلبونها ، ولولا
ان العذر اقرار بما قيل ، وأكره أن أستقيل ، لبسطت في الاعتذار شاذروانا ،
ودخلت في الاستقالة ميدانا ، لكنه أمر لم أضع أوله ، فلم أتدارك آخره ، وقد
أبى الشيخ أبو محمد أيده الله إلا أن يوصل هذا النثر الفاتر بنظم مثله فيها كه
يلعن بعضه بعضا

مولاي ان عدت ولم ترض لى * أن أشرب البارد لم أشرب
امتط خدي وانتعل ناظري * وصد بكفى حمة العقرب
تالله ما أنطق عن كاذب * فيك ولا أبرق عن خلب
فالصفو بعد الكبر المقتري * كالصحو بعد المطر الصيب
ان اجتن الغلظة من سيدى * فالشوك عند الثمر الطيب
أو يغد الزور على ناقد * فالخمر قد يعصب بالثيب
ولعل الشيخ أبا محمد أيده الله يقوم من الاعتذار بما قعده عنه القلم واللسان ،
فنعم رائد الفضل هو والسلام

سهل بن هرون

فقر من كلام سهل بن هرون للمأمون — كان المأمون استقل سهل بن هرون
فدخل عليه يوماً والناس على مراتبهم ، فتكلم المأمون بكلام ذهب فيه كل
مذهب ، فلما فرغ من كلامه أقبل سهل بن هرون على الجمع فقال : ما لكم تسمعون
ولا تعون ، وتشاهدون ولا تفقهون ، وتفهمون ولا تتعجبون ، وتتعجبون ولا
تنصفون ؟ والله انه ليقول ويفعل في اليوم القصير ، ما فعل بنو مروان في
الدهر الطويل ، عربكم كعجمكم ، وعجمكم كعبيدكم ، ولكن كيف يعرف
بالدواء ، من لا يشعر بالداء ؟ فرجع المأمون فيه الى الرأي الأول

وكان أبو عمرو سهل بن هرون من أهل ميسان نزل البصرة فنسب اليها وهو القائل

يا أهل ميسان السلام علي * كم طيبون الفرع والجندم

أما الوجوه ففضة مزجت * ذهباً وأيد سحة هضم

أتريد كلب ان أناسبها * قد قل من كليب العلم

اجعلت بيتاً فوق رابية * فرع النجوم كأنه نجم

كم بيت شعر وسط مجهولة * بفنائها الجعلان والبهيم

وكان سهل شعوبياً ، والشعوبية فرقة تتصعب على العرب وتنتقصها ، وكان

أبو عبيدة يرمى بهم - وسهل ظريف عالم حسن البيان وله كتب ظريفة صنفها معارضا
للأوائل في كتبهم بمالا يستصوبه منهم حتى قيل له بزرجمهر الاسلام ،

وقال يمدح رجلاً

عدو تلاد المال فيما ينوبه * منوع إذا ما منعه كان احزما

مدلل نفس قد أبت غير أن ترى * مكاره ما تأتي من العيش مغنا

هذا نظير قوله في كتاب ثعلبة وعفرة الذي عارض به كليله ودمنة : اجعلوا

أداء ما يجب عليكم من الحقوق مقدماً قبل الذي تجودون به من تفضلكم ، فان

تقديم النافلة مع الإبطاء عن الفريضة مظاهر على وهن العقيدة ، وتقصير الروية ،

ومضر بالتدبير ، خل بالاختيار ، وليس في نفع عمدته عوض من فساد المرواة

ولزوم النقيصة . وكتابه هذا مملوء حكماً وعلماً . وسهل القائل

تقسمني همان قد كسفا بالي * وقد تركا قلبي محلة بلبال

هما اذريا دمي ولم تذر عبرتي * رهينة خدر ذات سمط واخلخال

ولا قهوقم يبق منها سوى الذي * على أن تحاكي النور في رأس ذبال

تحلل منها جرمها وتماسكت * لها نفس معدوم على الزمن الخالي

ولكنما أبكى بعين سخية * على حدث تبكى له عين أمثالي

فراق خليل لا يقوم به الا سي * وخلة حر لا يقوم بها مالي

فواحسرتني حتى متى القلب موجه * لنفر خليل أو تمذر افضال

وما الفضل الا أن تجود بنائل * والأتقاء الخلد ذى الخلق العالى
وهو القائل

إذا امرؤ ضاق غنى لم يضق خلقى * من أن يرانى غنيا عنه بالياس
لا اطلب المال كى أغنى بفضلته * ما كان مطلبه فقرا من الناس

وأنشد له الجاحظ يهجو رجلا

من كان يعمر ماشادت أوائله * فأنت تعمر ماشادوا وما سمكوا
ما كان فى الحق ان تحوى فعالهم * وأنت تحوى من الميراث ما تركوا

وقال محمد بن زياد الزيدى: وجدت على سهل بن هرون فى بعض الامر فهجوته
فكتب الى: أما بعد فالسلام على عهدك وداع ذى ظن بك ، فى غير مقلية لك ،
ولاسلوة عنك ، بل استسلام للبلوى فى أمرك ، واقرار بالمعجزة فى استعطافك ،
الى أوان بينك ، أويجعل الله لنا دولة من رجعتك والسلام. وكتب فى اسفل الكتاب
ان تعف عن عبدك المسىء فى * عفوك مأوى للفضل والمغن
أتيت ما أستحق من خطأ * فجد بما تستحق من حسن

الحسن البصرى

وقال الحسن البصرى رحمه الله فى يوم وقد رأى الناس وهياتهم : ان الله
تبارك وتعالى جعل رمضان مضمارا لخلقه ، يستبقون فيه بطاعته الى مرضاته ،
فسبق قوم ففازوا ، وتخلف آخرون فخابوا . فاعجب من الضاحك اللاعب فى
اليوم الذى يفوز فيه المحسنون ، ويخسر فيه المبطلون ، أما والله لو كشف الغطاء
لشغل محسن باحسانه ومسىء باساءته

ونظر الى قوم منصرفين من صلاة الفطر يتدافعون ويتضاحكون ،
فقال: الله المستعان ! ان كان هؤلاء قد تقرر عندهم أن صومهم قد تقبل فما هذا محل
الشاكين ، وان علموا أنه لم يقبل فما هذا محل الخائبيين
وكان الحسن من الخطباء النساك الفقهاء الاجواد ، ويقال انه لم يكن تابعى

أفضل منه ، هذا قول أهل العراق جميعا ، وأهل الحجاز يقدمون سعيد بن المسيب عليه ، وكان سعيد أحسن من الحسن ورعا ، وأشد الناس جزعا ، وأقلهم كلاما . وكان الحسن لا يدع أن يتكلم بما هجس في نفسه ، وجاش في صدره

التهنئة برمضان

وعلى ذكر الحسن شهر رمضان نقول :

(الفاظ لاهل العصر في التهنئة باقبال شهر رمضان مع ما يتصل بها من الادعية)

ساق الله تعالى اليك سعادة اهلاله ، وعرفك بركة كماله — قسم الله لك من فضله ، ووفقك لفرضه ونفله — لقاءك الله فيك ما ترجوه ، ورقاك الى ما تحبه فيما يتلوه . جعل الله ما اظلك من هذا الصوم مقرونا بافضل القبول ، مؤذنا بدرك البغية ونجح المأمول ، ولا اخلاك من بر مرفوع ، ودعاء مسموع — قابل الله تعالى بالقبول صيامك وبعظيم المثوبة تهجدك وقيامك — عرفك الله من بر كتمه ما يربى على عدد الصائمين والقائمين ، ووفقك الله تعالى لتحصيل أجر المتجهدين المجتهدين — أسأل الله تعالى ان يضاعفه بمنه لك ، ويجعله وسيلة بقبوله الى مرضاته عنك — اعاد الله الى مولاي أمثاله ، وتقبل منه أعماله ، واصلح في الدين والدنيا أحواله ، وبلغه منها آماله — اسعده الله بهذا الشهر ، ووفاه فيه اجزل المثوبة والاجر ، ووفر حظه من كل ما يرتفع من دعاء الداعين ، وينزل من ثواب العاملين ، وقبل مساعيه وزكاها ، ورفع درجاته واعلاها ، وبلغه من الآمال منتهاها ، وظفر بابعدها واقصاها

أخلاق المؤمن

وقال الحسن : من اخلاق المؤمن ، قوة في دين ، وحزم في لين ، وحرص على العلم ، وقناعة في فقر ، ورحمة للمجهود ، واعطاء في حق ، وبر في استقامة ، وفقه في يقين ، وكسب في حلال — وقال محمد بن سليمان لابن السماك بلغني عنك شيء . قال لا أباليه اقال ولم ؟ قال لانه ان كان حقا عرفته ، وان كان باطلا كذبت به

وقال محمد بن صبيح المعروف بابن السماك: خير الاخوان أقلهم مصانعة
في النصيحة، وخير الاعمال احلاها عاقبة، وخير الثناء ما كان على أفواه الاخيار،
واشرف السلطان مالم يخاطبه البطر، واغنى الاغنياء من لم يكن للحرص اسيرا،
وخير الاخوان من لم يخاصم، وخير الاخلاق اعونها على الورع. وانما يختبر
ذل الرجال عند الفاقة والحاجة

وصف رجل ماجد

ووصف بعض البلغاء رجلا فقال: انه بسيط الكف، رحب الصدر،
موطأ الاكناف، سهل الخلق، كريم الطباع، غيث مغوث، وبحر زخور،
ضحك السن، بشير الوجه، بادي القبول، غير عبوس، يستقبلك بطلاقة،
ويحييك ببشر، ويستدبرك بكرم غيب، وجميل سر، تهجك طلاقة،
ويرضيك بشره، ضحكك على مائدته، عبد لضيافته، غير ملاحظ لا كيله،
بطين من العقل، خفيص من الجهل، راجح الحلم، ثاقب الرأي، طيب الخلق، محصن
الضريبة، معطاء غير سائل، كاس من كل مكرمة، عار من كل ملامة، ان سئل
بذل، وان قال فعل * قال ابو الفتح كشاجم

مزاجك للمنى من العود والصبا * من الريح والصابي الرقيق من الخمر
فلو كنت وردا كنت وردا مضاعفا * ولو كنت طيبا كنت من عنبر البحر
ولو كنت لحنا كنت تأليف معبد * ولو كنت عودا ما افتقرت الى زمر

وصف حسناء

(وقال اعرابي)

الاحبذا البرد الذي تلبسينه * وياحبذا من باعك البرد من تجر^(١)
فلو كنت ماء كنت ماء غمامة * ولو كنت درا كنت من درة بكر
ولو كنت لهوا كنت تعليل ساعة * ولو كنت نوما كنت إغفاءة الفجر
ولو كنت ليلا كنت قراء جنبت * نحوس ليالى الشهر أو ليلة القدر

(١) التجر بالفتح هو التاجر

✓ غرر المدايح

✓ نبذ من ألفاظ بلغاء أهل العصر تجرى في المدح مجرى الامثال لحسن استعارتها ، وبراعة تشبيهاتها — فلان مرتضع ندى المجد ، مقترش حجر الفضل — له صدر تضيق به الدهناء ، وتفزع اليه الدهماء — له في كل مكرمة غرة الاصباح ، وفي كل فضيلة قادمة الجناح — له صورة تستنطق الافواه بالتسبيح ، ويترقق فيها ماء الكرم ، وتقرأ فيها صحيفة حسن البشر ، تحيا القلوب بلقائه ، قبل أن يموت الفقر بعطائه — له خلق لو مزج به البحر لنفى ملوحته ، وكفى كدورته — هو غذاء الحياة ونسيم العشق ، ومادة الفضل — آراؤه سكاكين في مفصل الخطوب — له همة تعزل السمك الأعزل ، وتجري ذيلها على الحجرة — هو راجح في موازين العقل ، سابق في ميادين الفضل ، يفتزع أبكار المكارم ، ويرفع منار المحاسن — ينابيع الجود تتفجر من أنامله ، وربيع السماء يضحك من فواضله — هو بيت القصيدة ، وأول الجريدة ، وعين الكتبية ، وواسطة القلادة ، وانسان الحدقة ، ودرة التاج ، ونقش الفص ، وهو ملح الارض ، ودرع الملة ، ولسان الشريعة ، وحصن الامة ، هو غرة الدهر والزمان ، وناظر الايمان — له أخلاق خلقت من الفضل ، وشيم تشام منها بوارق المجد ، أرج الزمان بفضله ، وعقم النساء عن الاتيان بمثله ، الجميل لديه معتاد ، والفضل منه مبدوء ومعاد ، ماله للعفاة مباح ، وفعاله في ظلمة الدهر مصباح ، كأن قلمه عين ، وكأن جسمه سمع ، يرى بأول رأيه آخر الامر ، — جوهر من جواهر الشرف ، لامن جواهر الصدف ، ويقوته من يواقيت الاحرار لا يواقيت الاحجار — طلعت له لبشاشة عليها ديباجة خسروانية ، وفيها للعلاقة روضة ربيعية — وجه كأن نشرته نشر البشر ، ومواجهته أمان من الدهر ، يصل يبشره ، قبل أن يصل بیره ، قد لحظت من وجهه الانوار ، ومن بآنه الانوار ، أنا من كرم عشيرته ، وطلاقة أسرته ، في روضة وغدير ، وجنة وحريز ، وهو بحر العلم ممدود بسبعة أبحر ، ويومه من يوم الادب كعمر سبعة أنسر — العلم حشو ثيابه ، والادب ملء اهابه — هو شخص الادب مانلا ، ولسان العلم قاتلا ، شجرة فضل

عودها أدب ، وأغصانها علم ، وثمرتها عقل ، وعروقها شرف ، تسقيها سماء الحرية ،
وتغذيها أرض المروءة — هم ملح الأرض اذا فسدت ، وعمارة الأرض اذا خربت ،
ومعرض الأيام اذا احتشدت ، وهم جمال الأيام ، وخواص الانام ، وفرسان
الاسلام ، وفلاسفة الكلام — فلان غصن طبعه نضير ، ليس له في مجده نظير ،
قد جمع الحفظ الغزير ، والفهم الصحيح ، والادب القوى القويم ، وما يؤنس من
الوحشة الا الدفاتر ، ولا يصحبه في الوحدة الا المحابر — فلان يحل دقائق الاشكال
ويزيل معترض الاشكال ، له خلق كنسيم الاسحار ، على صفحات الانوار ، ككلاء
صفا ، والمسك ذكا — اخلاق قد جمعت المروءة اطرافها ، وحرسست الحرية أكنافها —
اخلاق تجمع الاهواء المتفرقة على محبته ، وتؤلف الآراء المتشتتة على مودته ،
— اخلاق أعذب من ماء الغمام ، وأحلى من ريق النحل ، وأطيب من زمان الورد —
اخلاق أحسن من الدر والعقيان ، في نحور الحسان ، وأذكى من حركات الروح
والريحان — فلان يستحط القمر بطرفه ، ويستنزل النجم بلطفه — هو حلو المذاق ،
سهل المساغ ، أجمل الناس في جد ، وأحلام في هزل ، يتصرف مع القلوب ،
كتصرف السحاب مع الجنوب ، ذو جد كملو الجد ، وهزل كحديقة الورد ،
له عشرة ماؤها يقطر ، وصحوها من الغضارة يمطر — هو ريحانة على القدح ،
وذريعة على الفرع — عشرته ألطف من نسيم الشمال ، على أديم الزلال ، وألصق
بالقلب ، من علائق الحب — اذا أردت فهو سبعة ناسك ، أو أحببت فهو تفاحة
فاتك ، أو اقترحت فهو مدركة راهب ، أو آثرت فهو تحية شارب — أخباره ذكية ،
وآثاره ذكية — أخباره تأتينا كما وشى بالمسك رياه ، وينم على الصباح محياه ، قد
نتشر من طيب اخباره زائداً على المسك الفتيق ، وأوفى على الزهر الأنيق
مناقب تشدح في جبينها غرة الصباح ، وتهادى انباءها وفود الرياح ، فلان أخباره
آثاره ، وعينه قراره ، قد حصل له من حميد الذكر ، وجميل النشر ، ما لا تزال
الرواة تدرسه ، والتواريخ تحرسه ، سألت عن أخباره فكأنني حركت المسك فتيقا
أو صبحت الروض أنيقاً ، أخباره متضوعة كتضوع المسك الازفر ، ومشرقة

إشراق الفجر الأنور ، أحبيته بالخبر ، قبل الأثر ، وبالوصف ، قبل الكشف ، هو
 من يثقل ميزان وده ، ويخف ميثاق عهده ، كريم العهد ، صحيح العقد ، سليم
 الصدر ، حميد الورد فيه والصدور — هو لآخوانه عدة تشدهم وتقويهم ، ونور يسعى
 بين أيديهم ، هو ثابت ركن الإخاء ، صافي شرب الوفاء ، حافظ على الغيب ما
 يحفظه على اللقاء — هو ممن لا تدوم المداينة في عرصات قلبه ، ولا تحوم الموارد على
 جنبات صدره — هو يسرى الى كرم العهد ، في ضياء الرشد ، عهده نقش في صخر
 ووده نسب ملاق من نخر — يقبل من آخوانه العفو ، كما يوليهم الصفو ، في وده غنى
 للحالب ، وكفاية للراغب ، ومراد للصحب ، وزاد للركب ، هو في جبل الوفاء حاطب ،
 وعلى فرض الاخاء مواظب ، النجج معقود في نواصي آرائه ، واليمن معتاد في مذاهب
 أنحائه — له الرأي الثابت الذي تخفى بطلحة مكايده ، وتظهر عوائده ، والتدبير
 النافذ الذي تنجع مآربه ، وتنهج قوالبه ، رأى كالسهم أصاب غرة الهدف ،
 ودهاء كالبحر : في بعد الغور ، وقرب المغترف ، لا يضع رأيه إلا مواضع الاحالة
 ولا يطرق تدبيره إلا على مواقع السداد والاصالة ، يعرف من مبادئ الاقوال
 خواتم الافعال ، ومن صدور الامور ، أعجازها في الصدور ، رؤيته رأى صليب ،
 وبديته قدر مصيب ، يسافر رأيه وهو دان لم يبرح ، ويسير تدبيره وهو ثاوم لم
 يسرح — له رأى لا يخطيء شاكلة الصواب ، ومحض الرأى اذا أذكى سراج
 الفكر ، أضاء ظلام الامر — هو قطب صواب تدور به الامور ، ومستنبط صلاح
 يرد اليه التدبير ، يرى العواقب في مرآة عقله ، وبصيرة ذكائه وفضله ، وله رأى
 يرد الخطب مسلماً ، والرمح معلماً ، كأنه ينظر الى الغيب من وراء ستر رقيق ،
 ويطالعه بعين السداد والتوفيق ، يستنبط حقائق القلوب ، ويستخرج ودائع
 الغيوب ، قد سرنا من مشورته في ضياء ساطع ، ومن رأيه الصائب في حكم قاطع

فهرس

صفحة		صفحة
٣٥	صفات الطعام	٣٩
٥١ ✓	المقامة البغدادية	٤١
٧ +	وصف القطائف	٤٢ ✓
٩	نهم ابن الرومي	٤٣
١٠	صفات الفواكه والثمار	٤٧ +
١١	وصف الليل	٤٩
١١	خلف الاحمر	٥٠ ✕
١٢	قصر الليل	٥٠
١٢ +	وصف منبج	٥١
١٣	سعيد بن هرم	٥٢
١٤ ✓	ذو الرياستين	٥٤ ✓
١٥	قبج الشعاعية	٥٤ ✕
١٦	حزم المهدي	٥٥ ✓
١٧	بكاء ذي الرياستين	٥٨
١٧ ✓	وصف فرس	٥٩
١٨	شمس بن مالك	٦٤ ✕
١٨	خييل مصر	٦٥
١٩ ✓	صفات الخيل	٦٦
٢٦ ✓	المقامة الحمدانية	٦٨ +
٢٨	تفسيرات لغوية	٧١
٢٩ ✓	أنجز حر ما وعد	٧٣
٣١	المعرفة بقدر النعمة	٧٦
٣٣	العجز عن الشكر	٧٨
٣٥ +	غرام أبي العتاهية	٨٠
٣٦ ✕	نفي أبي العتاهية	٨٢
		٨٢

صفحة	
٣٩	أوصاف الرجال
٤١	شواهد الايمان
٤٢ ✓	دلالة الحال ✕
٤٣	شعر نصيب
٤٧ +	ابن أبي دؤاد
٤٩	خالد القسري
٥٠ ✕	الأفشين التركي
٥٠	المنافقون
٥١	كلمات مختارة
٥٢	غرائب الأذواق
٥٤ ✓	جدع الحلال أنف الغيرة
٥٤ ✕	التهاني بالبنات
٥٥ ✓	أوصاف النساء
٥٨	غرائب الآمال
٥٩	أخبار كثير عزة
٦٤ ✕	كلمات مأثورة ✕
٦٥	شمس المعالي
٦٦	رسائل البديع
٦٨ +	جعفر بن يحيى
٧١	شيء من النقد
٧٣	شعر الميكاني و ابني
٧٦	أوصاف العلماء
٧٨	استعارات فقهية
٨٠	رسالة لبديع الزمان
٨٢	أبو علي بن جعفر البصير

صفحة		صفحة
١١٠	كتاب الى غبيد الله بن يحيى	٨٣
١١١	نقشة مصدور	٨٤
١١٣	آداب المسافرين	٨٥ ✓
١١٣	مدح السفر	٨٦ J
١١٤	ذم السفر والغربة	٨٧
١١٥	أبو غبيد الله	٨٧
١١٧	الفضل بن الربيع	٨٨ +
١١٨	أبو مسلم	٨٨ +
١٢٠	شعر كشاجم	٨٩ ✓
١٢٠	وصف أجزاء القرآن	٨٩ ✓
١٢١	وصف تحت	٩٠
١٢٢	وصف بركار	٩٠
١٢٢	وصف بيكات	٩١
١٢٣	وصف اسطراب	٩٢ ✓
١٢٤	أبو اسحاق الصابي	٩٢ ✓
١٢٥	وصف الهن	٩٣
١٢٦	أوراك العذارى	٩٣ —
١٣٠	قلب المعاني	٩٥
١٣٣	ذكر النجوم	٩٧
١٣٤	الاصمعي وبعض الاعراب	١٠٠
١٣٥	كلام الاعراب	١٠٢
١٣٥	أحزان الثواكل	١٠٥
١٣٦	وصف رجل	١٠٨
١٣٧	بكاء الحماة	١٠٨ ✓
١٣٩	اسماعيل بن صبيح	١٠٩
١٤٠	رقة الحنين	١٠٩
١٤٠	دعوة الله	١١٠
١٤١	ذكرى الحبيب	١١٠
١١٠	بر المرء بقومه	
١١١	ما ثم أبى نواس	
١١٣	ثوب الرياء	
١١٣	عود الى أبى نواس	
١١٤	اغتصابه لمعاني الشعراء	
١١٥	صبوة بشار	
١١٧	غزل بشار	
١١٨	رأيه في شعره	
١٢٠	واصل بن عطاء	
١٢٠	دين بشار	
١٢١	سجعه ورجزه	
١٢٢	طرفة ونوادره	
١٢٢	كلمات مأثورة	
١٢٣	ذم الكذب	
١٢٤	حزم الحسن بن سهل	
١٢٥	خطب النكاح	
١٢٦	الكتاب والقلم	
١٣٠	أحمد بن يوسف	
١٣٣	ذم المغنين	
١٣٤	شعر أحمد بن يوسف	
١٣٥	أصدقاء أبى العتاهية	
١٣٥	أحمد بن يوسف والمأمون	
١٣٦	صفات الثقلاء	
١٣٧	جحظة البرمكى	
١٣٩	جحظة وخالد الكاتب	
١٤٠	لطف الجواب	
١٤٠	سكين كشاجم	
١٤١	صفات السكاكين	

صفحة		صفحة
١٧٢	عتابه لابن عبيد الله	١٤١ الاسترواح بذكر الصديق
١٧٣	تعازيه في البنات	١٤٢ شروط المنادمة
١٧٤	خير الاصحاح	١٤٢ بساط السلاف
١٧٤	الرغبة في موت البنات	١٤٤ أيام الشراب
١٧٥	ابن الرومي والاختف	١٤٥ الدعوة الى الراح ✕
١٧٧	علقمة بن عبدة	١٤٦ السكناية عن الشراب
١٧٧	طيرة ابن الرومي	١٤٧ غرائب الأخلق ✓
١٧٨	خوفه من ركوب البحر	١٤٨ بعد المتاب +
١٨٠	العيافة والزجر	١٥٠ فضل الصهباء +
١٨١	أحمد بن المدبر	١٥٢ مجالس الأنس وآلات اللهو
١٨٢	أبو الفضل الميكالي	١٥٣ خريات أبي نواس +
١٨٢	عبد الوهاب الثقفي	١٥٤ سورة الكأس +
١٨٣	الجاحظ وابن أبي دؤاد	١٥٤ ساقى المدام +
١٨٣	عقبة بن أبي سفيان	١٥٤ ذكريات الشباب +
١٨٤	الجاحظ وابن الزيات	١٥٤ رسائل البديع +
١٨٥	كلام علي بن أبي طالب	١٥٥ كرائم النفوس ✕✕
١٨٥	عبد الرحمن بن حسان	١٥٦ بين الهمداني والخوازمي +
١٨٥	محمد بن حازم	١٦١ خطاب البديع الى سهل بن محمد +
١٨٦	ابن الزيات	١٦٣ كتابه إلى أبي سعيد الاسماعيلي +
١٨٦	مرض الجاحظ	١٦٣ المقامة الفزارية ✓
١٨٧	المقامة الجاحظية	١٦٤ كلسم لا آدم ✓
١٨٨	اردشير بن بابك	١٦٥ فرس ابن الزيات
١٨٩	بزرجمهر	١٦٦ مساوي المزاح ✓
١٨٩	خير الملوك	١٦٧ زجر الطير
١٨٩	بين الميكالي والثعالبي	١٦٨ النهي عن الطيرة
١٩٠	من الميكالي الى أبيه	١٦٩ جنازة عزة
١٩١	ومنه الى بعض اخوانه	١٧٠ الذنب للمطايا
١٩١	شدور من كلامه ✕	١٧١ تطير ابن الرومي +

صفحة		صفحة
٢١١	+	١٩٢ نماذج من شعره
٢١٢		١٩٤ أدب الحاجب
٢١٣		١٩٤ مراتب الوافدين على الملوك
٢١٤		١٩٤ الحسن بن سهل
٢١٥		١٩٥ حكمة مأثورة
٢١٦	+	١٩٥ سعيد بن عبد الملك
٢١٧		١٩٥ وصف قتي ماجد
٢١٧		١٩٦ النجاة باسم الحبيب
٢١٨		١٩٦ ضوء الاحساب
٢١٩	+	١٩٨ حث الشوق
٢١٩		١٩٨ اسحق الموصلي
٢٢٠	+	١٩٩ مخلد بن بكار
٢٢٠		٢٠٠ جودة الخط
٢٢١	✓	٢٠٠ شكوى وراق
٢٢٢	✓	٢٠٠ شعر الحمدوني
٢٢٣	✓	٢٠١ حرفة الادب
٢٢٣		٢٠٢ فتنة وحرمان
٢٢٣		٢٠٢ ابراهيم النظام
٢٢٤		٢٠٣ أفكار الوراقين
٢٢٤	+	٢٠٣ أماني الشعراء
٢٢٥		٢٠٤ الاضبط بن قريع
٢٢٥	+	٢٠٥ وصف محبرة
٢٢٥		٢٠٦ العلم قبل المال
٢٢٧		٢٠٦ آلات الكتابة
٢٢٨		٢٠٨ عمال المأمون
٢٢٩		٢٠٩ <u>الورد والنرجس</u>
٢٣٠	✓	٢١١ صفات الانوار والازهار
٢٣٠		٢١١ وصف الورد

صفحة		صفحة
٢٣٠	أبو العيناء وابن خاقان ✓	٢٤٧
٢٣١	طرفة أدبية	٢٤٨
٢٣٣	شاة سعيد بن احمد	٢٤٩
٢٣٤	طيلسان بن حرب	٢٥٠
٢٣٧	الحسن بن رجاء	٢٥١
٢٣٧	أبو العباس المبرد	٢٥٣
٢٣٨	وصف رجل ماجد	٢٥٣
٢٣٨	أبو جعفر المنصور ✓	٢٥٣
٢٣٩	محمد بن يوسف ✓	٢٥٤
٢٣٩	اسماعيل بن محمد	٢٥٥
٢٤٠ ✓	ابن أبي ربيعة وجميل	٢٥٦
٢٤٠	خليفة ابن أبي ربيعة ✓	٢٥٧
٢٤١	العرجي	٢٥٩
٢٤٢	نثر ابن المعتز	٢٦٠
٢٤٤	قس ابن ساعدة	٢٦٠
٢٤٤	الحارث بن حلزة	٢٦١
٢٤٤	زيد بن ثابت ✓	٢٦١
٢٤٤ ✓	ابن العميد	٢٦٢
٢٤٦	أجل ما قيل في العتاب	
		٢٤٧
		٢٤٨
		٢٤٩
		٢٥٠
		٢٥١
		٢٥٣
		٢٥٣
		٢٥٣
		٢٥٤
		٢٥٥
		٢٥٦
		٢٥٧
		٢٥٩
		٢٦٠
		٢٦٠
		٢٦١
		٢٦١
		٢٦٢

الغلطات المطبعية

صحح هذا الجزء بغاية العناية ، وقد وقعت فيه مع هذا غلطات مطبعية طفيفة لا تقوت القارئ ولا يتغير بها المعنى المراد . ووقع كذلك غلط قليل في بعض الكلمات المضبوطة : ولولا ندرة الاغلاط لوضعناها في فهرس خاص

مؤلفات

الذکر فی مکتبہ

102

1

البديائع

7

حَسْبُ الْبَيْتِ الْبَيْتِ شَعْرًا

٣

الاخلاق عند الغزالي

٤

مَلَايَاحُ الْعَقَبَاتِ

٥

أَبْرَ الشَّعْرَ طَ الشَّعْرَ

زهر الآداب

جاء في جريدة الاتحاد الغراء بمناسبة ظهور الجزء الاول من هذا الكتاب ما يأتي :

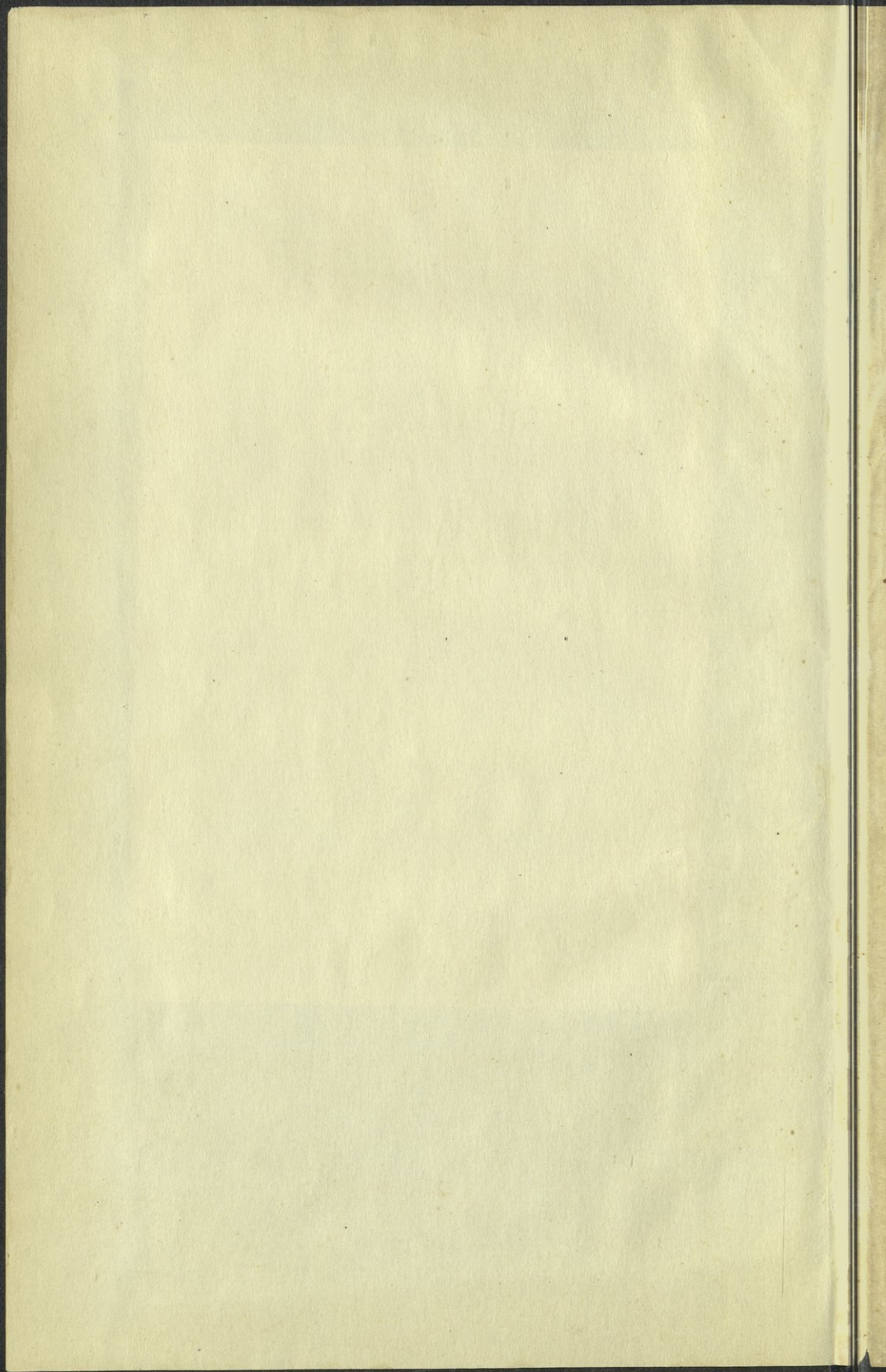
ندع الجانب العلمي من الدكتور زكي مبارك للعلماء : ينفسون عليه علمه ويدفعهم عن نفسه ، ويمكرون به ويمكرون بهم ، وان كنا نحس أنه خير منهم مكرراً ، وأعز جانباً ، ثم نقف عند الجانب الادبي منه معجبين ، معتبطين الدكتور زكي مبارك ليس من ذوى الاسنان ، بل هو شاب ، ولكنه من خيرة الشبان ذكاء ، ومن أعظمهم نشاطاً وتوفيقاً . ولا غرو فقد نشأ في حضارة الاستاذين الدكتور طه حسين والدكتور منصور فهمي

وما كنا لنعرض للدكتور زكي مبارك بثناء لولا انه رشانا بعمله الجليل في كتاب « زهر الآداب للحصري » خلت هذه الرشوة عقدة اللسان بهذه الكلمة الوجيزة

كتاب « زهر الآداب وثمر الالباب » للحصري كتاب لا يقال في مدحه أقل من انه قد وضع ليلائم الذوق العربي في أى مكان ، وفي جميع الازمنة فهو كتاب قديم جديد ، تليد طريف ، يتمشى مع الادب العربي مهما كرت الايام ودرجت العصور

ولقد كان الادباء ينقبون عنه تنقيباً في الطبعة الموجودة على هامش العقد الفريد ، وكانوا يعانون من رداءة الطبع ، وكثرة الاغلاط ، وكثرة تحريف الكلام عن مواضعه في هذه الطبعة الألم الكثير ، خملت الحمية الادبية الدكتور زكي مبارك على أن يغضب لنفسه ولاخوانه الادباء ، فقام بطبع هذا الكتاب على ورق صقيل طبعاً متقناً ، راعى فيه الدقة ، وزينه بضبط الالفاظ الغريبة وشرحها ، وبوبه تبويباً جميلاً ، مع الاحتفاظ بنسقه الاصلى ، نزولاً على ارادة مؤلفه ، ومرضاة لاستاذه الدكتور طه حسين

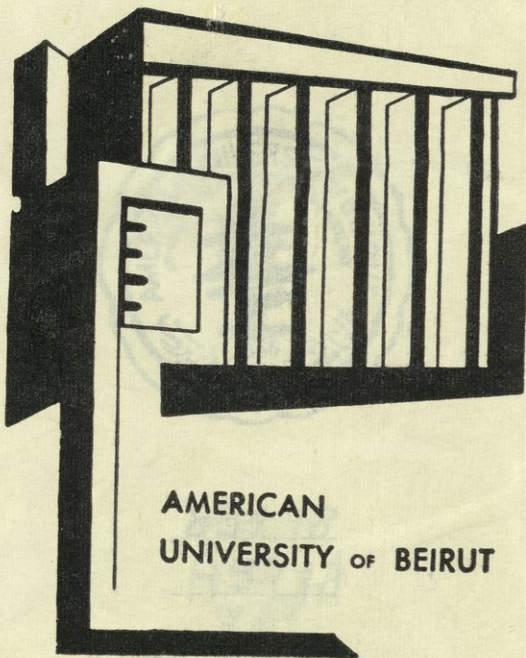
وقد ظهر الجزء الاول من هذا الكتاب . فهنيء الادباء به ، ونرجو لخروجه التوفيق وحسن المثوبة



A.U.B. library

مبارك، زكي
زهر الآداب وثمر الالباب
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01041487

American University of Beirut



AMERICAN
UNIVERSITY of BEIRUT

